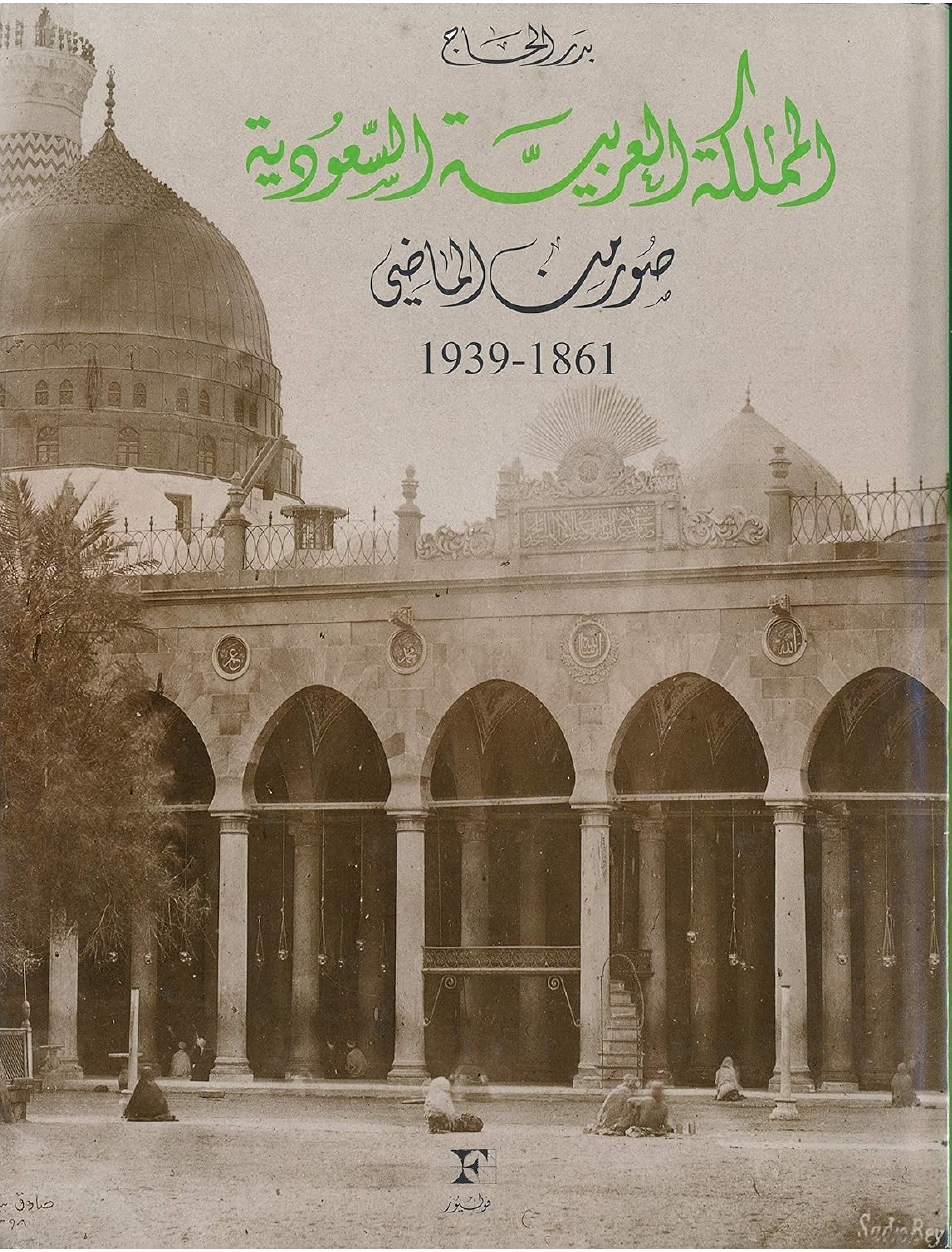
بدر الحاج

المملكة العربية السعودية

صور من الماضي

1861-1939



فوليوز

Images from the past

Saudi Arabia

1861 - 1939

by

BADR EL-HAGE

First edition:London 1989

Second enlarged and revised edition:Published by Folios Ltd,1997

193-195 Brompton Road, London SW3 1LZ England

British Library Cataloguing Data:

ISBN 1 901059 00 6

Design: ***Michael Gabriel***

Production: ***Nick Holroyd***

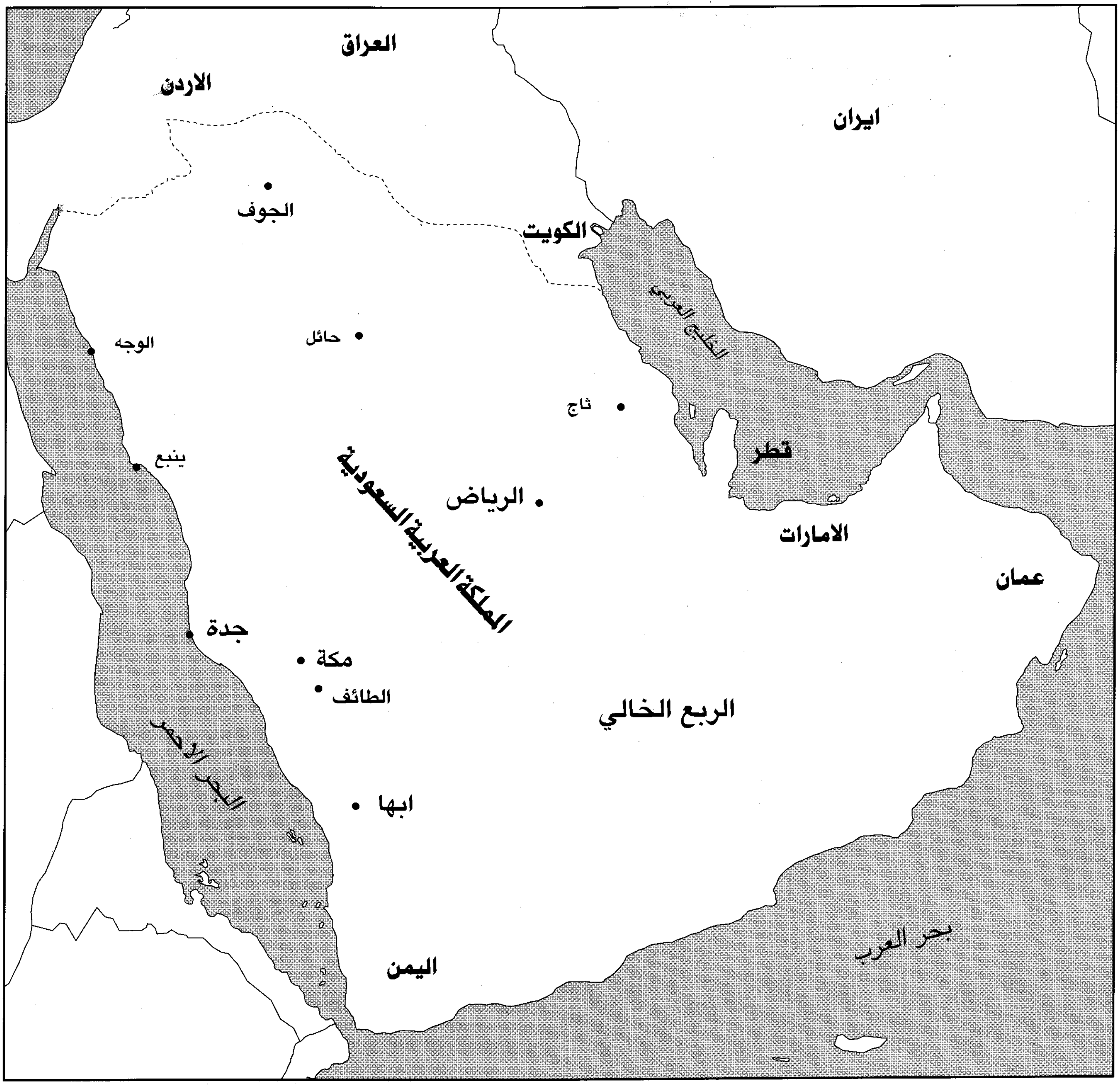
Calligraphy: ***Bahij Al Andari***

Printed in Hong Kong

المملكة العربية السعودية

صور من الماضي

1861 - 1939



صورة الغلاف الداخلي:منظر عام للمدينة المنورة (حفر عن صورة لمحمد صادق حوالي 1880).

الى عادل بن عبدالمحسن المنديل



الملك عبد العزيز في البصرة. (تصوير بيل تشرين الثاني 1916).

المحتويات

مقدمة الطبعة الثانية

صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب في لندن سنة 1989، ونظرًا لنفادها ولمطالبة العديد من الأصدقاء والمهتمين بضرورة إعادة نشره، رأيت أن أعيد النظر في إخراجه وفي اختيار الصور ومراجعة النص مجددًا بعد أن اطلعت على معلومات جديدة تتعلق بأول مصور في منطقة الحجاز اللواء محمد صادق، وبعد تحديد هوية المصور« عبد الغفار- طبيب مكة » . كما رأيت أن أضمن الطبعة الجديدة صورًا لم تنشر في الطبعة الأولى لمدينة الرياض التقطها جورج راندل George Rendel وزوجته جيرالدين Geraldine ، وكذلك صورًا للمنطقة الجنوبية الغربية من المملكة العربية السعودية التقطها سير هاري سانت جون فيلبي H. St. John Philby خلال جولته فيها سنة 1936 .

يعود تاريخ الصور الشمسية التي يتضمنها هذا الكتاب إلى الفترة الممتدة ما بين مطلع الستينات من القرن الماضي وحتى أواخر الثلاثينات من القرن الحالي . وهذه الصور عبارة عن وثائق مرئية لمرحلة مهمة جدًا في تاريخ شبه الجزيرة العربية التي شهدت تطورات سياسية واقتصادية واجتماعية جذرية بدأت بهزيمة الأتراك وحلفائهم وتبوء عبد العزيز آل سعود قمة السلطة ووضع أسس الدولة التي أصبحت المملكة العربية السعودية .

وقبل الاعلان عن اكتشاف التصوير الشمسي في فرنسا (آب 1839) كان الرحالة الذين زاروا شبه الجزيرة العربية امثال الأسباني دومنغو باديا ليبلتش «علي بيه العباسي » Domingo Badia Y Leblich والسويسري جون لويس بوركهارت John Lewis Burckhardt وغيرهما، قد نشروا مخططات محفورة لمكة والمدينة وجدة وينبع . وكانت تسبق عملية نشر اللوحات الأصلية للرحالة، مرحلة يقوم فيها رسامون محترفون بوضع اللمسات الفنية التي يرونها مناسبة على هذه المخططات. ويتبين من هذه العملية المعقدة أنه عندما يتم تخطيط اللوحة على المعدن أو الحجر ؛ فإن اللوحات المطبوعة كانت تختلف في بعض الاحيان ، وإلى حد كبير ، عن الرسم الأصلي الذي أخذت عنه . وعلى النقيض من ذلك فإن الصور الشمسية في مجملها كانت عبارة عن سجل بصري دقيق لما رآه الرحالة ـ المصور في لحظة معينة من الزمن .

لم يسبق أن جرت حتى الآن أية دراسة علمية لتاريخ التصوير الشمسي في شبه الجزيرة العربية. وهذه المحاولة، باعتبارها جزءًا من محاولة تآريخ بدايات أعمال التصوير الشمسي في المنطقة العربية ، هي أول دراسة تعتمد على مصادر ومجموعات نادرة من الصور التقطها مصورون عرب وأجانب ، ويعود تاريخ بعضها إلى ما يقارب المئة سنة .

بدأتُ الاهتمام بدراسة واقتناء الصور الشمسية القديمة عن شبه الجزيرة العربية بعد الاطلاع على مجموعة الصديق فؤاد دباس التي تضم أندر الصور التي التقطها المصور المصري اللواء محمد صادق خلال جولاته في منطقة الحجاز في النصف الأخير من القرن الماضي . وبعد الاطلاع على الكتيبات الاربعة التي اصدرها محمد صادق عن جولاته في الحجاز، استعنت بمقاطع من كتاباته اوردتها حرفياً كما جاءت في النص، على رغم ركاكة بعض العبارات الا أن المعنى بشكل عام كان واضحاً.

وقبل الاطلاع على مجموعة فؤاد دباس كنت اعتقد بأنه يتعذر وجود أعمال فوتوغرافية عن المنطقة في القرن الماضي باستثناء أعمال المستشرق الهولندي كريستيان سنوك خرهرونيه Christian Snouck Hurgronje التي تحدث عنها عدد من

مؤرخي التصوير الفوتوغرافي. ولكن هذا الاعتقاد تلاشى بعد اطلاعي على محفوظات مصورة في جامعات بريطانية ، إضافة إلى مجموعات مصورة خاصة ، وكتب عربية نشرت في أواخر القرن الماضي. ونتيجة لذلك تبين لي ان هناك كمية لا بأس بها من الصور لمدن جدة ومكة والمدينة ، بالإضافة إلى عدن ومسقط . غير أن هذه الكمية لا تقارن من حيث العدد مع الانتاج الفوتوغرافي الضخم الذي ظهر في مصر وسورية خلال الفترة ذاتها .

بدأت البحث مركزًا على المجموعات المصورة التي يحتفظ بها مركز الشرق الأوسط في معهد سانت انطوني في اوكسفورد ، وقادني البحث تدريجيا إلى أرشيف المتحف الحربي البريطاني ، والجمعية الجغرافية الملكية البريطانية ، ومجموعة جيرترود بيل Gertrude Bell التي تحتفظ بها جامعة نيوكاسل آبن تاين ، ومجموعة خاصة بالميجر جنرال جيمس لانت تضم ملفا من الصور التي التقطها النقيب و.هـ .شكسبير William Henry Shakespear في المنطقة الوسطى من المملكة العربية السعودية سنة 1914 . كما تسنى لي الاطلاع على مجموعات مصورة أخرى كمجموعة اللواء جيرالد دوغوراي Gerald de Gaury الذي زار الرياض مرات عدة ما بين السنتين 1934 و 1940 ، ومجموعة مصورة نادرة للمصور المصري اللواء محمد صادق يحتفظ بها الشيخ حسن بن محمد بن علي آل ثاني (قطر) ، ومجموعة مصورة التقطت في المنطقة الغربية من المملكة العربية السعودية من قبل القسم السينمائي والفوتوغرافي التابع للقوات الفرنسية في الحجاز سنة 1918 يحتفظ بها عادل بن عبد المحسن المنديل (الرياض) .

بعد الاطلاع على المجموعات المذكورة رأيت أن ابدأ البحث برحلة الحج الأولى التي قام بها المصور اللواء محمد صادق إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة سنة 1861 ، باعتبار أن أعمال هذا المصور هي بداية تاريخ دخول عدسة التصوير إلى المنطقة ، وذلك على رغم وجود صورة لمدينة جدة في أرشيف مركز الدراسات الإنسانية في مدينة اوستن التابع لجامعة تكساس في الولايات المتحدة الاميركية ، يبدو أنها التقطت حوالي سنة 1855 من قبل مصور محترف مجهول ربما كان في طريقه إلى الهند ، وصور أخرى متفرقة التقطها قناصل اوروبيون في جدة في فترة الخمسينات من القرن الماضي. وايضاً صور قليلة جداً التقطها مصورون محترفون لمدينة جدة امثال المصور فيوريللو Fiorillo الذي نشط في أواخر القرن الماضي في التقاط صور في مصر وسورية.

واجهت صعوبة في اختيار الصور للنشر في هذا الكتاب نظراً لوفرة عددها من جهة ، ولتركيز معظم المصورين على المدن الرئيسية بحيث ان الصور التي التقطت في مكة وجدة على سبيل المثال تفوق بكثير، من حيث العدد، تلك التي التقطت في الرياض والطائف . لذلك اخترت صور بعض المدن الرئيسية والأحداث الهامة مهملا الصور التي التقطت لمواقع وقرى صغيرة ، واشرت باختصار شديد الى المواقع التي تجول فيها الرحالة واكتفيت بتسجيل خط رحلاتهم واختيار صور قليلة كنماذج من اعمالهم فقط.

انني اتوجه بالشكر الى العديد من الذين قدموا نصائحهم وسمحوا لي بنشر بعض الصور، اخص منهم دريك هوبود رئيس معهد سانت انطوني التابع لمركز الشرق الأوسط في جامعة اوكسفورد، وجيل غرانت لتزويدي بالمعلومات عن كل

من النقيب و.هـ . شكسبير وسير هاري سانت جون فيلبي وجيرترود بيل بحيث أغني هذا البحث بمعلومات جديدة من مخطوطات لم يسبق أن نشرت، وديفيد وارن في قسم التصوير التابع للجمعية الجغرافية الملكية (لندن) ، و جين كارمايكل وقسم التصوير في المتحف الحربي البريطاني (لندن) ، ولين ريتشي في قسم علم الآثار في جامعة نيو كاسل آبن تاين (بريطانيا) ، والصديقين نديم شحاده وأحمد اصفهاني ، وانيس شودري من مكة المكرمة الذي أرسل تصحيحات لبعض المعلومات الخاطئة التي وردت في الطبعة الأولى ، و عادل بن عبد المحسن المنديل الذي سمح لي بنشر صور من مجموعته التي ألتقطها مصورو الجيش الفرنسي في الحجاز سنة 1918 ، و فيصل بن عبد الرحمن المعمر الذي سمح لي بالاطلاع وباستعمال صور من المجموعة القيمة التي تحتفظ بها مكتبة الملك عبد العزيز العامة في الرياض، ومحمد همام فكري الذي قدم لي معلومات عن بعض المصورين المصريين ، وفهد السماري الذي قام بمراجعة النص و ابدى تصويبات وملاحظات قيمة، وبروس انغهام الذي ساعد في تحديد المواقع التي مر بها فيلبي خلال رحلتيه الى جنوب نجد والربع الخالي، وابراهيم السلطان لمساعدته في تحديد صور الرياض. ومنى بركة لتنضيد النص.

وبالطبع لم يكن بالإمكان إغناء هذا الكتاب بانذر الصور للمصور اللواء محمد صادق لولا سماح الشيخ حسن بن محمد بن علي آل ثاني وفؤاد دباس باستعمال الصور التي يحتفظان بها ، فلهما مني جزيل الشكر والامتنان .

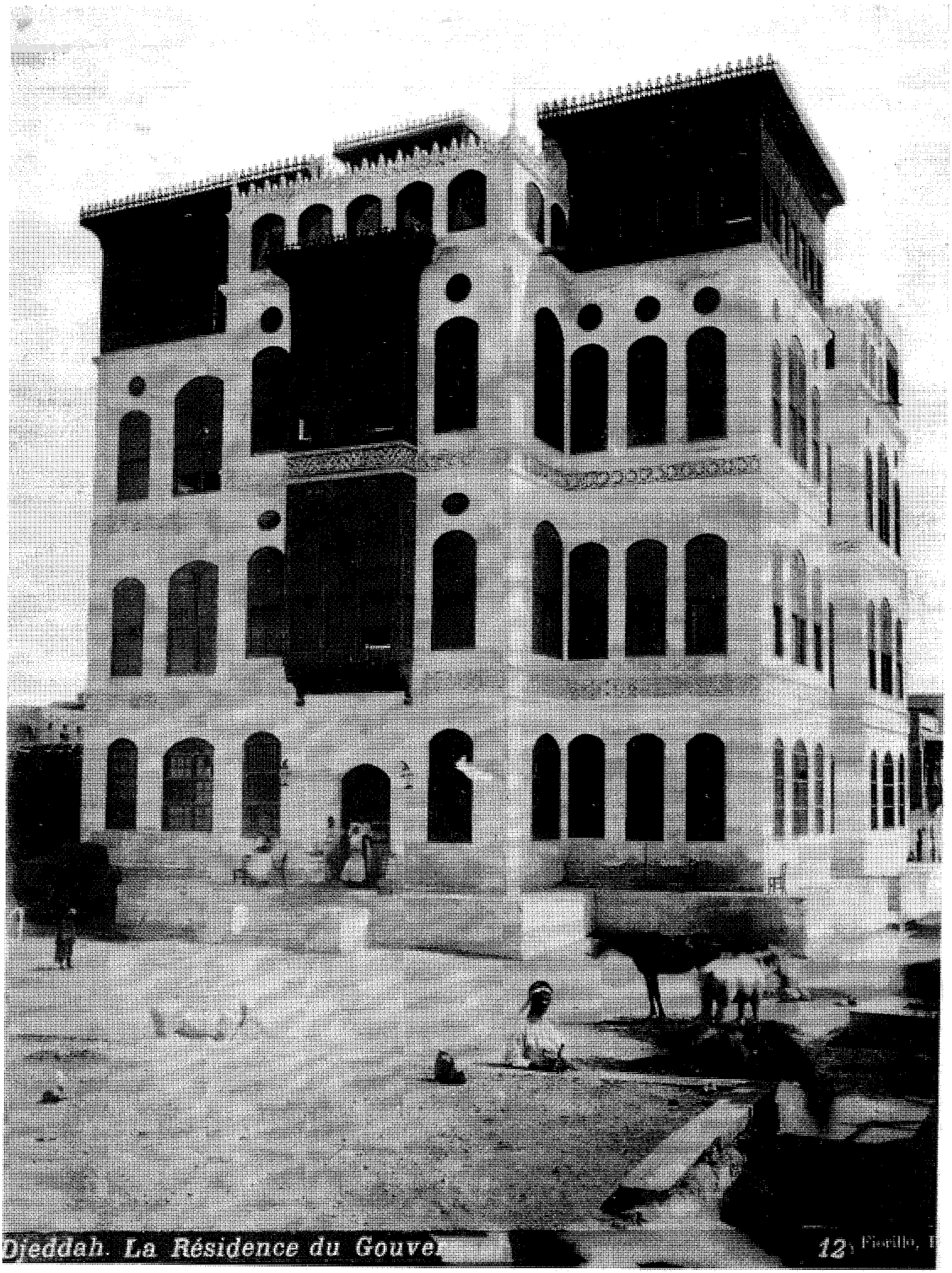
ليست المجموعات المصورة التي استندنا إليها في هذه الدراسة هي الوحيدة عن المملكة العربية السعودية، إذ لا بد ان تكون هناك مجموعات أخرى لم يتسنَ لي الأطلاع عليها. لكنني آمل في أن تثير هذه الدراسة إهتمام الباحثين في تاريخ التصوير الشمسي ، وأن يبادروا إلى إغناء المكتبة العربية بدراسات أخرى تسهم في إلقاء الضوء على مجموعات جديدة لا بد وأن تكون حتى الآن في زوايا النسيان والإهمال.

إن هذا السجل المصور للمملكة العربية السعودية هو عبارة عن تاريخ مرئي لحقب مختلفة ولمدن ومواقع شهدت حالات من التغيير المذهل ، بحيث اختفت العديد من المعالم وتبدلت أساليب الحياة وأصبحت في عصرنا الراهن نوعا من الذكريات المحفوظة في هذه اللقطات المصورة .

من هنا كانت الاهمية المذهلة لهذه الصور التاريخية . وإذا اعتبرنا أن رسوم الرحالة الأوروبيين كانت تجمع بين الخيال والواقع وتمزج بين تواريخ وعناصر مختلفة جداً فإن دخول آلة التصوير الشمسي لشبه الجزيرة العربية أعطى عملية التوثيق بعداً خاصًا وتاريخًا جديدًا ، بمعنى التوثيق الواقعي؛ إذ قدَّمت لنا الصور الشمسية الأولى الخصائص المشبعة بالبساطة واللحظات التاريخية التي تشكل علامات فاصلة في تاريخ متميز و عهد حديث حافل بالتغيير السريع .

بدر الحاج

لندن في 1997/2/21



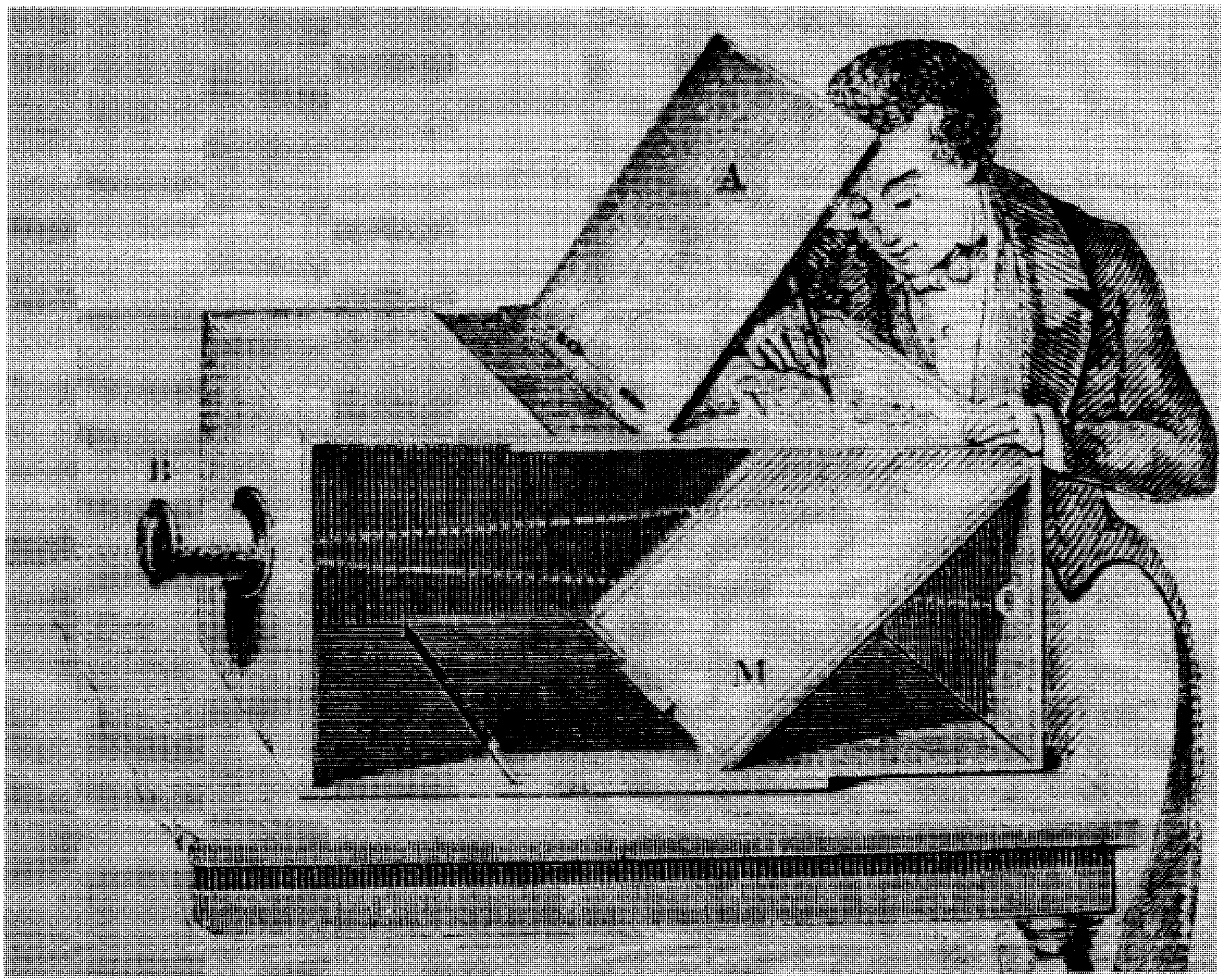
مقر الحكومة في جدة (تصوير فيوريللو حوالي 1890).

الفصل الاول

العرب وتطور التصوير الفوتوغرافي

يرتبط تاريخ التصوير الشمسي بعلاقات وثيقة بالعالم العربي تعود جذورها الى القرون الوسطى، ذلك ان استعمال الخدع التصويرية لتوليد خيالات «الكاميرات المظلمة» وصف للمرة الاولى بالتفصيل في مخطوطة «كتاب الضوء» للعالم العربي الحسن بن الهيثم الذي عاش في القرن العاشر (965-1037). ويحتفظ مكتب الهند India Office Library في لندن بهذه المخطوطة التي يعتقد بانها تعود الى القرن الحادي

1 - نموذج من الكاميرا المظلمة "Camera Obscura"



عشر. (1)

كانت الكاميرا المظلمة " Camera Obscura " بمثابة المقدمة الأولى للعدسة التصويرية كما عرفت فيما بعد. وقد وصف ابن الهيثم كيف انه إذا تم حفر فتحة عند مصراع النافذة في غرفة معتمة، يمكن مشاهدة خيال العالم الخارجي معكوساً على الحائط المواجه للنافذة. وأوصى ابن الهيثم باستعمال مبدأ « الكاميرا المظلمة » لمراقبة الكسوف الشمسي، كما شدد على العلاقة بين حجم الفتحة ووضوح الظل فقال : « إذا مر ظل الشمس وقت حدوث الكسوف الشمسي – شرط أن يكون كسوفاً جزئياً –من خلال ثقب دائري صغير إلى جسم منبسط مقابل، فأنه سيكون ظلاً ذا شكل هلالي، ويظهر ظل الشمس هذه الخاصية فقط عندما يكون الثقب صغيراً للغاية، أما إذا كان الثقب أكبر فعندها يتغير الظل. وبالتالي فأن الزيادة في حجم الثقب تجعل تغيير الظل أكثر وضوحاً، وإذا ما كان الثقب كبيراً للغاية، فإن الشكل الاهليلي للظل يختفي نهائياً ويصبح الضوء مستديراً مع الثقب المستدير، مربعاً مع الثقب المربع، وكذلك مع اي ثقب تختاره فإن الظل سيأخذ الشكل نفسه شرط أن يكون الثقب كبيراً، وان يكون حجم الجسم المتلقي موازياً له». (2)

وبحلول القرن الخامس عشر باتت الكاميرا المظلمة معروفة على نطاق واسع. وفي العام 1558 شرح جيوفاني غاتيستا ديلابورتا Giovanni Gattista Della Porta بالتفصيل كيف يمكن استعمالها للمساعدة في الرسم. وفي مطلع القرن التاسع عشر اصبحت متداولة الى حد بعيد في اوساط الفنانين، وعندها بدأ الطموح في تثبيت الظلال التي توجدها « الكاميرا المظلمة » يحتل مخيلات الفنانين والعلماء.

واخيراً، في السابع من آب 1839، كشف فرانسوا اراغو François Arago امام اكاديمية العلوم الفرنسية في باريس ان جاك ماند داغير Jaques Mande Daguerre نجح في تثبيت ظل « الكاميرا المظلمة » على لوح نحاسي مغطى بالفضة، وعرفت هذه الطريقة باسم « داغيروتايب » Daguerrotype .

كان اللوح المستعمل في هذه الطريقة يعرض لبخار الايودين كي تتشكل طبقة ايودين الفضة الحساسة للضوء على السطح، ثم يعرض اللوح لعدة دقائق في الكاميرا. وبعدها يتم تظهير الظل الكامن بتعريض اللوح كله لبخار الزئبق، ويثبت الظل بغمس الورق في محلول الملح بالماء الساخن.

وسرعان ما انتشر اكتشاف داغير في انحاء اوروبا حيث قوبل بتأييد من الاكثرية التي اعتبرت أن التصوير الفوتوغرافي يقدم خدمات علمية جليلة وعديدة، كوسيلة وثائقية مثلا او كعنصر مساعد في درس الهندسة المعمارية وعلم الآثار. وبعد حوالي الشهرين من الإعلان عن اختراع التصوير الشمسي التقطت أول صورة داغيروتايب في المنطقة العربية في الاسكندرية وذلك في السادس من تشرين الثاني 1839 من قبل المصور الفرنسي فريدريك غوبيل فيسكه Frederic Goupil-Fesquest .

ومنذ ذلك التاريخ بدأ عشرات المصورين الأجانب بالتدفق على مصر والأراضي المقدسة حيث التقط هؤلاء الآف الصور الفوتوغرافية للمدن والمعابد والآثار والناس.

كان لأسلوب « داغير » في التصوير الشمسي بعض السلبيات، منها التكلفة الباهظة وعدم امكانية تظهير اكثر من صورة واحدة. ونتيجة لذلك لم تعرض الصور الاولى عن منطقة الشرق الاوسط الا امام عدد قليل جدا من الناس. ومع ذلك قام الفنان الانكليزي الهاوي و. هـ . فوكس تالبوت W.H. Fox Talbot في العام 1841 بتسجيل براءة اختراع طريقة « كالوتايب » Calotype وهي طريقة السالب والموجب التي تطورت فيما بعد الى ان اصبحت اساس التصوير الفوتوغرافي الراهن. وقد مكنت هذه الطريقة المصورين الاوائل من طبع عدد غير محدد من الصور، مما جعل اعمالهم



2 - الرحالة–المصور

متوفرة لقطاع واسع من الجمهور.

كانت الاوراق المستعملة في طريقة «كالوتيب» تعالج بنيترات الفضة Silver Nitrate وايودايد البوتاسيوم Potassium Iodide لتشكيل طبقة سطحية من ايودايد الفضة Silver Iodide حساسة للضوء. وبعد تعريضها لعدة دقائق فقط، كانت الظلال الكافية تظهر من خلال محلول من الاسيد القلوي ونيترات الفضة. ويتم بعد ذلك تثبيت الصورة باستعمال صوديوم تيوسولفايت Sodiom Thiasulphate ويطبع النيغاتيف المتولد عن هذه العملية بتعريضه للضوء ملتصقا بورق حساس للنور. واستغرقت عملية استكمال هذه الطريقة سنوات عديدة، لكن بحلول نهاية الاربعينات من القرن التاسع عشر كانت طريقة « كالوتايب » قد حلت مكان طريقة « داغيروتايب ».

وخلال العقد 1850 – 1860 سافر عدة مصورين الى الشرق الاوسط. وقام بعضهم امثال مكسيم دي كامب Maxime du Camp وفليكس تينارد Felix Teynard واوغست سالتزمان Auguste Saltzman فور عودتهم الى اوروبا بنشر الصور التي التقطوها في مصر والاراضي المقدسة.

ومع ذلك فان نهاية الخمسينات من القرن الماضي كانت الفترة التي شهدت التوسع الحقيقي للتصوير الفوتوغرافي في المشرق العربي. وهذا التوسع يعود في جانب اساسي منه الى اشباع نهم الغرب لـ « معرفة الشرق » من جهة، والاعلان من جهة اخرى عن طريقة جديدة في التصوير هي اسلوب الكولوديون الرطب Wet Collodion التي وصفها فردريك سكوت ارشر Frederick Scott Archer لأول مرة في العام 1851 كانت مادة الكولوديون تعالج بمادة ايودايد البوتاسيوم Potassium Iodide و ينشر المحلول المستخرج على لوح زجاجي جعل حساسا قبل التعرض بغمسه في محلول نيترات الفضة. وعندها يتم تعريض اللوح وهو رطب في المكان المخصص له، وبالتالي تحمض الصورة وتطبع فورا بعد التعريض. وكان لهذه الطريقة ميزات بارزة على سابقتها، منها ان النيغاتيف الزجاجي اطول عمرا واكثر احتمالا من النيغاتيف الورقي، وهو يعطي صورة اكثر وضوحاً. وبالاضافة الى ذلك، يمكن بسهولة طباعة عدد كبير من الصور ذات النوعية الجيدة على الاوراق المغطاة بالزلال Albumen التي انتجتها بالكوارت ايفارد Balquart-Evard في العام 1850. وحيث انه لم يجر تسجيل براءة اختراع هذه الاوراق، فقد ادى الاعلان عنها الى توسيع ممارسة هواية التصوير.

لكن استعمال طريقة « الكولوديون الرطب » ادى، مع ذلك، الى بروز بعض المشاكل بالنسبة للمصورين الرحالة، فضرورة تعريض وتحميض الالواح وهي رطبة، كانت تعني حمل كافة المعدات المطلوبة طوال الرحلة الشاقة. والمعدات هي: الكاميرا الضخمة، حامل ثلاثي القوائم، الالواح الزجاجية، حاملات الالواح، الغطاء الاسود، العديد من قوارير المواد الكيماوية، وكمية من المياه. وعلى الرغم من هذه المصاعب، بدأ مستعملو هذه الطريقة الجديدة في زيارة الشرق الاوسط. ففي اواخر الخمسينات من القرن التاسع عشر برزت اسماء فرنسيس فريث Francis Frith و ج. و. هامرشميت G.W. Hammerschmidt وغيرهم، وجميعهم قاموا برحلات تصويرية الى مصر وسورية. كما وان معظم البعثات الآثارية في ذلك الوقت ضمت بين صفوفها مصورين.

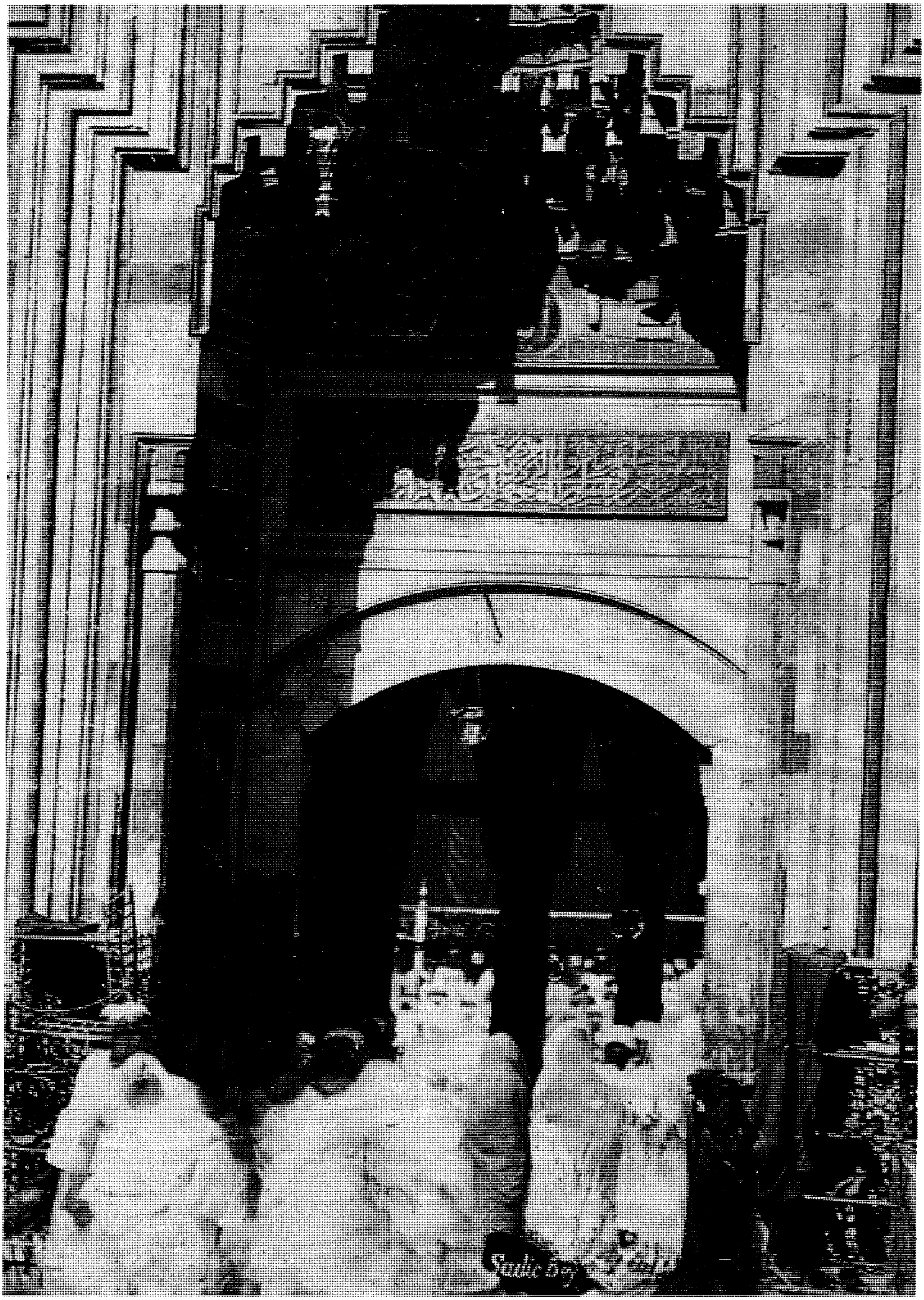
وشهدت هذه الفترة ايضا بروز اول مصورين مقيمين في الشرق الاوسط، وهم جماعة ازداد عددها بسرعة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كنتيجة رئيسية لزيادة مطالب السوق السياحية من اللقطات التذكارية للمعالم المحلية.

واقيمت الاستديوهات التي كان يتسابق اصحابها على إنتاج الصور الفوتوغرافية والتي كانت تباع للسياح والحجاج والمهتمين بشؤون المنطقة، في كل من اسطنبول والقاهرة وبور سعيد وبيروت ودمشق والقدس. وذاع صيت المصورين أمثال أرنو Arnoux والأخوة ليكيجيان Lekegian ، وسباح ، وزنكاكي Zangaki في مصر، وبونفيس Bonfils، ودوماس Dumas وصابونجي في بيروت، وغيرهم ممن قاموا بجولات تصويرية في مصر والاراضي المقدسة. وقد حظي بعض هؤلاء المصورين برعاية الحكام، ففي اسطنبول مثلاً أختار السلطان عبد العزيز الاشقاء الارمن الثلاثة هوفسب وفيكين وكيفورك الذين عملوا تحت اسم « عبدالله اخوان » كمصورين له، وواصل الاخوة الثلاثة عملهم تحت حكم السلطان عبد الحميد الثاني الذي أرسلهم لتصوير مختلف انحاء الأمبراطورية العثمانية بهدف تسجيل إنجازاته ومحاولاته تحديث السلطنة.

وتمتع مصورو الاستديوهات هؤلاء بشهرة واسعة في الفترة الممتدة بين اوائل العام 1870 وأواخر العام 1880، لكن هذه الفترة شهدت ايضا تطورات جديدة في تقنيات التصوير الفوتوغرافي، مما شجع المزيد من الهواة على التقاط الصور بأنفسهم.

لقد بذل الخبراء العديد من المحاولات لتسهيل عملية التصوير في الستينات من القرن التاسع عشر، من دون نجاح يذكر. الى ان حل العام 1871 عندما نشر الدكتور ر. ل. مادوكس R. L. Madox نتائج تجاربه حول استعمال الجيلاتين كحامل للمواد ذات الحساسية للضوء. وعرفت هذه الطريقة باسم « الواح الجيلاتين الجافة »، وهي عبارة عن طلاء الواح الزجاج بدهان مصنوع من نيترات الفضة ومحلول الجيلاتين يحتوي على مشتقات الهالايد Halide التي اذا ما صنعت وجففت، يمكن استعمالها بعد مضي وقت طويل على تحضيرها.

نزلت «الواح الجيلاتين الجافة» الى الاسواق في العام 1878، وبحلول العام 1888 كانت تتوفر انواع مختلفة منها. وفي الوقت نفسه تقريبا، بدأت تظهر في الساحة انواع جديدة وصغيرة من آلات التصوير. بعضها كان على شكل صندوق عادي أسهل للحمل من آلات التصوير التي تعمل على طراز « الالواح الرطبة»، وبعضها الاخر جرى تمويهه على شكل قبعة او كتاب او علبة... او صمم لكي يخبأ تحت المعطف او ربطة العنق. وكانت هذه الكاميرات توصف اجمالا باسم « كاميرات رجال التحري ».



باب الصفا في مكة المكرمة (تصوير محمد صادق 1880)

الفصل الثاني

الصور الأولى في الحجاز المصورون العرب

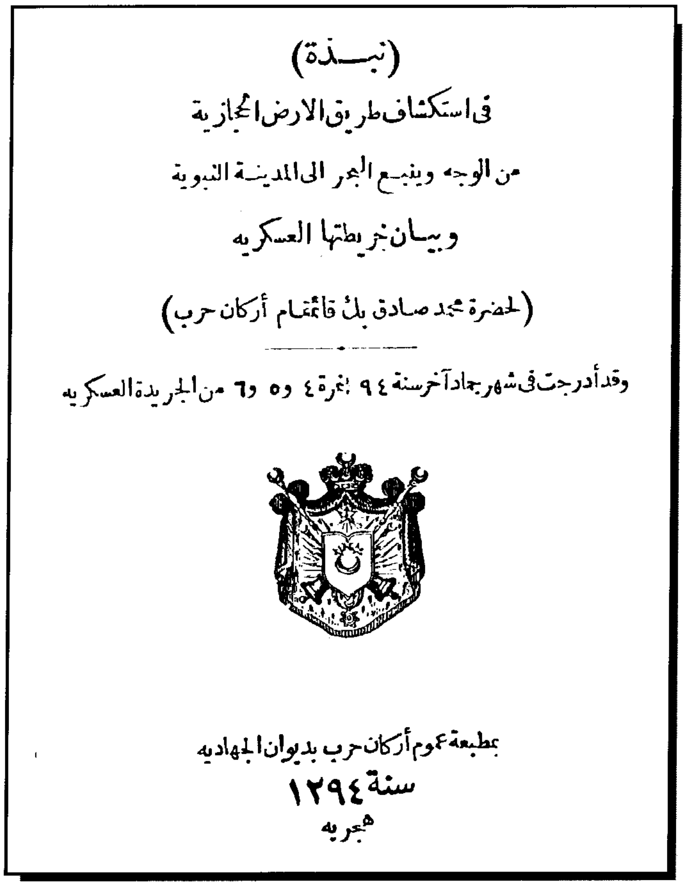
كانت معظم مناطق شبه الجزيرة العربية في النصف الثاني من القرن الماضي مجهولة بالنسبة للمصورين الأجانب ، باستثناء بعض الصور لمدن جدة وعدن ومسقط التي التقطها مصورون كانوا في طريقهم إلى الهند . وعندما أصدر المهندس المصري الميرالاي أركان حرب محمد صادق بك أول أعماله الفوتوغرافية عن مكة والمدينة، لاقت هذه الصور إقبالا شديدًا ونشرت في شتى المجلات العربية والأوروبية .(1)

في الفترة الممتدة ما بين أوائل العام 1861 ونهاية العام 1895 التقط اللواء محمد صادق بك أولى الصور الشمسية لمنطقة الحجاز ، وأصدر أربعة كتيبات (2) عن سفراته مع المحمل المصري إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة ضمّنها معلومات قيمة جدًا عن الوضع الاجتماعي والعمراني في الحجاز خلال تلك الحقبة .

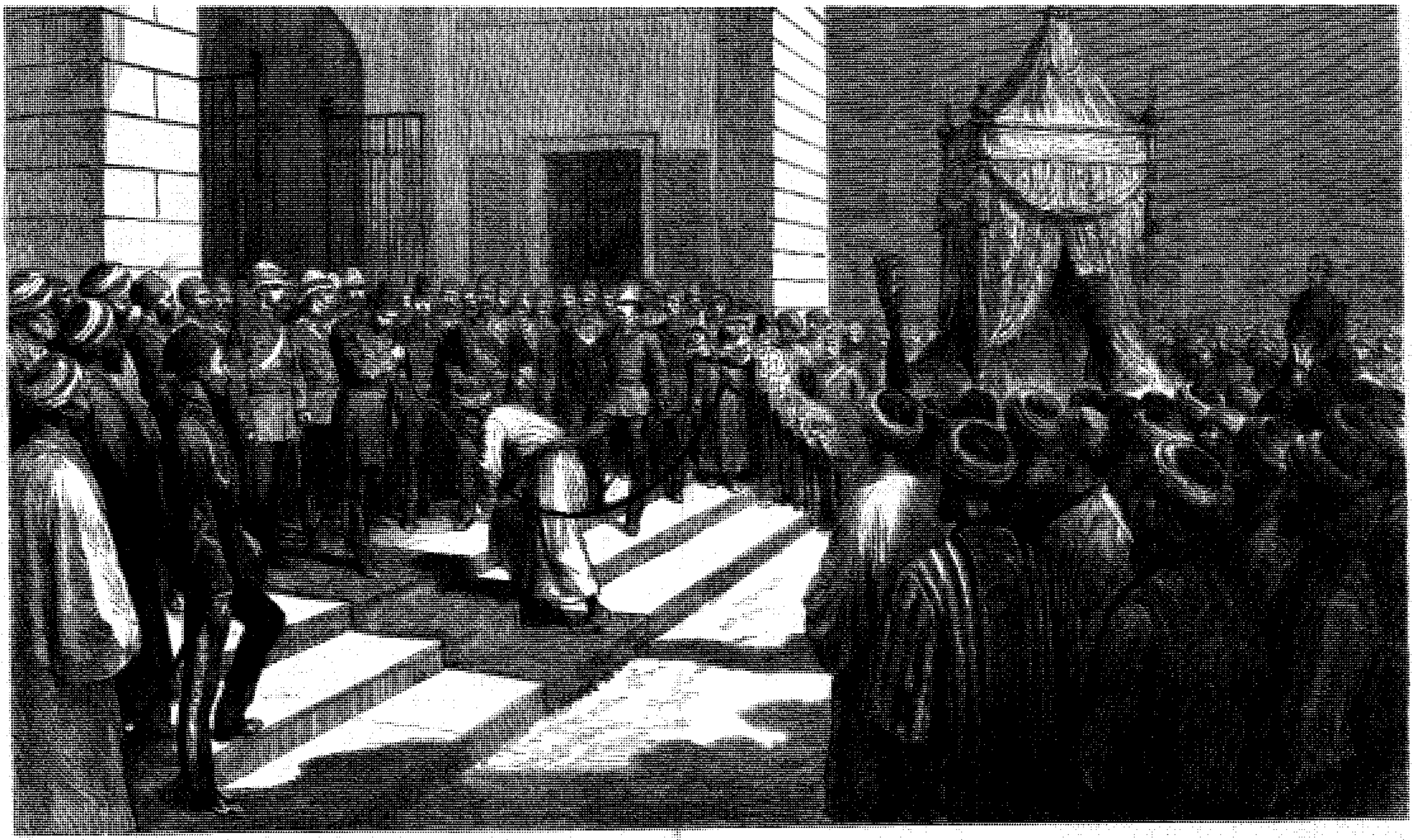
ولد محمد صادق في القاهرة سنة 1832، ودرس في كل من القاهرة وباريس وكان من أبرز العسكريين المصريين الذين قاموا برحلات استكشافية عسكرية إلى الحجاز . وكان عضوا في «الجمعية الخديوية للجغرافيا »، وهو أول من أخذ قياسات دقيقة للقبر النبوي ، ووضع خرائط للطريق من الوجه إلى المدينة. تولى منصب أمين صرة المحمل المصري سنتي 1880 و1885(3) ،وشغل منصب محافظ العريش سنة 1902 . ويذكر نعوم شقير في كتابه « تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها » عن صادق : « قالوا أنه أمضى في العريش شهرين حتى اصيب بضربة شمس وعاد إلى مصر »(4) ، وقد توفي في القاهرة سنة 1902 .

قام صادق بسفرته الأولى سنة 1861 بهدف إجراء مسح عسكري للمنطقة الممتدة بين الوجه والمدينة . ونشرت نتائج رحلته في سلسلة من المقالات في «الجريدة العسكرية» المصرية سنة 1877، واعيد طبعها في كتيب حمل عنوان «نبذة *في استكشاف طريق الأرض الحجازية من الوجه وينبع البحر إلى المدينة النبوية ، وبيان خريطتها العسكرية*» . ويقول صادق أن القصد من رحلته كان «ذكر الاستكشافات العسكرية ، وتشخيص الأماكن والمناخات وتعيين الطرق والمحطات » .(5)

أبحر محمد صادق من ميناء السويس في السادس والعشرين من كانون الثاني 1861 حاملاً معه آلة لقياس


(نبـــذة)
فى استكشاف طريق الارض الحجازية
من الوجه وينبع البحر الى المدينة النبوية
وبيان خريطتها العسكريه
(لحضرة محمد صادق بك قائمقام أركان حرب)
وقد أدرجت فى شهر جماد آخر سنة ٩٤ بنمرة ٤ و٥ و٦ من الجريدة العسكريه
بمطبعة عموم أركان حرب بديوان الجهاديه
سنة ١٢٩٤
هجريه

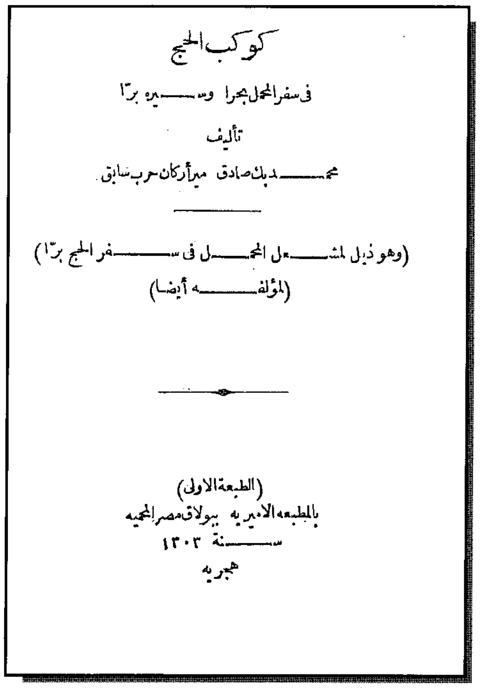
2- كتاب « نبذة في استكشاف طريق الارض الحجازية...».



3- الخديوي توفيق اثناء احتفال مغادرة المحمل الى مكة العام 1882 (حفر عن صورة للفنان ف. فيلرز).

المسافات وميزاناً لقياس درجات الحرارة ، إضافة إلى آلة تصوير. ووصل في الثامن والعشرين من ذلك الشهر إلى ميناء الوجه الذي وصفه بقوله : «إنه ميناء متوسط معد للسفن وبه برج به مدافع على جبل شاهق مشرف على البحر، وذلك الجبل من حجر أصم أصفر في ارتفاع أحد وخمسين مترا يصعد له بطريقين احدهما من جانب البرج والآخر من الطريق الموصلة للقلعة وله سفح متسع تنزل به القوافل ولقد نزلنا به وفيما بين الجبل والميناء بيوت صغيرة».(6) وسرد صادق تفاصيل رحلته من ميناء الوجه إلى المدينة المنورة، فذكر الأماكن والمحطات التي توقف فيها واصفاً طبيعة المنطقة بجبالها ووديانها وآبارها وقلاعها .

كما قدم محمد صادق وصفاً للمدينة المنورة ولدخول المحمل اليها، فقال : «دخلنا اضاحي المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، وهي بقعة في غاية الاتساع وعلى مرأى العين منها جبال شاهقة ، وهذه البقعة كادت أن تكون كبستان محدق بأشجار وانهار وفي وسطها المدينة المنورة النبوية محاطة بسور عظيم مشيد منيع والحرم النبوي بوسط المدينة كمشكاة فيها مصباح وقبته الخضراء ترى من بعد كأنها قباب ملك وسط معسكره ، والمنارات الخمس كاعلام النصر يحصل للرائي عند مشاهدتها الانشراح والسرور ... وجبل سلع غربي المدينة وباب المدينة تجاه الطريق يسمى الباب الشامي وعلى بعد مائة متر منه باب المناخة ، والمناخة محل متسع من ضمن المدينة يقفل به الحج وبينها وبين المدينة سور به باب كبير يوصل ايضا لداخل المدينة . وبعد النزول بالمناخة دخلت من باب المدينة إلى السوق ووجدت به دكاكين من الطرفين على هيئة قيسرية ممتدة إلى



كوكب الحج

في سفر المحمل بحرا وسيره برًا

تأليف

محمد بك صادق ميرأركان حرب سابق

(وهو ذيل لمشعل المحمل في سفر الحج برًا)

(لمؤلفه أيضا)

(الطبعة الاولى)

بالمطبعه الاميريه ببولاق مصر المحميه

سنة ١٣٠٣

هجريه

4- كتاب « كوكب الحج في سفر المحمل بحراً وسيره براً».



5- محمد صادق (1832 – 1902).

باب الحرم المسمى بباب السلام وبيساره سوق آخر موصل لباب الرحمة وباقي الأبواب ليست بالأسواق ، وعرض أزقة المدينة أقل من خمسة أمتار» .(7)

وضع محمد صادق خريطة تفصيلية للحرم النبوي نشرها في كتابه ، وذكر واصفاً الحرم بأنه «مهيب مزخرف تتلألأ فيه الأنوار موضوع بشكل جميل طوله من داخل مئة وخمسة وخمسون ذراعاً اسلامبولياً وعرضه من جهة القبلة مائة وخمسة عشر ذراعاً ومن الشمال ثمان وثمانون ذراعاً ، احجاره تجلب من جبل بالقرب من المدينة ، وعواميده مجصصة مغطاة بادهان ونقوش ولم تكن أعمدة من رخام لعسر نقلها من محلها وارضه مفروشة بالرخام. والحرم له بابان من الجهة الغربية وهما باب السلام في ابتداء الجدار الغربي من زاويته القبلية وفوقه مأذنة ويبتديء الزائر بالدخول منه ، وفي وسط الباب الثاني وهو باب الرحمة وخارجه مأذنة صغيرة وحنفيات للوضوء » .(8)

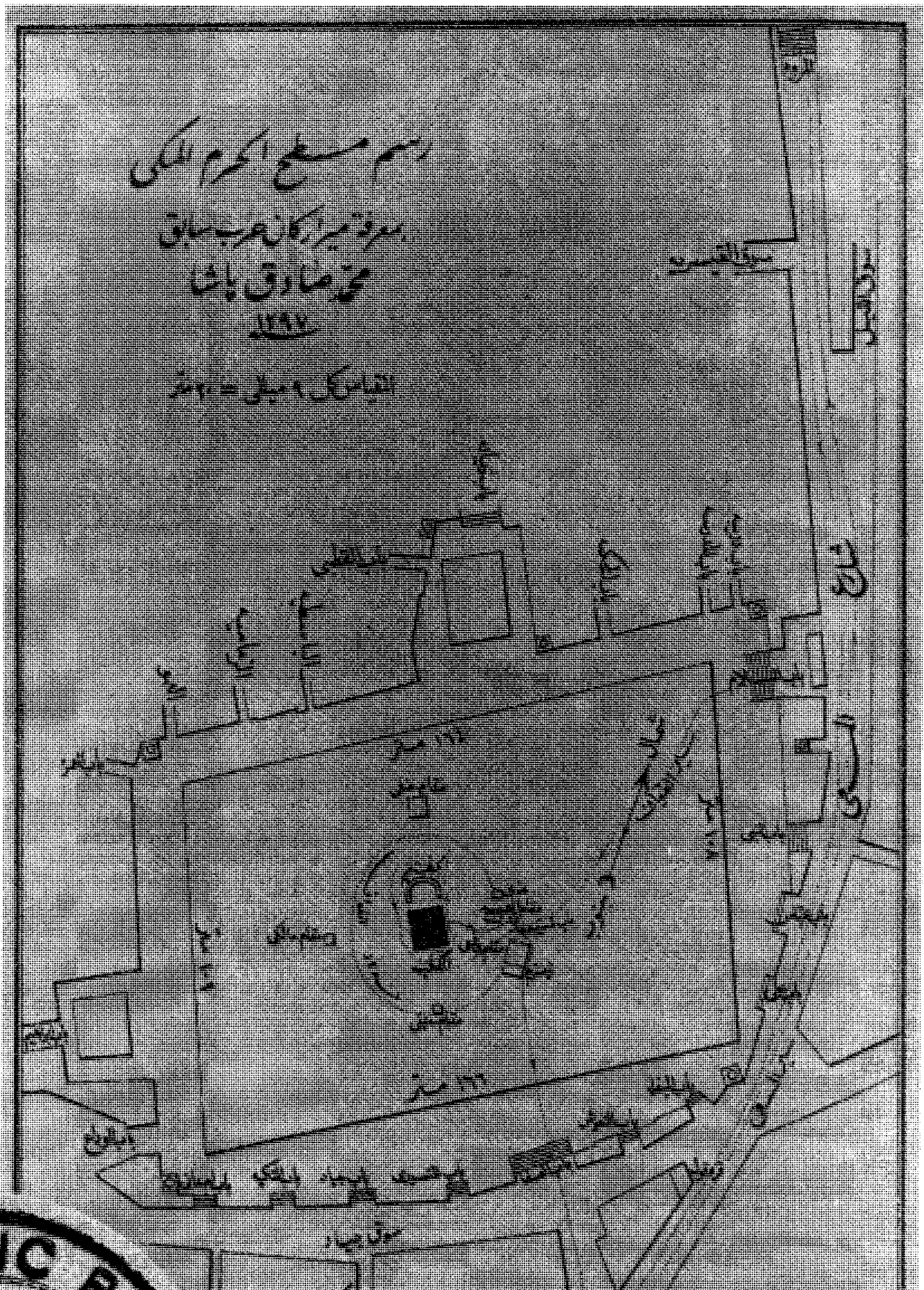
واعتبر محمد صادق نفسه بأنه أول من التقط صوراً فوتوغرافية في المدينة المنورة فقال : «اخذت رسم المدينة المنورة بواسطة الآلة الشعاعية المسماة بالفوتوغرافية مع قبة المقام الشريف جاعلا نقطة منظر المدينة من فوق الطوبخانة (مكان لنصب المدافع) حسبما استنسبته لكي يحوز جزءاً من المناخة ايضا ، وأما منظر القبة الشريفة فقد أخذته من داخل الحرم بالآلة المذكورة ايضا ، وما سبقني أحد لأخذ هذه الرسومات بهذه الآلة أصلاً » .(9)

وتحدث عن الصعوبات التي واجهها خلال عملية التصوير معتبراً إن تفاوت درجات الحرارة كان يؤثر سلبا في نوعية التصوير قائلاً : «كانت الحرارة داخل الخيمة 28 درجة من الترمومتر الثمانيني (توازي 35 درجة مئوية) . وفي الصباح بلغت الحرارة درجة الصفر داخل الخيمة ، في حين كانت خارج الخيمة اربعة تحت الصفر وقارب الماء أن يتجمد » .(10)

وتناول صادق المدينة واهلها قائلا : « ... فيها كثير من التكايا والخانقاهات (خانات للاقامة) والزوايا، وبيوتها غير متسعة ووضعها تجاري بدون حيشان في الغالب ، واغلبها طبقتان ويوجد بها ثلاث طبقات ، وقل أن يوجد بها طبقة واحدة ، وأكثر شبابيكها خرط دقي ولون أهلها السمرة المائلة إلى السواد ، وبعضهم اسمر فاتح ويوجد فيهم البيض وتغلب عليهم النحافة، وهم قوم ارقاء ظرفاء يحبون من هاجر إليهم وتجارتهم تجلب إليهم مع الحجاج من كل نوع ، وبها تجارة معتبرة ويوجد بها من التمر ما لا تكاد تحصر انواعه لكثرة النخيل المحيط بها وفواكهها نادرة ...» .(11)

الرحلة الثانية : « مشعل المحمل »

عاد محمد صادق في أيلول 1880 مرة ثانية إلى مكة والمدينة برفقة المحمل المصري سالكا هذه المرة الطريق البري عبر العقبة ، وأحضر معه أيضا معدات علمية وآلة تصوير. ووصف رحلة الحج هذه في كتابه «*مشعل المحمل في سفر*



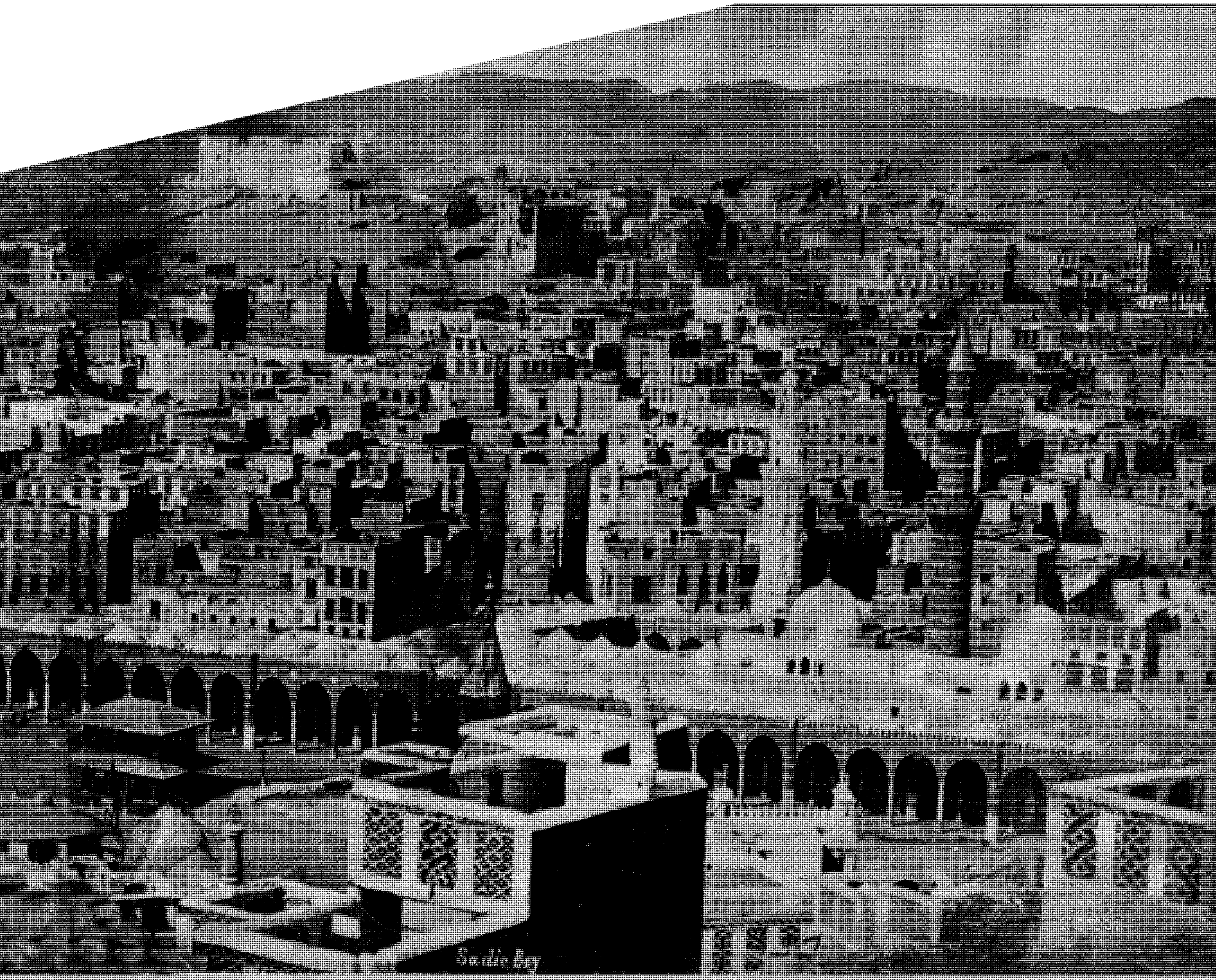
7- رسم مسطح *الحرم*
كما وضعه محمد صادق 1861 .



6- ختم *المصور* محمد صادق بك.

الحج برًا ، الذي طبع في القاهرة العام 1880، وكان كسابقه مزينا بالصور الفوتوغرافية التي التقطها بنفسه .

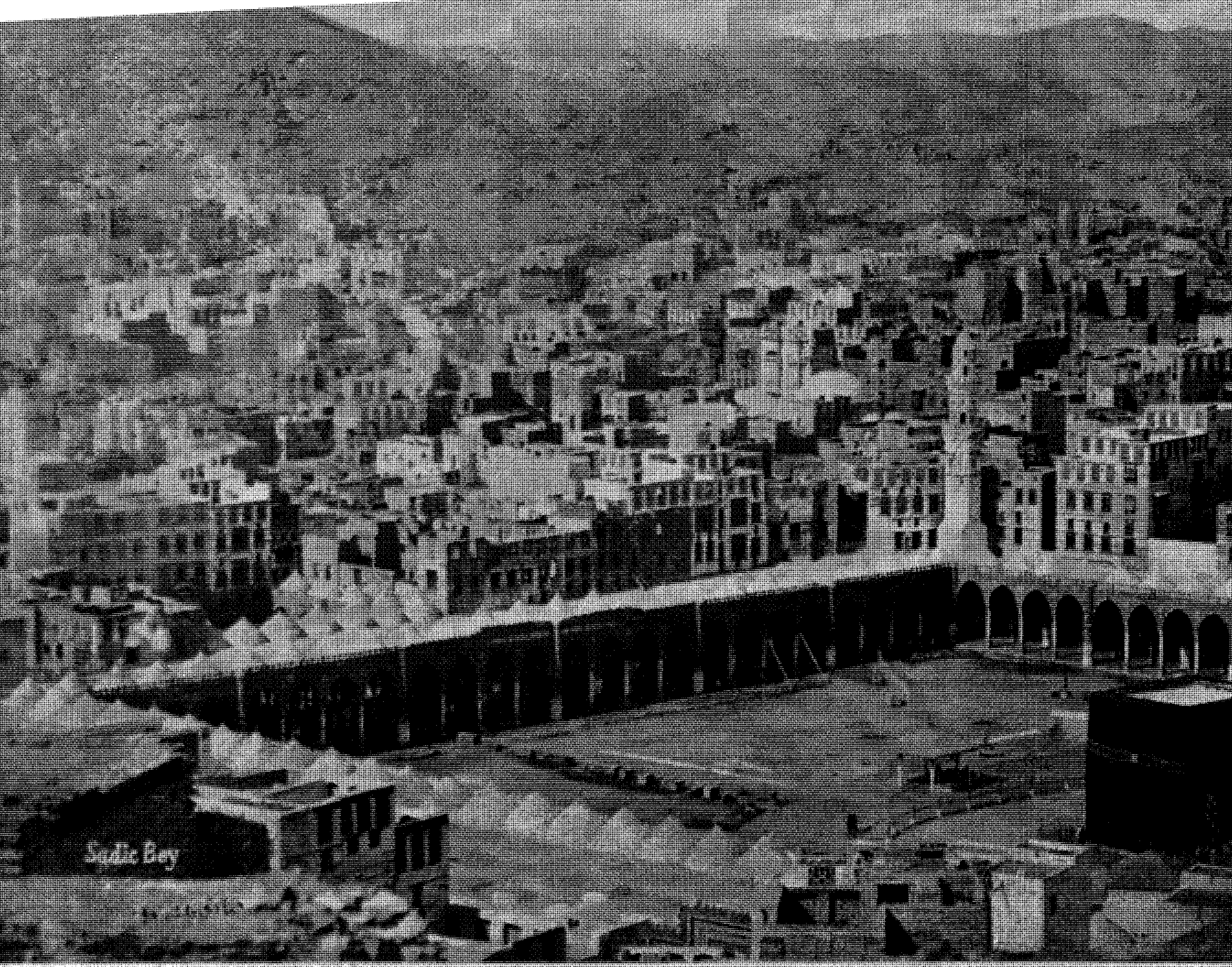
ذكر محمد صادق في هذا الكتاب أنه عُين امينا للصرة سنة 1880 ، في حين كان اللواء عاكف باشا اميرًا للحج ذلك العام . وفي شهر ايلول غادر المحمل مصر بعد حفلة وداع رسمية بحضور الخديوي محمد باشا توفيق . وجاء في مقال لمحمد صادق نشرته نشرة الجمعية الخديوية للجغرافيا في ايار 1880 ان ولي عهد مصر سعيد باشا كان



8- منظر عام للحرم الشريف ولمكة المكرمة (تصوير محمد صادق 1880).

على رأس موكب الحج المصري، وكان برفقته عدد من باشوات مصر، اضافة الى حاشية ضخمة من الحراس وبحوزتهم ثلاث قطع مدفعية اضافة الى مساعدين صحيين وطباخين وسقائين وفراشين وثلاثمائة جمل محملة بمياه النيل والاطعمة التي تكفي حوالي مئتي شخص. ووصف صادق في كتابه بالتفصيل طرق الحج ومناسكه ، وذكر أن أول من أرسل الصرة إلى الحرمين الشريفين المقتدر بالله من الخلفاء العباسيين ، وأول من كسا الكعبة كرب بن معد ملك حمير من ملوك اليمن ، وأول من كساها بالديباج وقاية من السيل عبد الملك بن مروان ، ثم جددها المأمون من الابريسم الأسود . وسنة 750هـ (1347م) اشترى الملك الصالح بن الناصر بن قلاوون ملك مصر ثلاث قرى من القليوبية ووقف ريعها على كسوة الكعبة ، واشترط في وقفه أن تكون من الحرير الأسود وتصنع سنويا وترسل .(12)

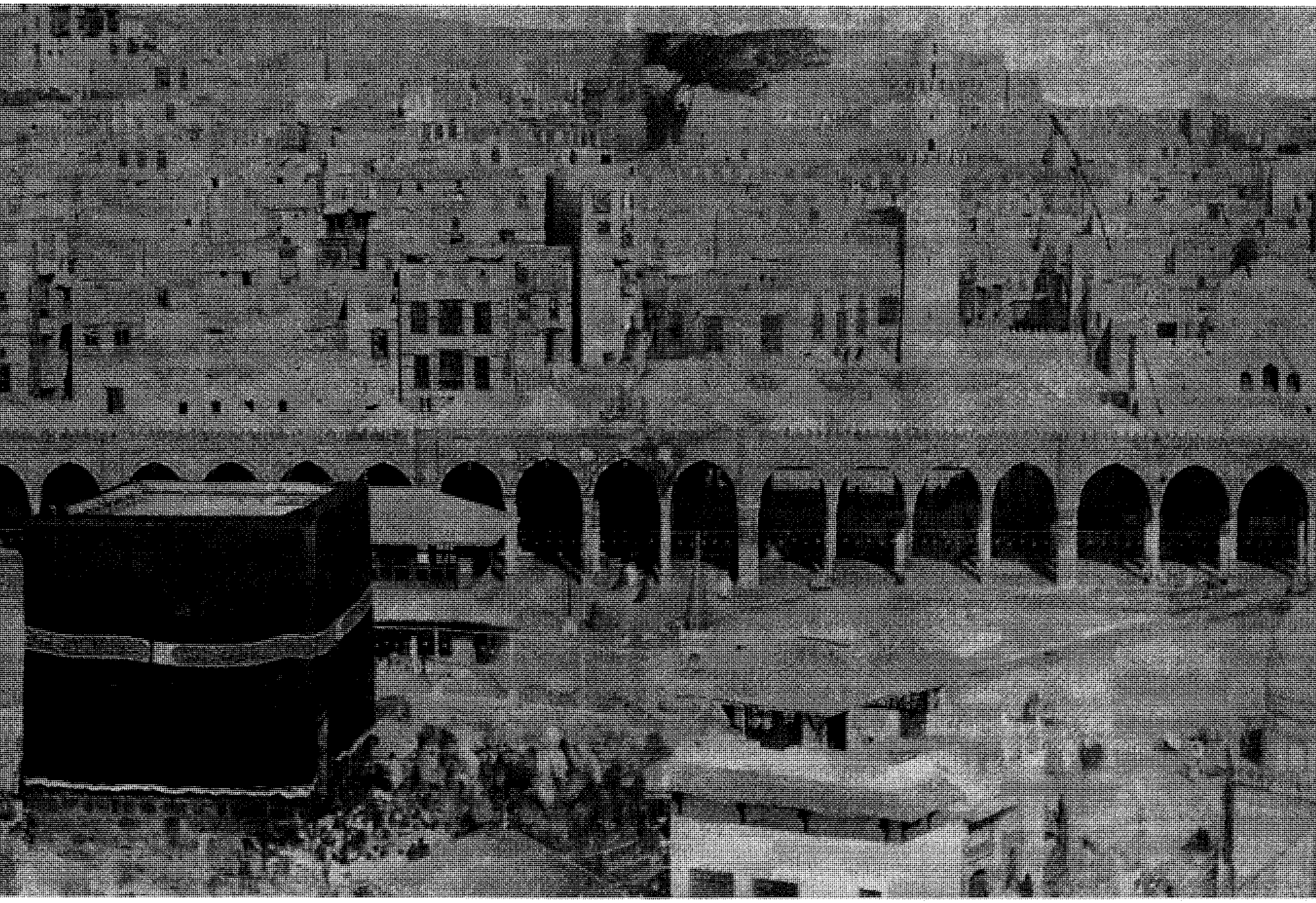
واضاف محمد صادق أن شجرة الدر ارادت الحج سنة 645 هـ (1247م) فصنع لها هودج مربع لجملها وكسي بالحلل فسمي بالمحمل . ومن ثم جرت العادة أن يخرج المحمل



كل عـام إلى الحج . أمـا مـحـمل الشـام فـأول من وضـعـه السلطان سليم سنة 923هـ (1517م) ، وكـانت كـسـوته من الأطلس الأخضر المزركش، أما كسوة المحمل المصري فكانت من الأطلس الأحمر المزركش .

وصف صـادق في كـتـابه الحـرم الشـريف ومـدينة مكة المكرمة وصفاً جغرافياً مفصلاً ، وقال عن مكة أنها : «بلدة كبيرة محاطة بالجبال بيوتها تجارية عالية بها خمس طبقات تبنى بالحجر الجص الأصم، ليس لها حوش . وبمكة خانات ووكايل وحمامات ، وشوارعها ضيقة بدون انتظام ما عدا شارعا مشهوراً مبتدؤه الشيخ محمود مارا بباب العمرة إلى أمام التكية المصرية ، ثم على طريق القشاشية وسوق الليل إلى آخر مكة من جهة المعلاة ، وعرض الشارع يكون تارة ثمانية أمتار وتارة عشرة ، وتارة عشرين متراً» .(13)

أما بالنسبـة لنشاطه الفوتوغرافي ، فذكر صـادق أنه استطاع التقاط العديد من الصور الشمسية في مكة والمدينة ومنى ، من بينهـا صـور للابنيـة من الداخل ولبـعض الشخصيات . وقال في هذا المجال : «جرت العادة أن كسوة

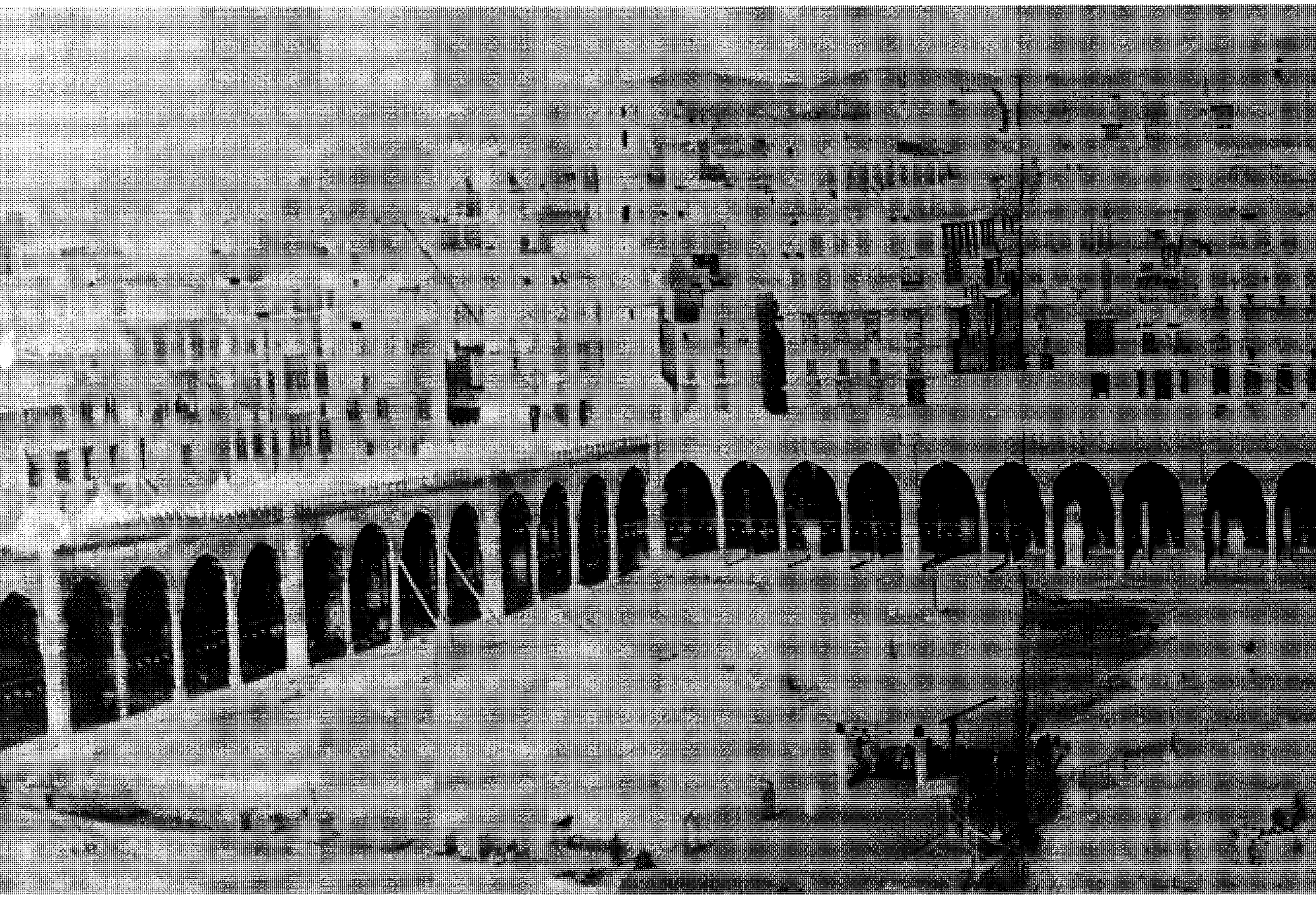


9- منظر عام للحرم الشريف (تصوير محمد صادق 1880).

البيت تكون في آخر العام لحضرة الشيخ عمر الشيبي من بني شيبة الموكل بمفتاح بيت الله المكرم وخدمته . وقد رسمت بالفوطوغرافيا صورة حضرة الشيخ عمر المذكور ، وارسلتها إلى حضرته مع الأبيات من قولي :

«قلبي يصور شخصكم في كعبة
بنيت على الرحمان والأنوار
فالقلب مشتعل بنار فراقكم
أو ليس كل مصور في النار
بيدي رسمت مثالكم في رقعة
أملا لقرب الود والتذكار» (14)

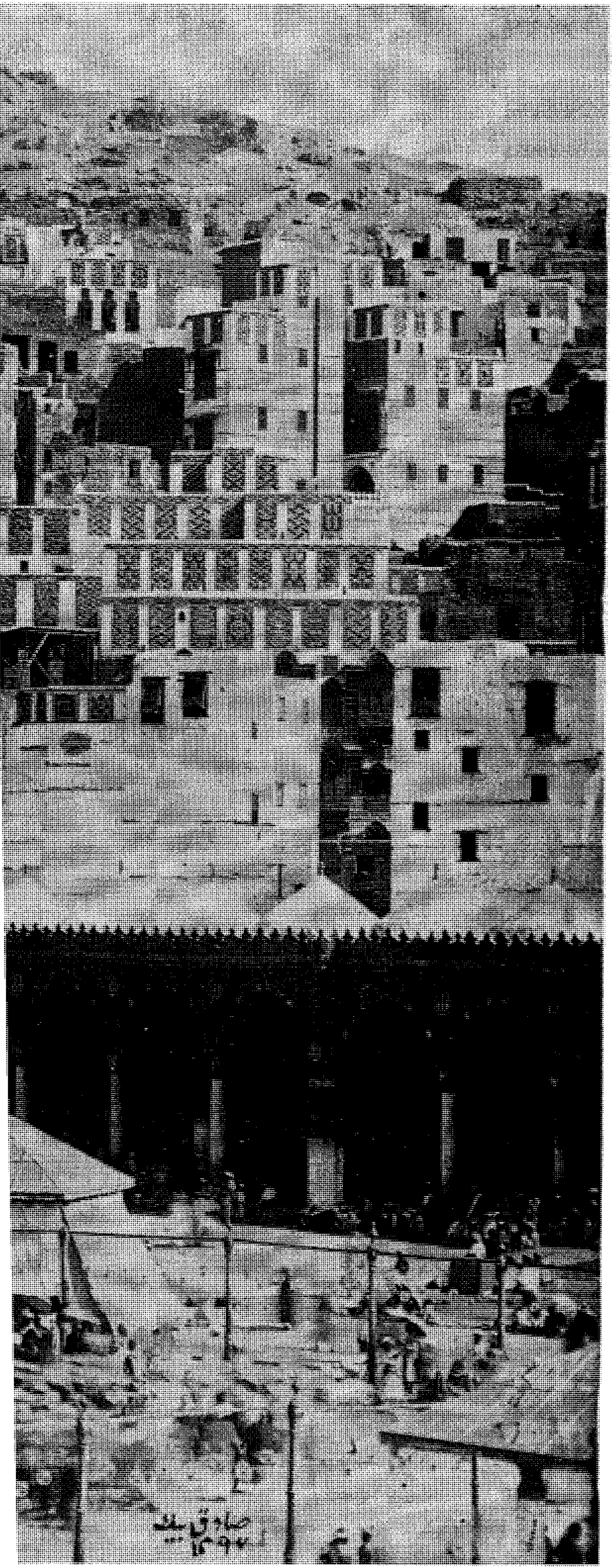
واشار صادق في كتابه إلى اضرحة مقبرة مكة (المعلاة) وقال أنه «رسم منظر المقبرة بالفوطوغرافيا»، كما أنه تيسر له التقاط صور للمسجد المكي والكعبة على رغم كثرة الازدحام. وأضاف : «تيسر لي أخذ خريطة الحرم السطحية بالضبط



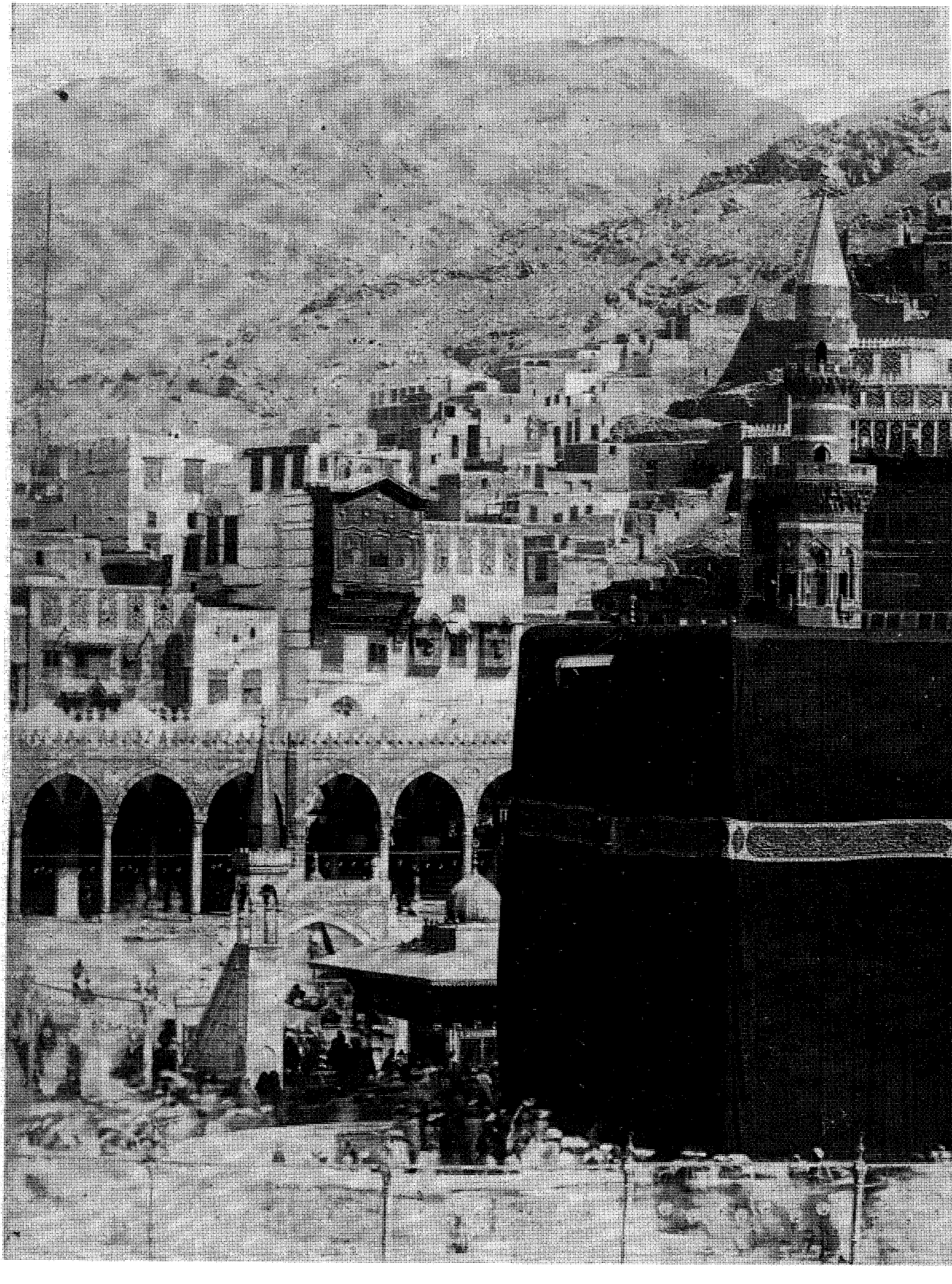
والتفصيل ، واخذت أيضا رسم المدينة المنورة بالفوطوغرافيا مع قبة المقام الشريف والخمس منارات ، وقد اخذت منظر القبة الشريفة من داخل الحرم ، واخذت أيضا صورة سعادة شيخ الحرم وبعض اغوات الحجرة الشريفة وما سبقني أحد لأخذ هذه الرسومات بالفوطوغرافيا أصلاً» .(15)

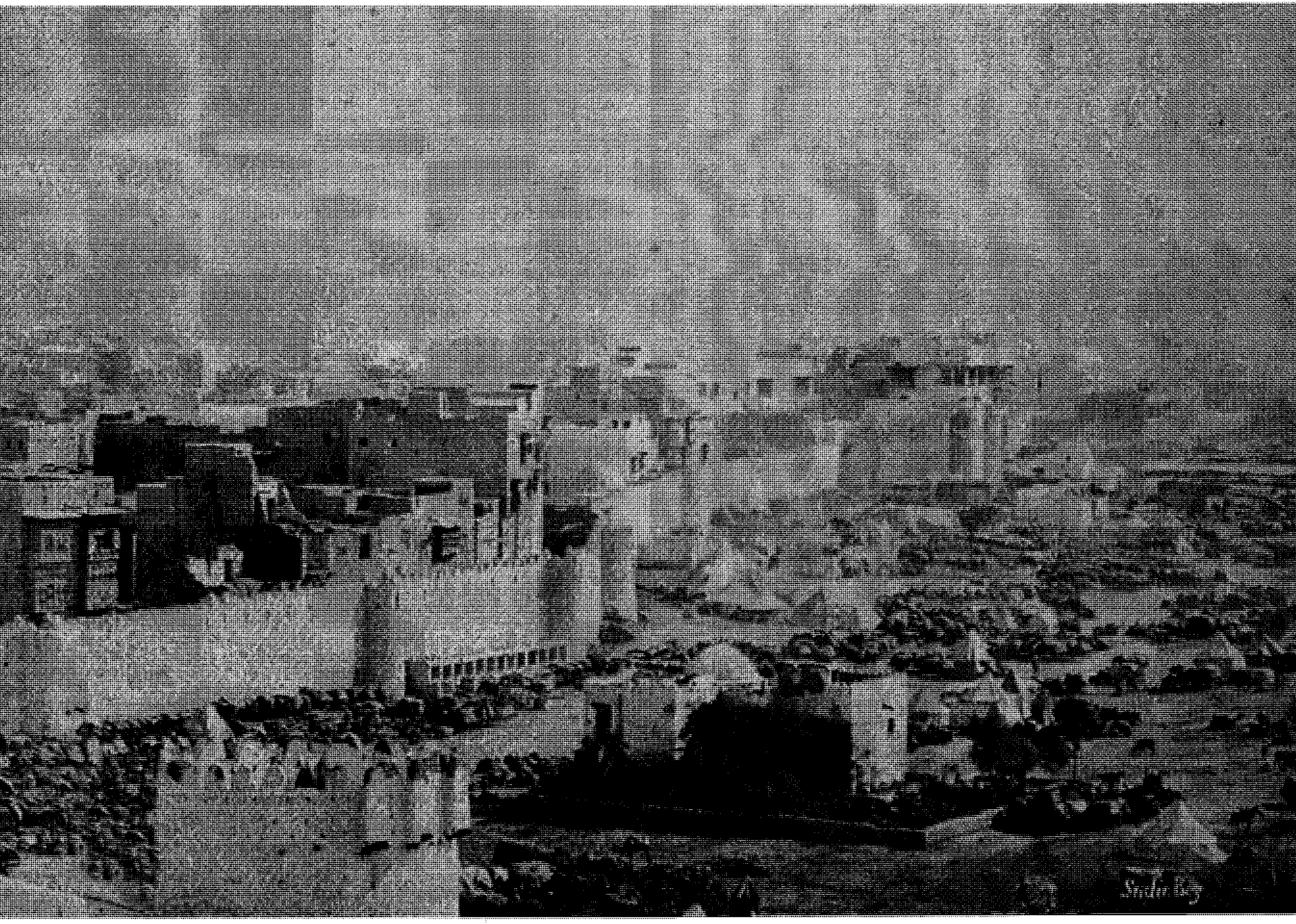
وتابع يقول: « ... وقد تيسر لي رسم مسطح الحرم بالبيان وأخذ رسم منظره من جملة جهات مع ما حوله من البيوت بواسطة آلة الفوطوغرافيا» .(16) وذكر كذلك أنه التقط صوراً «لمسجد الخيف وبقعة منى بالفوطوغرافيا» .(17)

وتحدث محمد صادق في كتابه أيضاً عن لقائه ببعثة عسكرية عثمانية مؤلفة من ستة ضباط كان احدهم مصوراً فوتوغرافيا يدعى علي بيه ، فقال : «... وقد اجتمعت بمكة بحضرة علي بيه قائم مقام اركان حرب وفوطوغرافجي بعساكر الشاهانة الآتي مع خمسة ضباط من أركان حرب إلى مكة لأخذ رسم خريطة البقاع وبعض مناظر فوطوغرافية بها وبالطائف ثم أخذ رسم الطريق الموصلة منها إلى المدينة وما



10- *الطواف حول الكعبة (تصوير محمد صادق 1880).*





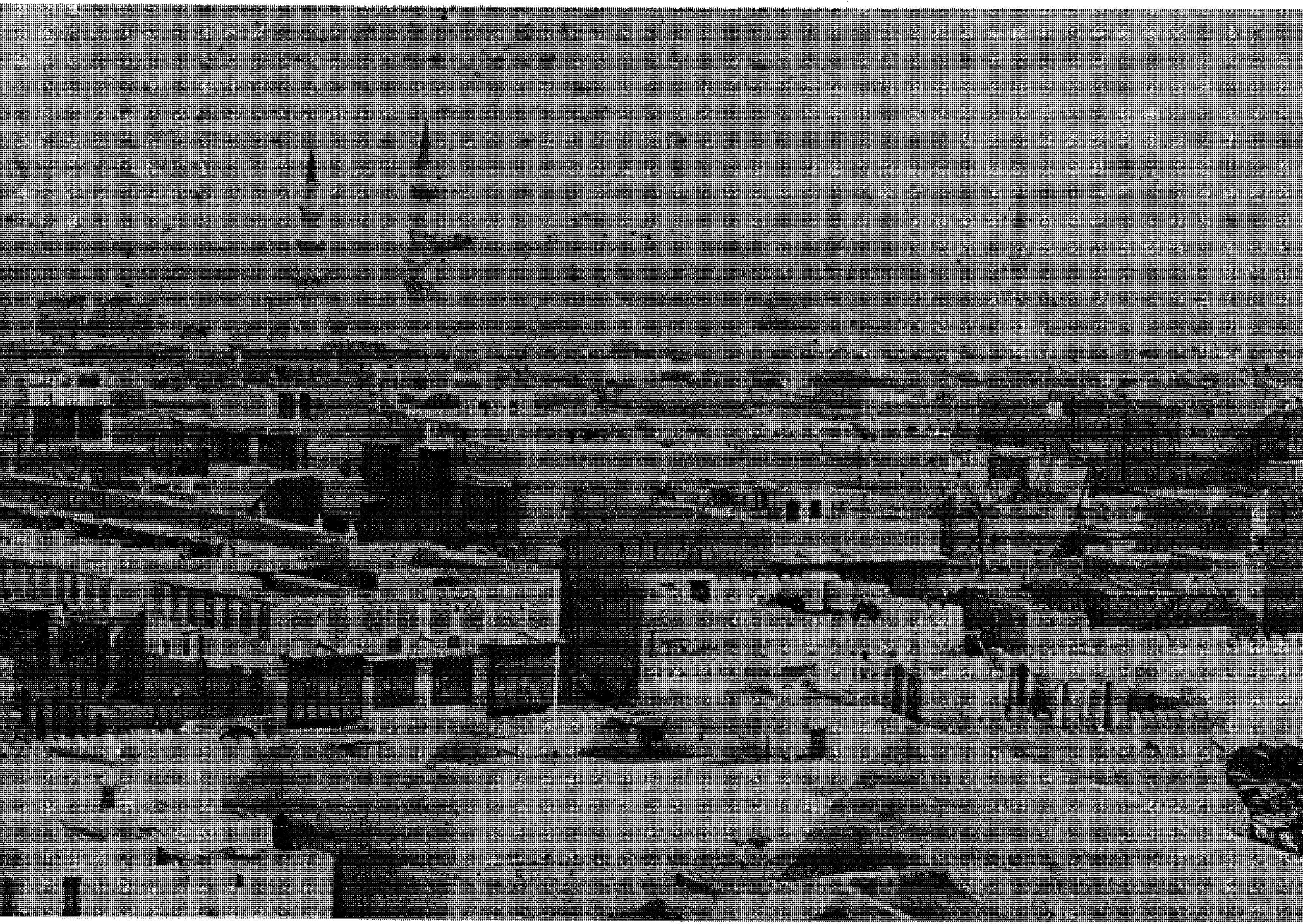
11- منظر عام للمدينة المنورة (تصوير محمد صادق 1882).

يلزم».(18)

وهناك احتمال كبير في أن تكون صور المدينة التي نشرت في كتاب د.ج. هوغارث تحت عنوان «*اختراق شبه الجزيرة العربية* » (لندن 1905) The Penetration of Arabia التي يقول هوغارث أن ملتقطها هو «ضابط تركي صورها في حوالي سنة 1880 ...»(19) ، من تصوير الضابط علي بيه نفسه .

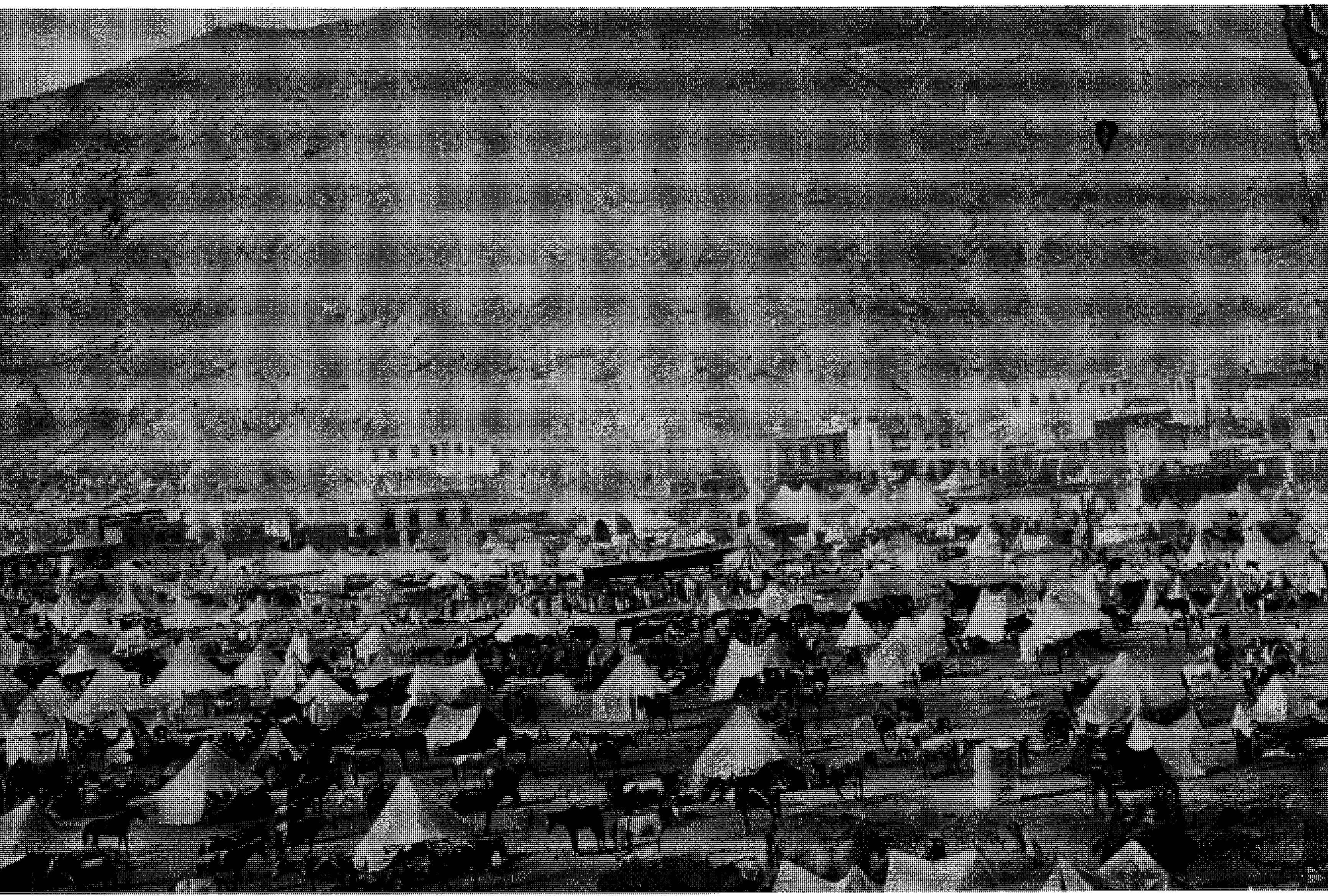
الرحلة الثالثة: «كوكب الحج»

وفي سنة 1884 قام محمد صادق برحلة حج ثالثة برفقة المحمل المصري سالكاً الطريق البحري ، نشر تفاصيلها في كتابه «*كوكب الحج في سفر المحمل بحراً وسيره براً*» . وذكر أنه التقط صوراً عدة خلال هذه الرحلة ، ووصف وصوله مع المحمل إلى مرفأ جدة بقوله : «... رسا الوابور امام بوغاز جدة فضربت الموسيقى والطبول والمدافع فرحا بالوصول



ونقل ما في الوابور إلى البر في القطاير لعدم اسلكة هنالك فيقف بعيداً عن البر بميلين اعني ربع ساعة ... واقبل الليل والحجاج مقيمون امام الكمرك وفي الصباح ركب المحمل من امام ديوان الكمرك في محفل عظيم ودخل من باب البلدة المسمى بباب الكمرك، ولعدم كفاية ارتفاعه لمرور المحمل هدم منه ما لزم هدمه ومر بطريق من بحري البلد عرضها من خمسة عشر متراً إلى عشرين والسور عن يساره».(20)

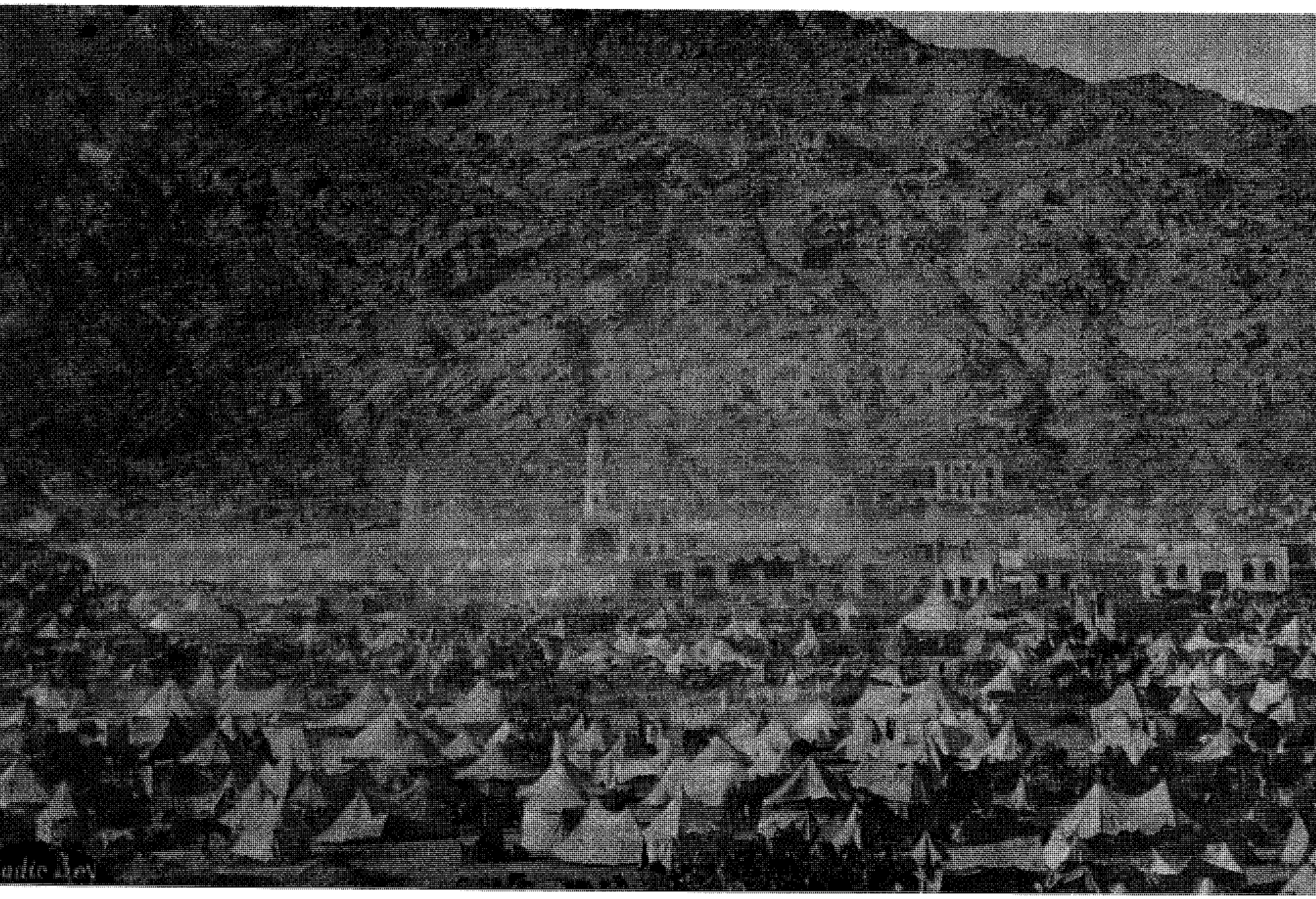
ووصف صادق مدينة جدة بقوله: «البلد محاط بسور له خمسة اضلاع احدها وهو القبلي 810 متر وأما الغربي فهو 576 متر والبحري 675 متر والشرقي 504 متر والشرقي القبلي 315 متر وارتفاعه نحو اربعة امتار والجبانه خارج سور البلد بالقرب من القشلاق محاطة بسور طوله 160 متراً مربعاً وفي وسطها ضريح أمنا حواء عليها السلام طوله 150 متر وعرضه 4 أمتار محاط بجدار ارتفاعه متر وعلى كل من طرفيه قبة اشارة إلى الرأس والسرة والقدمين ويضعون على قبورهم الصبارة. ومنازل البلد نحو الفي منزل مبنية بالدبش



12- منظر عام لخيم الحجاج في منى (تصوير محمد صادق 1880).

المحمول من خارج السور من الأرض ومن البحر والمون من طينة البحر فقط لأنهم يبنون بها بعد عجنها جيداً بيوم فتصير أجود وامتن وبيوتهم تجارية ليس لها حيشان ذات دورين وتارة ثلاثة أدوار بل أربعة وخمسة وسمك جدران الدور الأرضي ثمانون سنتيمتر وارتفاعها أربعة امتار ونصف والوجهة عندهم مركبة من رواش اعني شبابيك ومشربيات من الخرط في غاية الظرافة وحسن المنظر مع قلة اثمانها، وحاراتها غير منظمة متران فأكثر وشوارعها من عشرة امتار إلى خمسة عشر وارضها مستوية غير محجرة وبها مجاري لتصريف مياه الأمطار التي تستمر فيها نحو شهرين أو ثلاثة، وفي خارج البلد وفي بيوتها صهاريج مبنية نحو ثمانمائة تجتمع فيها مياه المطر وتغلق إلى وقت الحج للتجارة فيربحون فيها ربحاً جسيماً» .(21)

وقدم محمد صادق في كتابه معلومات قيمة عن طبيعة المناطق التي مرّ فيها المحمل ، والمدن والقرى التي تسنى له زيارتها ، فقال مثلاً عن الطائف : «... والطائف بلدة بينها وبين مكة ثمان عشر ساعة تحتوي على اربعمائة دار وعدد من بها من النفوس الفان تقريباً ، وهي محاطة بالبساتين والجنان

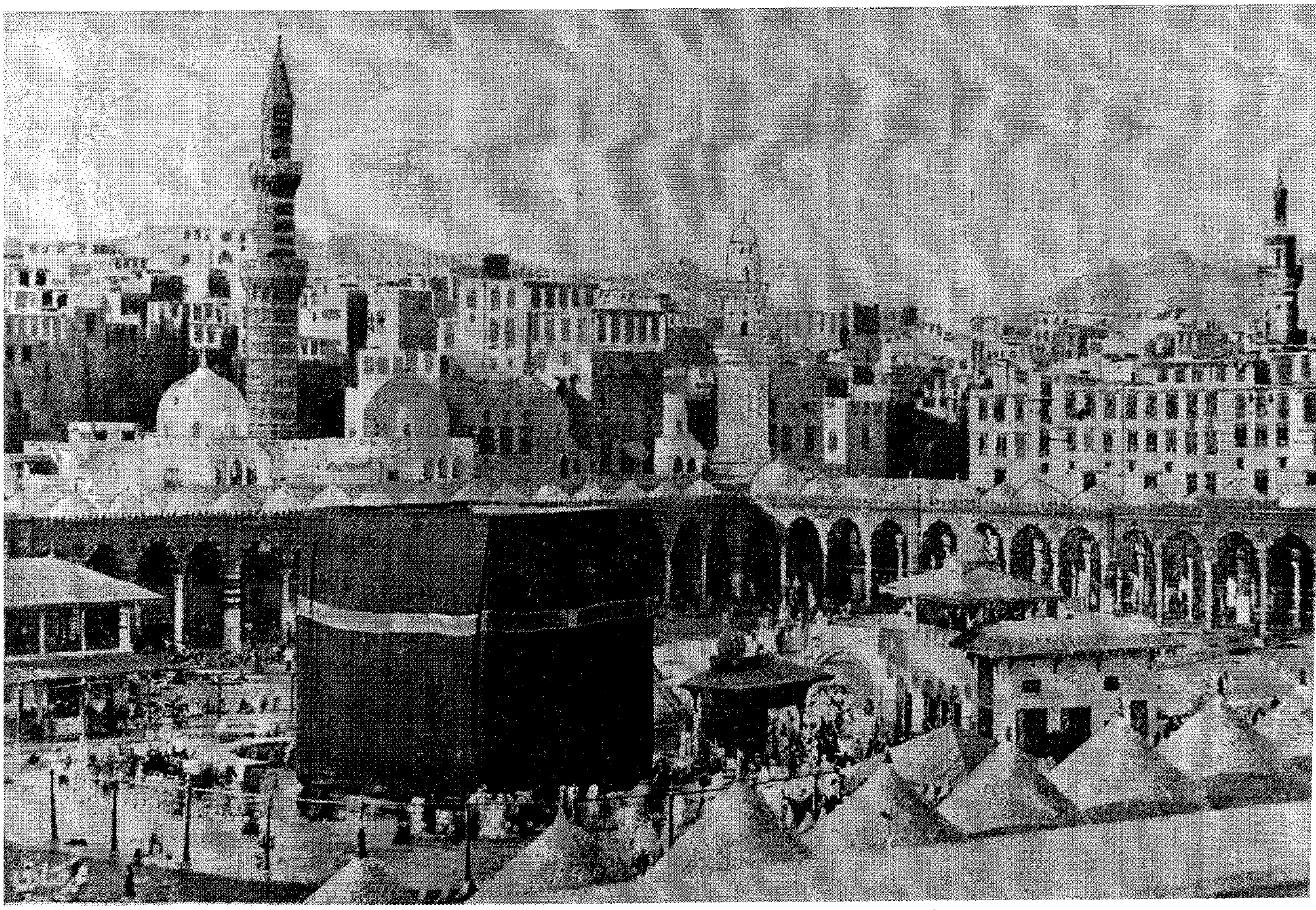


شهيرة بالفواكه وفيها جامع كبير ...» .(22)

وكرر وصفه لمكة في هذه الرحلة مقدماً معلومات جديدة بقوله : «إن مكة يقطع الماشي طولها في نحو نصف ساعة وأن عرضها أقل من طولها ولكن لوجود أماكن على كيمان كل من جانبيها يلزم لقطع عرضها زمن أكثر من الزمن الذي يقطع فيه طولها، وأن سكانها اخلاط من الجاوا والهنود والمصريين والاتراك والتكارنة واهل اليمن والعربان ، وأن الاقوات والتجارات تأتي إليهم من الخارج وتجارهم من الغرباء وخصوصا الجاوا لغناهم وتدينهم واغلب سكانها ما بين مطوف وسقاء وبناء ونجار ومن عوائدهم اجتماع بعضهم بعد الحج ببعض للخروج إلى النزهة بالطائف وبالسيدة ميمونة».(23)

وأورد صادق وصفاً دقيقاً لوصول المحمل إلى المدينة وللاحتفالات التي رافقت ذلك : « ... دخل (المحمل) باب المدينة المسمى بالعنبرية ونزل بمكانه المعتاد والعساكر الشاهانية مصطفة على جانبي الطريق خارج الباب لاستقبال المحمل وموسيقاها تتغنى بكل الألحان والأنغام فرحاً بالوصول إلى أرفع مقام ... ». واضاف: «... كان المحمل محاطاً بالخيالة

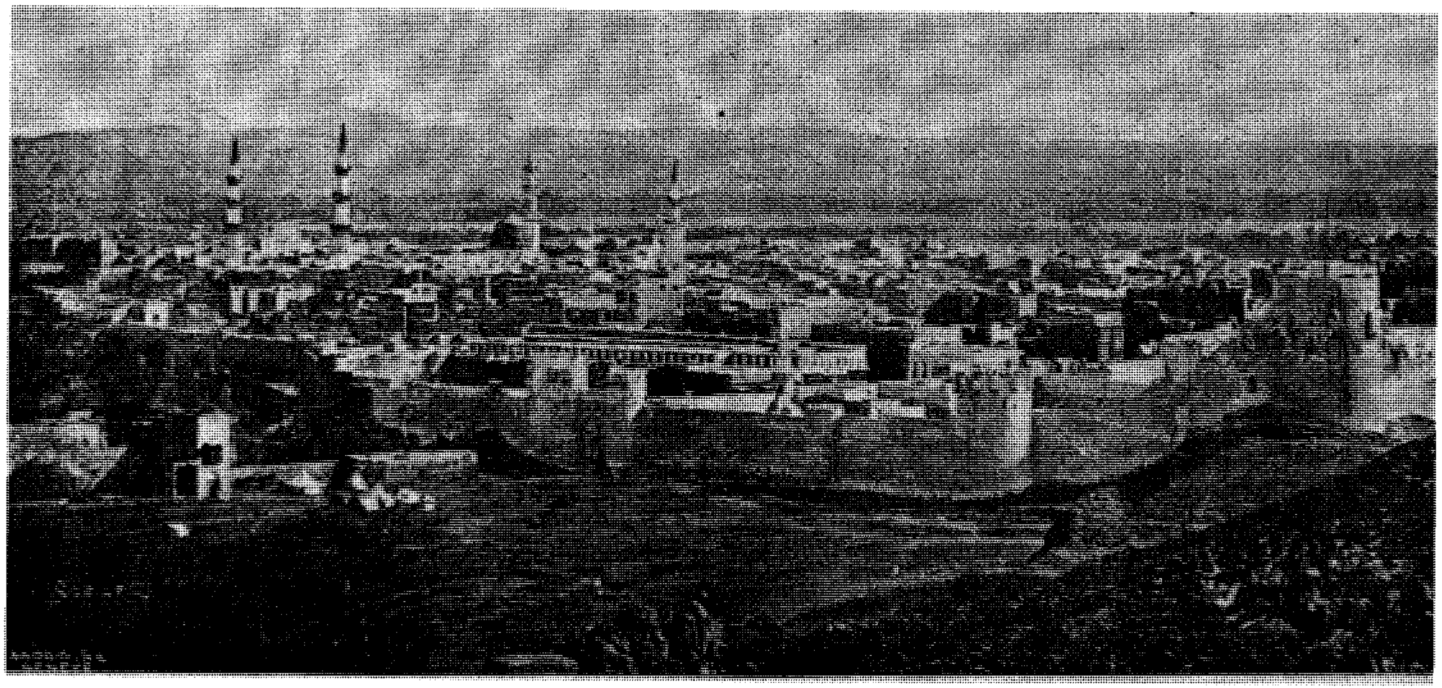
وامامه العساكر الشاهانية وعساكر المحمل وموسيقاها في غاية الانتظام وأهل المدينة فرحون بذلك ومسرورون السرور التام والمحمل يتبختر تبختر العروس فيشرح بمرآه الصدور ويسر النفوس حتى وصل المناخة كما هي عادته في كل عام فاطلق من الطوبخانة أحد عشر مدفعا للسلام، وعند دخوله من الباب المصري ترجل كل راكب اجلالا لصاحبه وقام كل



13- الجهة القبلية والغربية من الكعبة (تصوير محمد صادق 1880).

قاعد ومر في شارع المدينة والبخور امامه صاعد حتى وصل إلى باب السلام فاستلم شيخ الحرم سعادة عادل باشا من الحاملي الزمام واناخه امام العتبة التي تحيا بالقبل فرفع المحمل من على الجمل وادخل الحرم الشريف إلى محله المعتاد في كل عام فرفع عنه متوظفوه كسوته وحملوها وعليهم الجبب البيض والعمائم في غاية التأدب والاحتشام حتى ادخلوها حجرة المصطفى فتكاملت لهم بزيارة قبره عليه الصلاة والسلام المسرة وعمهم الصفاء ...» .(24)

واشار صادق في أكثر من مناسبة إلى نشاطه الفوتوغرافي ، كما افاض في تحديد المسافات بين المواقع التي مرّ بها. وفي ختام رحلة الحج الثالثة قدم لنا وصفاً لميناء الوجه قائلاً : « كان بها الوابور المسمى بالمنصورة



14- منظر المدينة المنورة من جهة الباب الشامي (تصوير محمد صادق 1880).

منتظراً الركب ليوصله إلى السويس ، وهذه المينة المذكورة عبارة عن سوق مستطيلة على يسارها دكاكين وقهاوي على البحر وعلى يمينها سطح مرتفع به بعض بيوت وطابية فيها اربعة من الطوبجية وستة انفار ومدفعان من الحديد من الطراز القديم وكان بها برج قديم ثم هدم والآن جاري بناؤه بمقاولة 2256 جنيه وارتفاعه عن سطح البحر اثنا عشر متراً ونصف وعن القاعدة ستة أمتار ... وعدد الاهالي نحو الف نفس وبها من الصهاريج خمسة يملؤها السيل يحمل الماء منها إلى محطة ضبا ...» .(25)

الكتاب الأخير «دليل الحج»

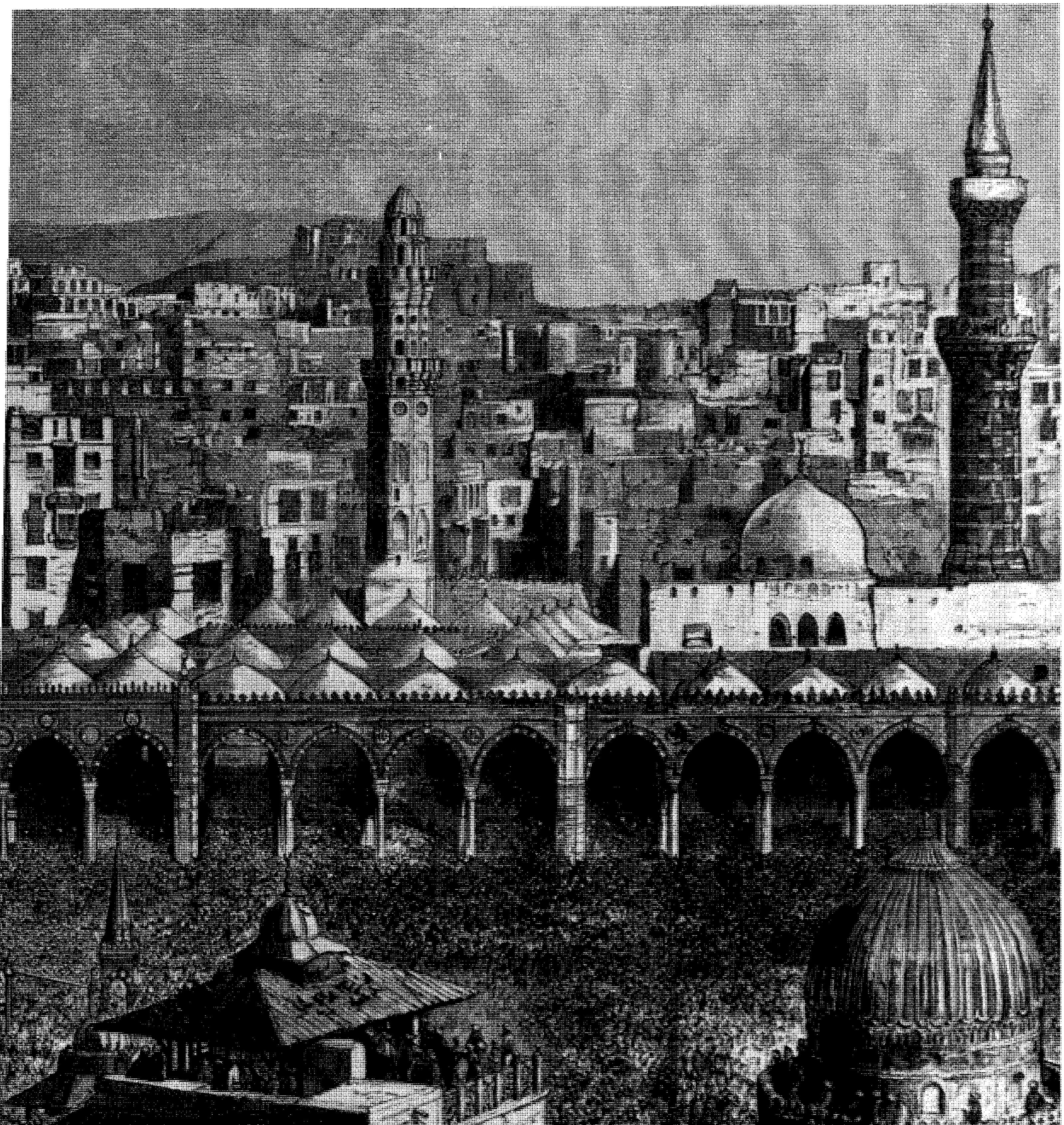
في سنة 1895 قام محمد صادق بجمع خلاصة جولاته الحجازية في كتاب «*دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة من كل فج*» ، بهدف أن يتخذه المطالع «علما يهتدى به واماما يقتدى به براً وبحراً فصار دليلا مختصراً للأمة المحمدية» .(26) وضمنه معلومات جمعها من جولاته الثلاث ، مؤكداً حقيقة أنه كان أول مصور يلتقط صوراً في مكة والمدينة. «...ومنحت بسبب ذلك بمدالية من الذهب ومن الدرجة الأولى بمعرض فينسيا (البندقية) سنة 1881» .(27)

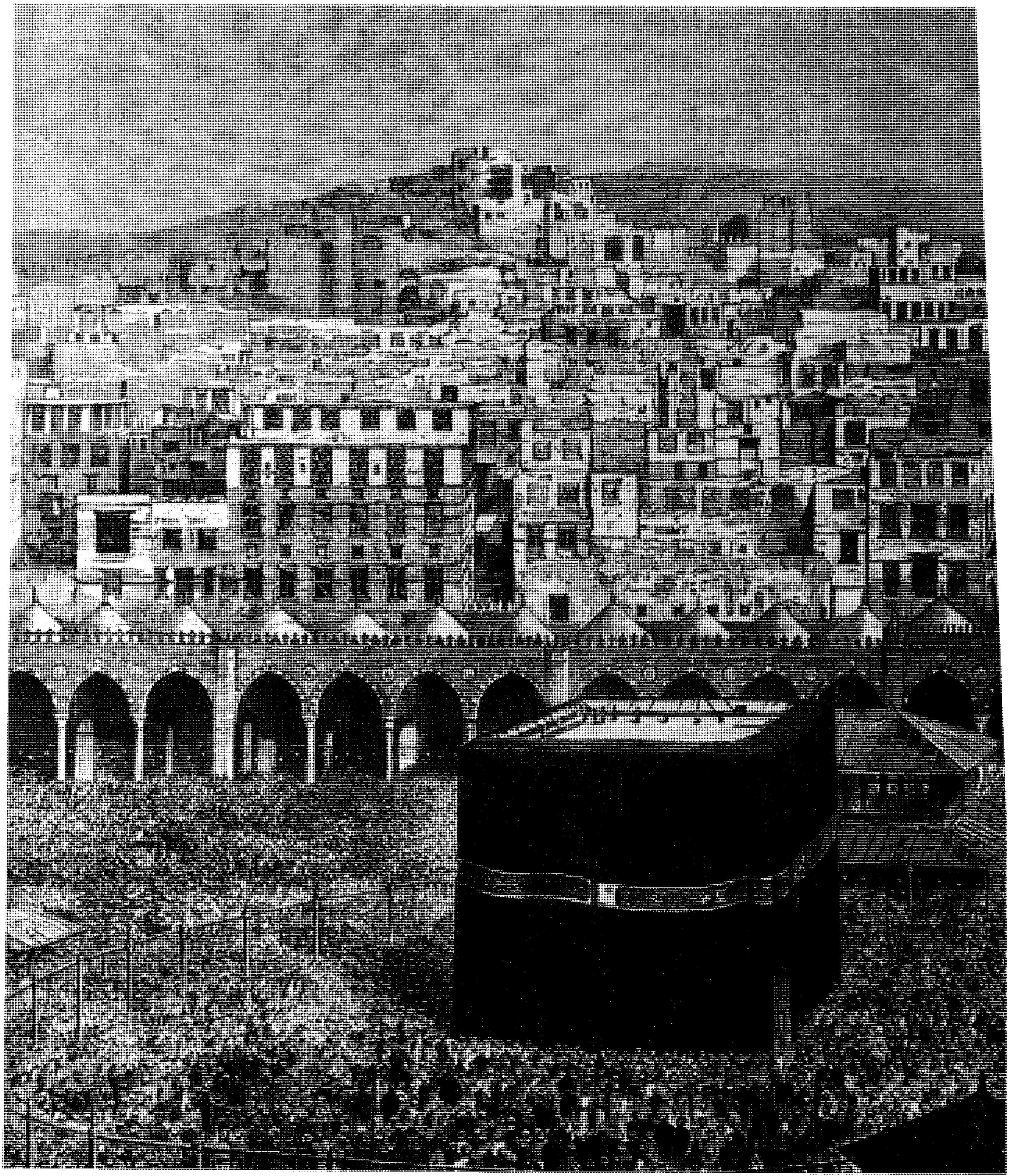
وحدد صادق عدداً تقريبياً للحجاج سنة 1880 قائلاً : «... وقد اخبرني وكيل البوستة الخديوية بالسويس أن عدد الحجاج المسافرين بالوابورات إلى جدة بلغ نحو اثني عشر الفاً من المصريين وثمانية آلاف من الاتراك فضلا عمن مر من قنال السويس من مغاربة واتراك وشوام ممن عددهم نحو عشرين الفاً ».(28)

ووصف صادق بلدة ينبع بالقول : «... وهذه البلدة تقع على البحر وبها مينا مشهورة للمدينة والوابور يرسو على بعد 150 متراً من الرصيف وبها 800 بيت وسوق يباع بها كل شيء يلزم للحجاج وبعض خضروات وبها نحو 5000 نفس

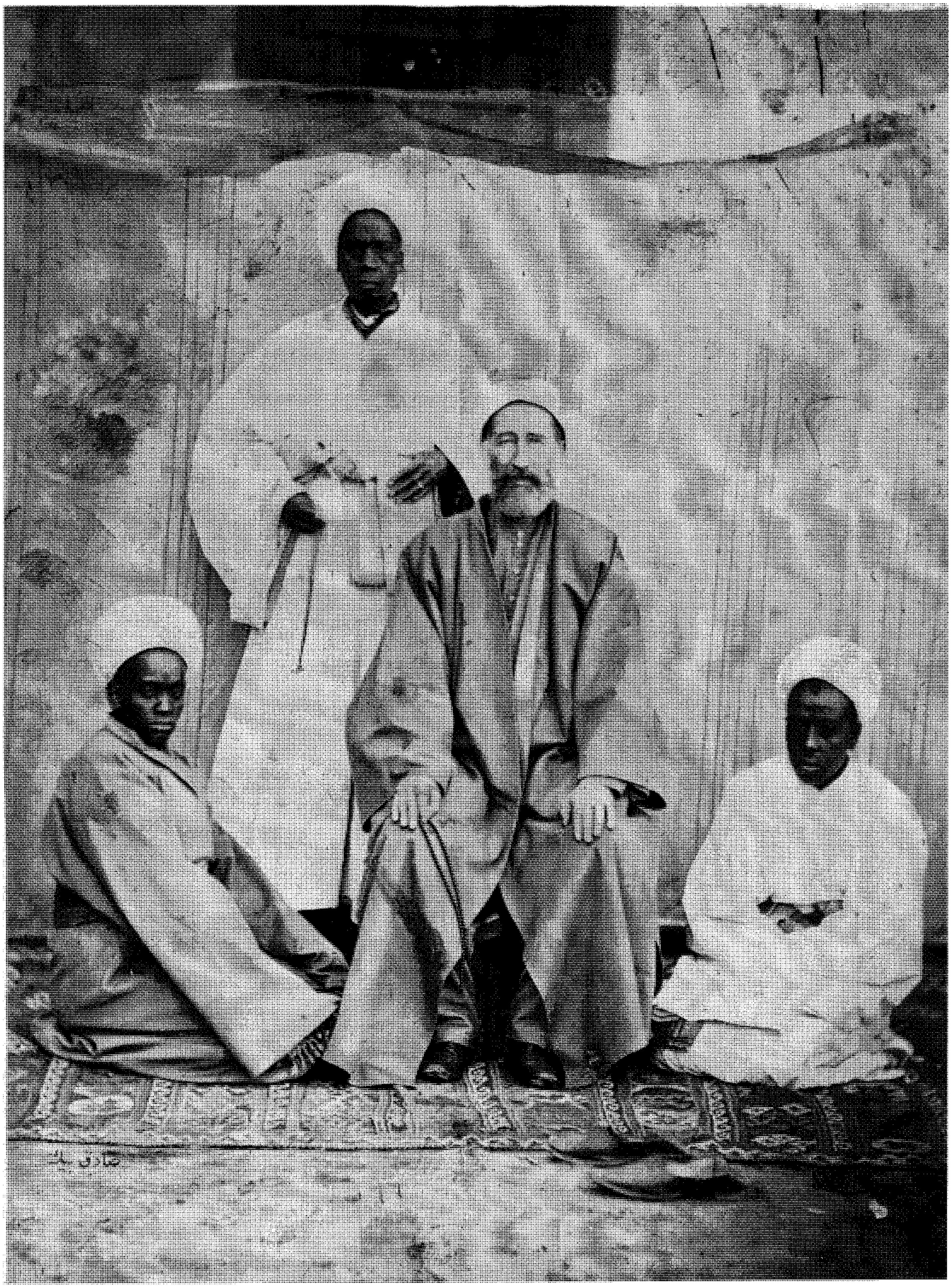
15- هيئة المحرم (تصوير محمد صادق 1880).



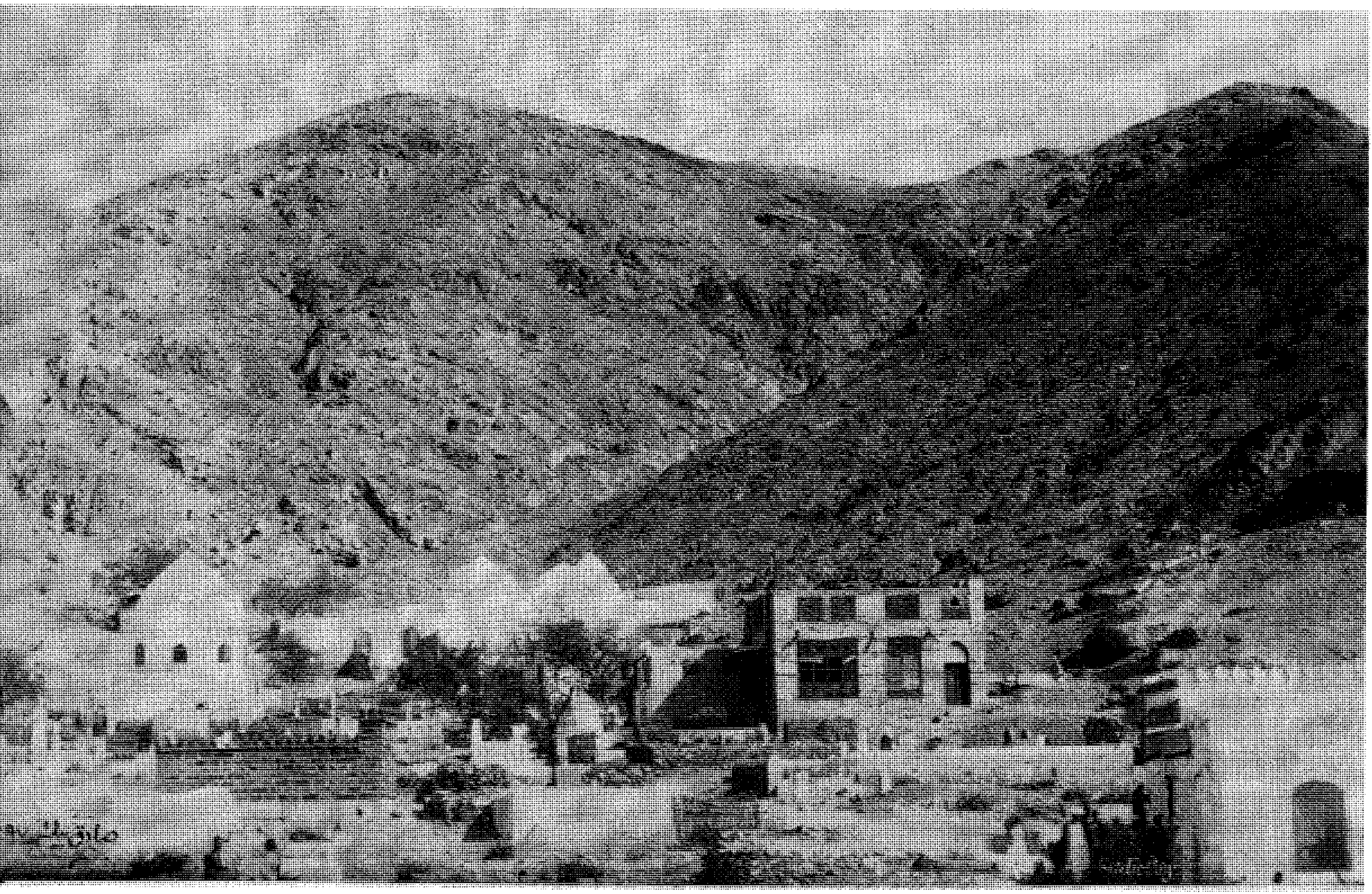




16- الطواف حول الكعبة (حفر عن صورة لمحمد صادق 1880).



17- شوكت باشا شيخ الحرم المدني (تصوير محمد صادق 1880).



18- المعلاة (تصوير محمد صادق 1881).

واغلب تجارها من مصر الصعيد وعند موسم الحج تأتي إليها العرب للتجارة» .(29)

وتعتبر الصور التي التقطها محمد صادق في مكة والمدينة من اندر واقدم الصور الفوتوغرافية المعروفة للمدينتين ، كما أن كتبه تضم معلومات هامة جداً عن الوضع الاجتماعي والعمراني في منطقة الحجاز خلال النصف الأخير من القرن الماضي . ونظراً لدقة معلوماته وبروزه كمصور من الدرجة الأولى ، فقد تم منحه في القاهرة النيشان المجيدي من الصنف الثالث (30) ،ونشرت مقالاته عن الحج باللغة الفرنسية في نشرة الجمعية الخديوية للجغرافيا التي كانت تصدر في القاهرة .(31)

من ناحية أخرى ، استعملت الصور التي التقطها محمد صادق في العديد من الكتب المنشورة خلال النصف الأخير من القرن الماضي ومطلع القرن الجاري ، وذكر محمد لبيب البتنوني في كتابه «*الرحلة الحجازية*» أنه استعمل الصور التي التقطها محمد صادق لدقتها ، ووضع للحرمين الشريفين رسماً نظرياً معتمداً على الأبعاد التي وضعها لهما محمد صادق.(32) واستعمل صبحي صالح في كتابه «*الحج إلى مكة والمدينة*» ... Pélerinage a la Mecque et a Médine الصادر بالفرنسية في القاهرة سنة 1894 الصور التي التقطها محمد صادق .كما استعمل المستشرق الهولندي هرخرونيه صور محمد صادق في كتابه « *صور من مكة* » .

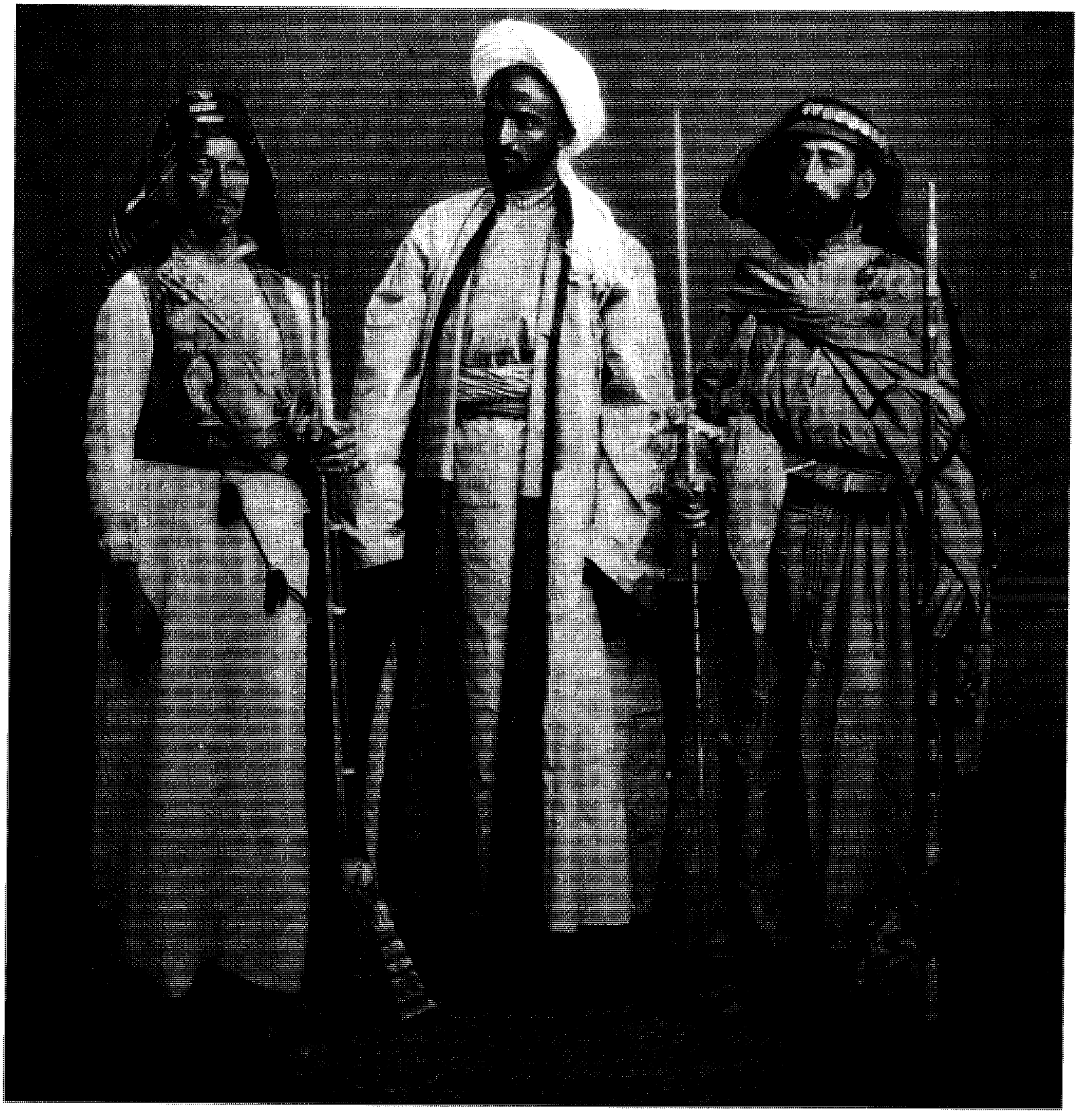


19- *امرأة من جدة (تصوير سباح 1873).*

المصور سباح

ظهرت في السبعينات من القرن الماضي صور للازياء في منطقة الحجاز التقطها المصور باسكال سباح Pascal Sebah الذي يعتقد بانه عربي الاصل وكان قد انشأ استديو للتصوير سنة 1857 في حي بيرا في اسطنبول اطلق عليه اسم «استديو الشرق»، وكان شعاره المطبوع على الصور التي يلتقطها « رسم الضيا العجيب فالحبيب منه لا يغيب» (33).

كان سباح عضواً في الجمعية الفرنسية للتصوير، وحاز على المدالية الفضية في المعرض العالمي للتصوير سنة 1878، وكان الفنان حمدي بيه قد اصدر في اسطنبول سنة 1873 كتاب «*الازياء الشعبية التركية سنة 1873*» Les Costumes Populaires de la Turquie en 1873 وذلك بمناسبة المعرض العالمي في فيينا. وتضمن هذا الكتاب صوراً للازياء في مختلف مناطق السلطنة العثمانية التقطها سباح، من بينها صورة لازياء منطقة الحجاز(34). ويعتقد بأن الصور التي نشرت في الكتاب التقطت في الاستديو بدليل عدم وجود اية معلومات عن زيارة سباح للحجاز.



20- *نماذج من الالبسة في الحجاز (تصوير سباح 1873).*

ابراهيم رفعت و «مرآة الحرمين»

رافق الانتشار التجاري السريع لآلات التصوير في أواخر القرن الماضي زيادة في عدد المصورين . فلم يعد هذا الفن حكرا على المصورين المحترفين بل انتشر بشكل كبير خصوصاً بين قوافل الحجاج المسلمين سواء من مصر وسورية أو من الهند والاقطار الاخرى . وتعتبر الصور التي التقطها اللواء إبراهيم رفعت باشا في مطلع القرن الجاري من افضل النماذج في تلك الحقبة .

تتميز أعمال إبراهيم رفعت باشا التي نشرها في مجلدي «*مرآة الحرمين*» بنوعية ممتازة، الأمر الذي جعله في طليعة المصورين الذين زاروا الحجاز قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى.

تخرج إبراهيم رفعت باشا من الكلية العسكرية المصرية ، وقام باربع رحلات حج إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة . وكانت رحلته الأولى في العام 1901 بصفة قائد الحرس المكلف بحماية المحمل المصري من القاهرة إلى جدة. ووصف في كتابه «*مرآة الحرمين* » طبيعة البلاد السعودية قائلا أنه كان يتمنى لو أنه اصطحب مصورا فوتوغرافيا معه كي يسجل بدقة وامانة رحلة الحج. وفور عودته إلى مصر انكب إبراهيم رفعت على دراسة فن التصوير ، وعندما تم اختياره في العام 1903 لمنصب أمير الحج المصري ، قرر أن يحمل معه في رحلته آلة تصوير بهدف التقاط صور لكل ما يراه في طريقه بحيث يسهل على كل قارىء لكتبه فهم النص والاطلاع بالعين على مكة والمدينة . وتلت رحلة الحج هذه رحلتان مماثلتان في العامين 1904 و 1908 . وخلال رحلته الأخيرة حمل إبراهيم رفعت آلتي تصوير ، واحدة تلتقط صورا بمقياس 12x18 سم والاخرى بمقياس 9x12 سم .

روى إبراهيم رفعت في «*مرآة الحرمين*» تفاصيل مغادرة المحمل المصري القاهرة والوصول إلى جدة ثم الانتقال إلى المدينة ومكة ، والعودة إلى مصر . وحملت الصور المنشورة في الكتاب ، وتقدر باربعمائة صورة ونيف ، عبارة «جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للواء إبراهيم رفعت باشا» باللغتين العربية والانكليزية ، الأمر الذي يؤكد على أن المصور قام باستعمال هذه الصور بشكل واسع ضمن إطارات تجارية في تلك الفترة .

وذكر إبراهيم رفعت أن معظم الصور المنشورة في «*مرآة الحرمين*» كان قد التقطها بنفسه ، كما أن ناظر التكية المصرية في مكة المكرمة أحمد افندي صابر قام بالتقاط صور أخرى نشرت إلى جانب صوره .

رافق اللواء إبراهيم رفعت في رحلة الحج الأخيرة سنة 1908 صديقه المصور محمد علي سعودي الذي قام ايضا بالتقاط صور عديدة خلال تلك الرحلة . والقى ابراهيم رفعت الضوء على مصور آخر هو خليل القازاني الذي قام بتصوير مسجد عروة في المدينة ، ونشرت هذه الصورة إلى جانب صور أخرى من أعماله في كتاب «*مرآة الحرمين*» .(35)

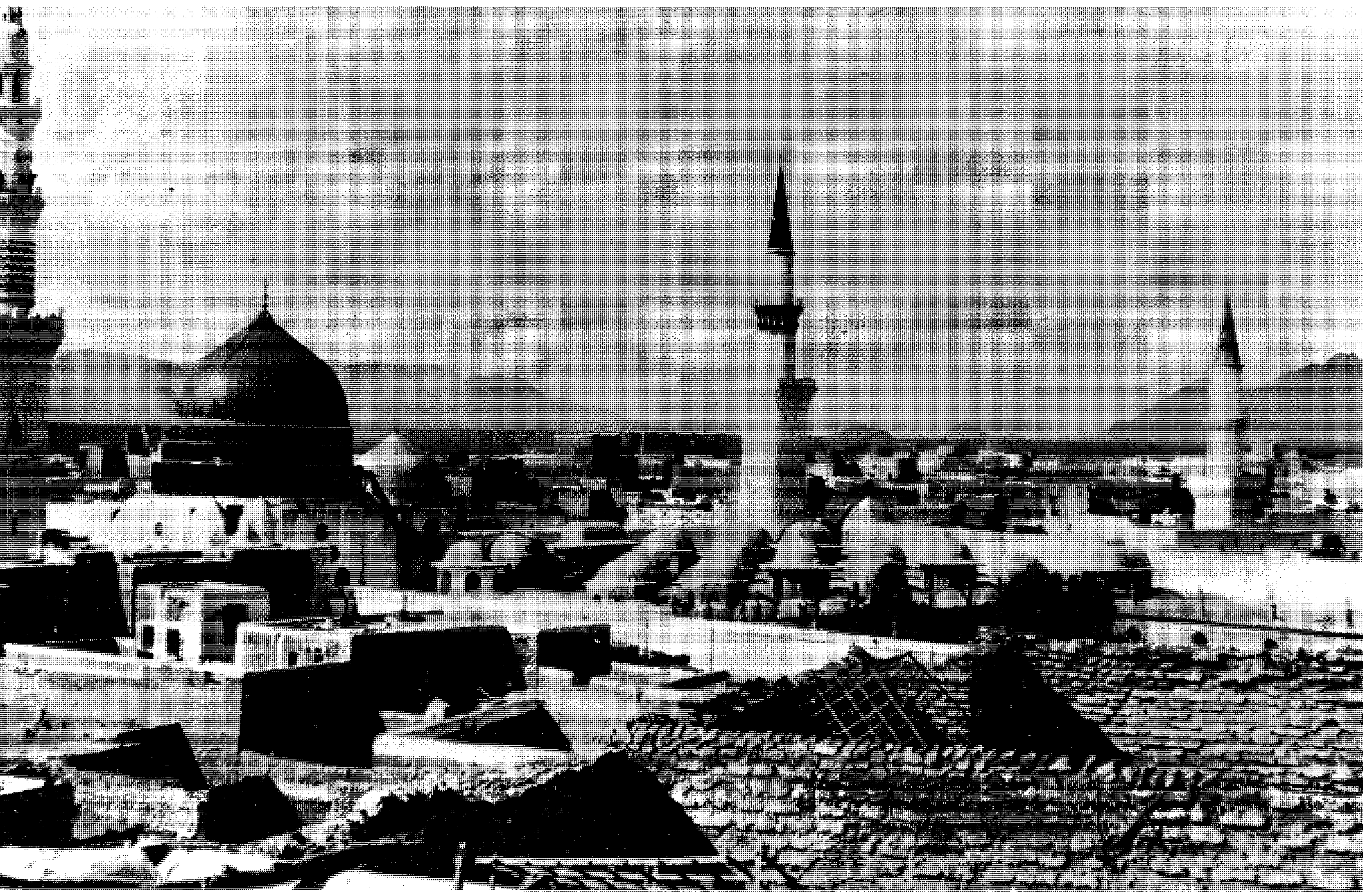
كان اللواء إبراهيم رفعت باشا مصورا موهوبا ، ويظهر



21- *ساترة باب التوبة داخل الكعبة (تصوير ابراهيم رفعت 1908).*



22- *اللواء ابراهيم رفعت باشا (1857 - 1935).*

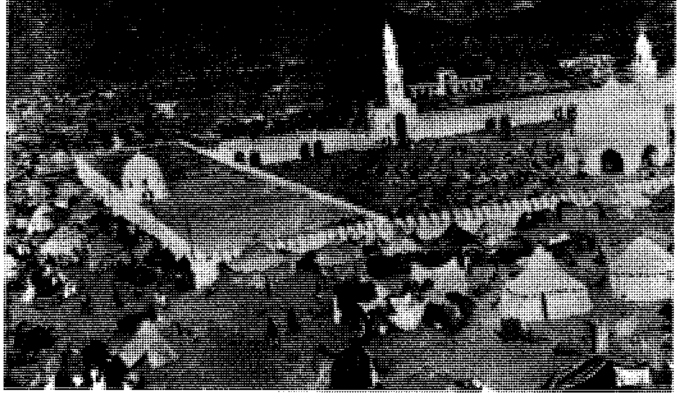


23- المدينة المنورة (تصوير ابراهيم رفعت 1908).

ذلك بوضوح في نتاجه ، فقد سجلت عدسته موضوعات متنوعة ، كصور تفاصيل الزخرفة العربية في الابنية القديمة ، وكذلك التفاصيل الهندسية الدقيقة. وذكر ابراهيم رفعت في هذا المجال أنه قام بالتقاط صورة لباب خشبي منحوت في مكة المكرمة تقديرا منه لفن الهندسة المعمارية .

من الواضح أن العديد من المصورين الهواة كانوا قد زاروا الحجاز في الفترة التي سبقت إندلاع الحرب العالمية الأولى، ولم تكن اشارتنا إلى إبراهيم رفعت إلا كنموذج عن هؤلاء المصورين . وخلال فترة الحرب العالمية الأولى ألتقط مصورون هواة وعسكريون العديد من الصور لمنطقة الحجاز، وهي تعتبر سجلاً تاريخياً قيماً . ومن بين هذه المجموعات على سبيل المثال مجموعة مصورة تحتفظ بها مكتبة الملك عبد العزيز العامة في الرياض ألتقطت من قبل القسم السينمائي والفوتوغرافي التابع للجيش الفرنسي في الحجاز سنة 1918 . وتظهر في صور هذه المجموعة مدن جدة وينبع والوجه ، كما كانت عليه منذ حوالي الثمانين عاماً .

وهكذا، مع نهاية العقد الأول من القرن الحالي ، كانت أبرز معالم المنطقة الغربية في المملكة العربية السعودية ، وبشكل خاص مكة والمدينة وجدة ، موثقة بالصور الشمسية .



24- مسجد الخيف (تصوير ابراهيم رفعت 1908).

الفصل الثالث

الصور الاولى في الحجاز المصورون الاجانب



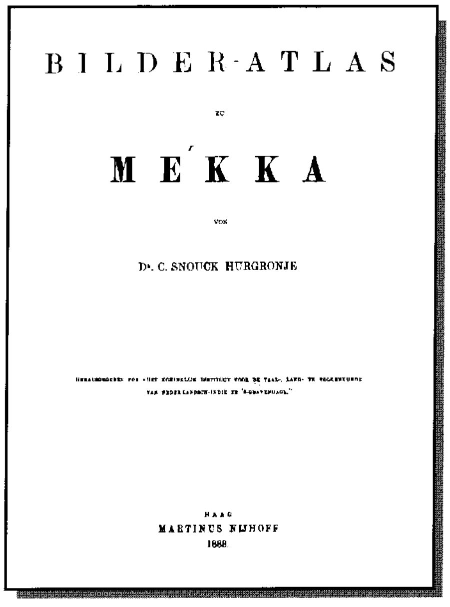
1- كريستيان سنوك هرخرونيه (1857 -1936).

كان المستشرق الهولندي كريستيان سنوك هرخرونيه Christian Snouk Hurgronje(1857-1936) من أبرز الذين وثقوا مكة بالصورة بعد المصور محمد صادق . ونشرت مختارات من الصور التي التقطها في مجلدين منفصلين في «ليدن» هولندا بعنوان «*أطلس مكة المصور*» 1888 و «*صور من مكة*» 1889.

تتلمذ هرخرونيه في جامعة ستراسبورغ العام 1880-1881 على يد المستشرق الألماني تيودور نولدكه ، وتخصص في الآداب واللغات السامية وتسلم منصب مستشار الحكومة الهولندية للشؤون العربية والاسلامية. كما شغل سنة 1906 منصب استاذ الدراسات العربية في جامعة ليدن حيث كان يدرس الموظفين العاملين في الهند الشرقية، وبقي فيه إلى أن أحيل إلى التقاعد سنة 1927 ، وتوفي سنة 1936.

نشر هرخرونيه رسالة لنيل الدكتوراه في جامعة ليدن كان موضوعها «مكة في أواخر القرن التاسع عشر» (1)، وهي تحليل مفصل لمناسك الحج واصوله وتاريخه ، وخاصة الطقوس التي كانت تجري قبل الأسلام وأثرها على مراسم الحج. وكان قد حصل سنة 1884 على اجازة من الجامعة للذهاب في جولة دراسية في شبه الجزيرة العربية . ولا يعرف شيء عمن قام بتمويل رحلته ، ولا عن ظروف زيارته الحجاز. لكن المعروف انه وصل جدة في الثامن من آب 1884 حيث اقام ضيفاً على القنصل الهولندي بهدف تحسين معرفته باللغة العربية واللهجة المحلية، وغادر جدة إلى مكة المكرمة مساء الحادي والعشرين من شباط 1885 برفقة مواطن من جاوه ، ووصل مكة مساء اليوم التالي . وامضى هرخرونيه حوالي ستة أشهر في مكة المكرمة ، اعتنق خلالها الإسلام واطلق على نفسه اسم « عبد الغفار» وتزوج فتاة من جاوه وبواسطتها اطلع على معلومات كثيرة كان من الصعب عليه الحصول عليها، وخلال اقامته فيها استطاع أن يقوم بدراسة متعمقة للمجتمع المكي ، وأن يلتقط صوراً للمدينة وللحجاج القادمين إليها من مختلف الاقطار.

لم يستطع سنوك هرخرونيه زيارة المدينة المنورة. فقد ظهرت في مجلة « الوقت » Le Temps الباريسية مقالة يذكر فيها دي لوستالو de Lostalo نائب قنصل فرنسا في جدة في معرض حديثه عن مصير الرحالة الفرنسي شارل هوبير، بان غرض هرخرونيه الحقيقي من زيارته مكة هو التوسط



2- غلاف كتاب « الاطلس المصور » لهرخرونيه.

لمصلحة الالمان بهدف تأمين الحصول على حجر تيماء، الذي عثرت عليه التنقيبات الاثرية، والذي نشأت بسببه في ذلك الحين منافسة قوية للحصول عليه. وقد ترجم المقال الى التركية والعربية الامر الذي اثار حفيظة الاتراك، وتحركوا على الفور في شهر آب 1885 حيث اقتيد هرخرونيه الى مقر الحاكم التركي لمكة المكرمة وانذر بضرورة مغادرته المدينة خلال بضع ساعات، وبالفعل غادر مكة بحراسة جنديين الى جدة ومنها عاد الى هولندا حيث قام بنشر دراسات عديدة حول الاسلام.(2)

ويظهر واضحا من مؤلفات هرخرونيه أن فن التصوير الشمسي لم يكن مجهولاً في مكة المكرمة ، فهو يذكر أنه التقى «رجلا من الأشراف كثير الأسفار أحضر معه صوراً ومعدات تصويرية من جزر الهند الشرقية» .(3)

ومع ذلك لم تكن كافة الصور التي ظهرت في مجلدي «*أطلس مكة المصور*» و «*صور من مكة*» من تصوير هرخرونيه نفسه ، فهو يؤكد أن الصورتين المنشورتين في صفحة 27 وصفحتي 36 و 37 قدمهما له محمد صادق الذي يصفه بأنه «ضابط مصري ومهندس شديد الدقة ، قام لسنوات طويلة بمرافقة قوافل الحجاج المصريين ، والمحمل بصفة رسمية...» .(4)

ويقول هرخرونيه أيضا أن جل الصور التي نشرها كان التقطها طبيب من مكة ، والأرجح أن هرخرونيه يعني بذلك الشخص نفسه عندما يصف : «... طبيبا شديد الحماسة عليم بصناعة الساعات وتصليح البنادق ، وتقطير الزيوت العطرية وطلي الحلي بالذهب والفضة ، وعمل الأبواق وصنع القوالب ، وكذلك تنقية معادن الذهب والفضة التي كان هو من المتخصصين فيها...» .(5)

ويضيف قائلا : « والى جانب نشاطاته المهنية المختلفة ، كان صديقنا هذا يمتلك مصلحة خاصة حصل من خلالها شهرته ... إذ أنه كان اختصاصي عيون ...» .(6)

يذكر هرخرونيه أنه بمجرد انتهائه من طباعة كتاب «الاطلس المصور»، تلقى من «طبيب مكة» الذي يدعي هرخرونيه أنه كان قد علمه التصوير أثناء اقامته فيها ، رسالة تحتوي على صور في غاية الأهمية ألتقطها خلال موسم الحج اضطرته لاصدار ملحق لمجلده الاول سنة 1889 اسماه «صور من مكة». ويختتم هرخرونيه كلامه عن طبيب مكة بانه غير ملم بالنواحي العلمية ، ولكنه سيستحق الثناء لو أنه وافق على أن يعمل من حين إلى اخر كما يطلب منه ، بحيث لا تكون الصور التي ارسلها لتوه اخر تجربة له في هذا الفن .

لم يحدد هرخرونيه هوية طبيب مكة الذي زوده بالصور، لكن ظهرت بعض الصور من مجموعة « صور من مكة » في الجمعية الجغرافية الملكية في لندن تحمل وصفاً باللغة العربية اضافة الى العبارة التالية: «فوتوغرافيت السيد عبد الغفار - طبيب مكة ». فلا عجب اذن اذا اختار هرخرونيه اسم صديقه وتلميذه عبدالغفار عندما اعتنق الاسلام.

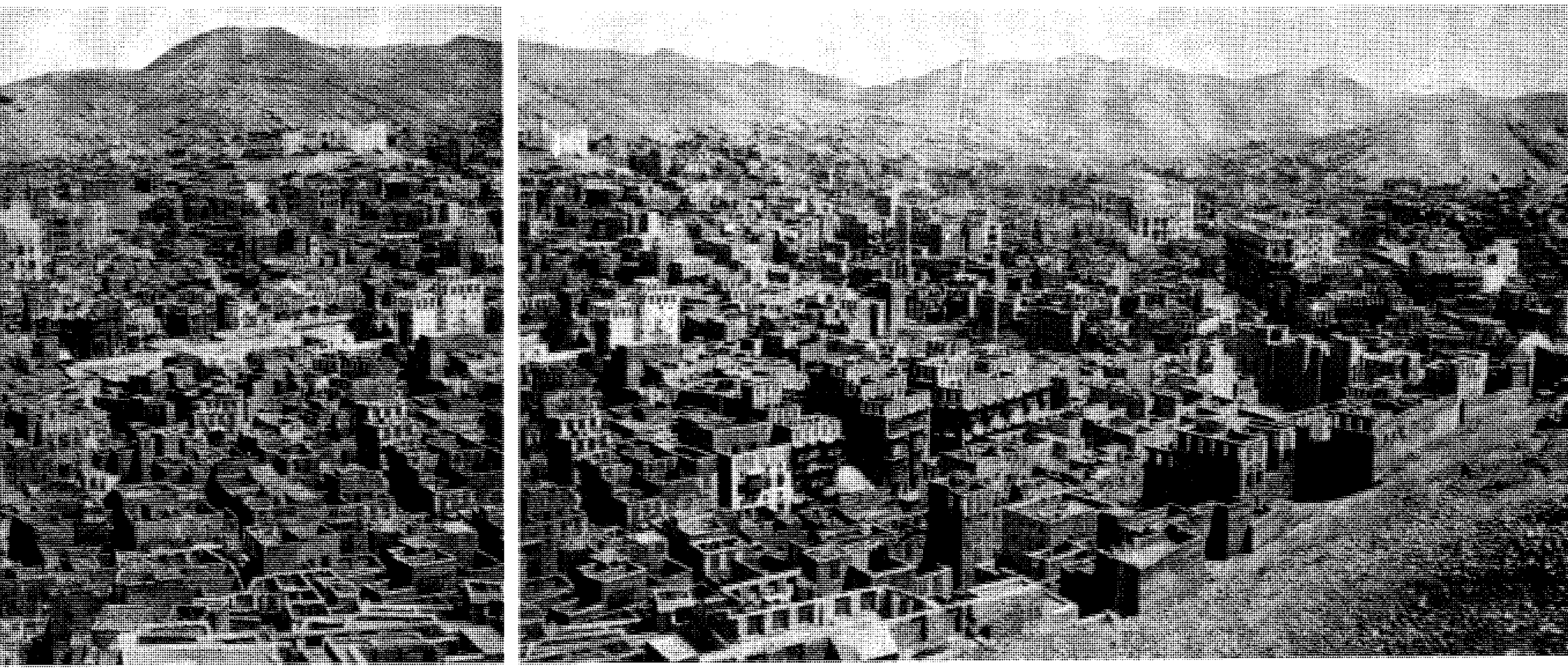
ومن المؤكد الآن أن السيد عبد الغفار كان من المصورين الهنود المشهورين الذين قطنوا مكة المكرمة ، بدليل ما اشار



3- طبيب من مكة (تصوير هرخرونيه 1885).



4- طفلان من عائلة الشيبة-مكة (تصوير هرخرونيه1885).



اليه الكاتب الفرنسي غوستاف رغلسبرغر Gustave Regelspergerالذي نشر في مجلة Journal de voyages الفرنسية في باريس آذار 1895 صورة بانورامية لمكة ، ذكر أن ملتقطها هو المصور الهندي المشهور «عبدالغفار».(7)

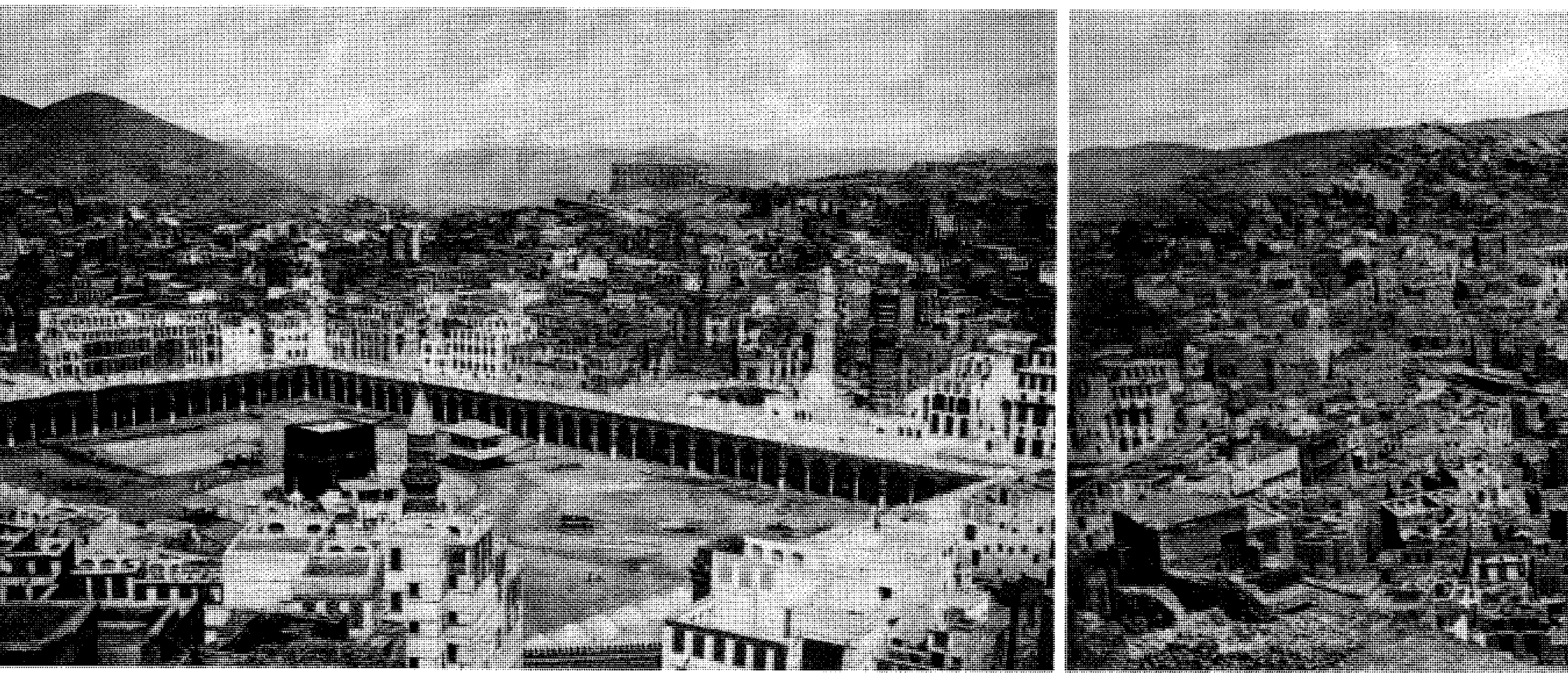
كما أكد المصور المصري محمد صادق بدوره في كتابه «*دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة من كل فج*» لقاءه بالمصور عبد الغفار في مكة حين قال : «... توجهت إلى منزل أحد الحكماء المسمى عبد الغفار افندي الطبيب لأن الحكماء قليلون بمكة والمشهورون هم من الهنود وهذا يشتغل بالطب والفوطوغرافيا وحضر معي إلى مصر وتعلم صناعة الاسنان من الدكتور فولر الشهير واكثر شهرته بمكة استخراج الروائح العطرية كما استحوذ على اذن من الشريف بأن يكون من جملة المطوفين» .(8)

وتتضمن مجموعة عبدالغفار لقطات مختلفة للحرم الشريف، وجموع المصلين حول الكعبة، والحجاج في وادي منى وفوق جبل عرفات. اما الصور التي التقطها او نشرها هرخرونيه فتمثل مرجعاً مصوراً فريداً لمكة بشكل خاص، وللحجاج ومنطقة الحجاز بشكل عام. فهي تضم مجموعة من الصور لسكان مكة وللحجاج من مختلف أنحاء العالم الاسلامي،اضافة الى شريف مكة، والحاكم التركي، والشخصيات الدينية والمدنية.

وعلى ذكر المصورين الهنود الذين نشطوا في شبه الجزيرة العربية، تضم كل من مجموعة فؤاد دباس الخاصة ومحفوظات المتحف الحربي البريطاني في لندن بعض الصور النادرة لمكة والمدينة ألتقطت أواخر القرن الماضي من قبل مصور هندي آخر المعلومات عنه معدومة يدعى «ميرزا»، وكان هذا المصور يوقع أعماله «أ. ميرزا



5- مؤذن من مكة (تصوير هرخرونيه 1885).



6- منظر عام لمدينة مكة (تصوير هرخرونيه 1885).

واولاده ـ دلهي». ويذكـر الرحـالة وايفل في كـتـابه «الحج الحـديث الى مكة» والذي زينه ببـعض الصـور لميـرزا ، بانه اشـترى الصـور من مكتبـة تقع في الشـارع الرئيسـي المؤدي الى الحرم . (9)

والواقع أنه مع نهاية فـترة الثمـانينات من القرن الماضي، كانت صور مكة والمدينة والحجاج إليهما قد شاعت ، بدليل انـتـشـارهـا في الكتب الصـادرة عن الحج ، وفي الملفـات المصورة التي كانت تباع للسياح في مصر والاراضي المقدسة

المصور الفرنسي جيرفيه -كورتلمون

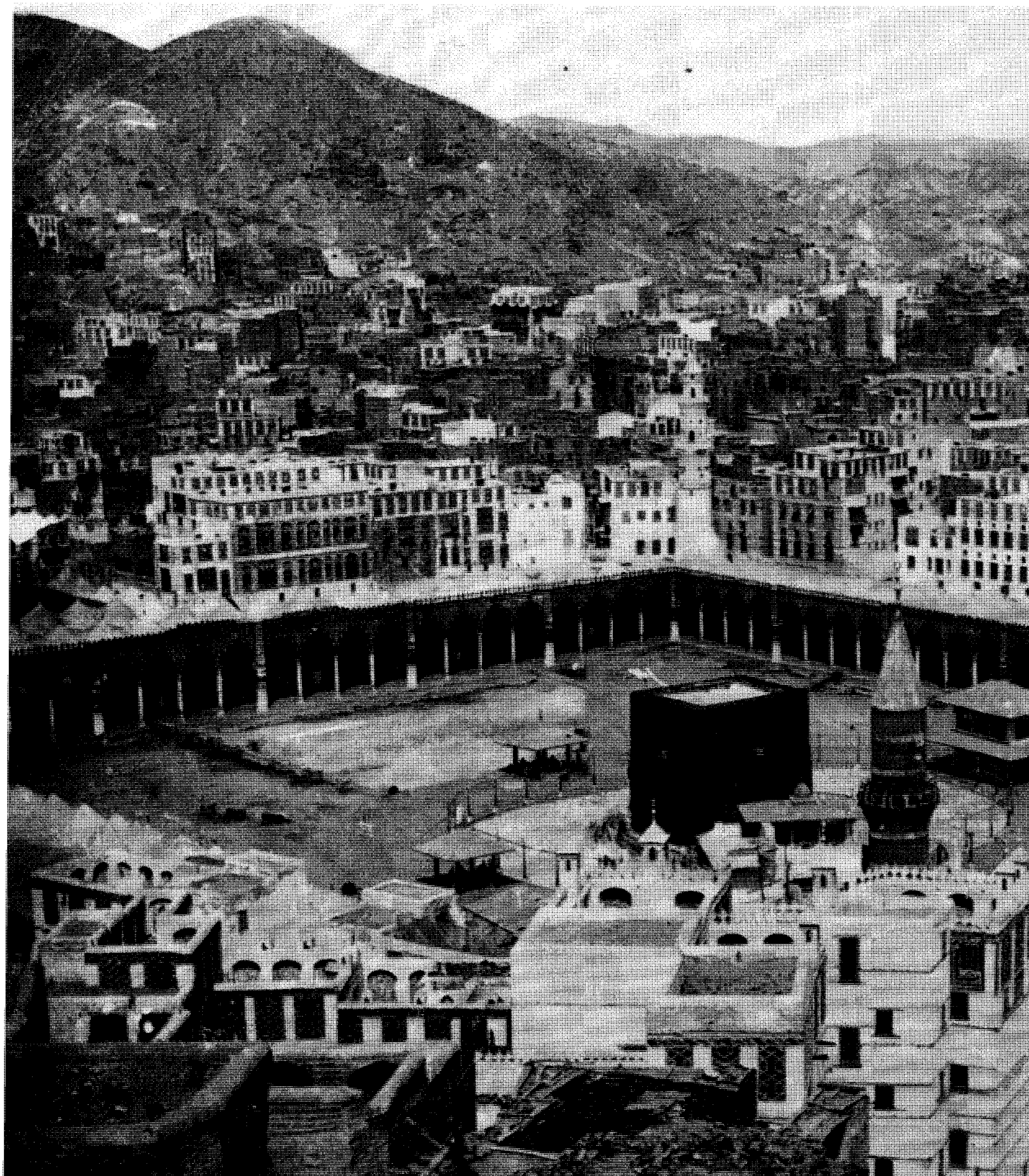
رافق نشر الصور الفوتوغرافية الأولى عن شبه الجزيرة العربيـة في عقد الثمـانينات من القرن الماضي ، الذي قام به كل من اللواء محمد صادق والمستشرق الهولندي كريستيان سنوك هرخرونيه ، تطور جذري جديد أحدث ثورة في ممارسة التصوير الفوتوغرافي . ففي العام 1888 نزلت إلى الأسواق آلة تصـوير من انتـاج «كوداك» صـمـمـهـا جـورج إيسـتـمـان ، واعـتـبـرت بمثـابة قـفـزة بارزة بالنسـبـة للآلات القـديمة ذات الألواح ، لأنها ابتكرت فيلماً ورقياً ملفوفاً مكن المصـور من التقاط مجموعة متتالية من الصور من دون الحاجة إلى إعادة تجهيز آلة التصوير بعد كل لقطة . وتواصلت عمليات تطوير هذا النوع من الآلات وصـولاً إلى إنتـاج آلة «كـوداك» جـديدة في مطلع التسعينات من القرن الماضي . كما تم إنتاج أوراق مصـنوعـة من «كلورايد الجيـلاتين» كي تسـتـعـمـل في طبـاعـة الأفلام ، وحل هذا النوع من الورق مكان مادة «الالبومن» التي كانت تستعمل في السابق .



7- عروس من مكة (تصوير هرخرونيه 1885).

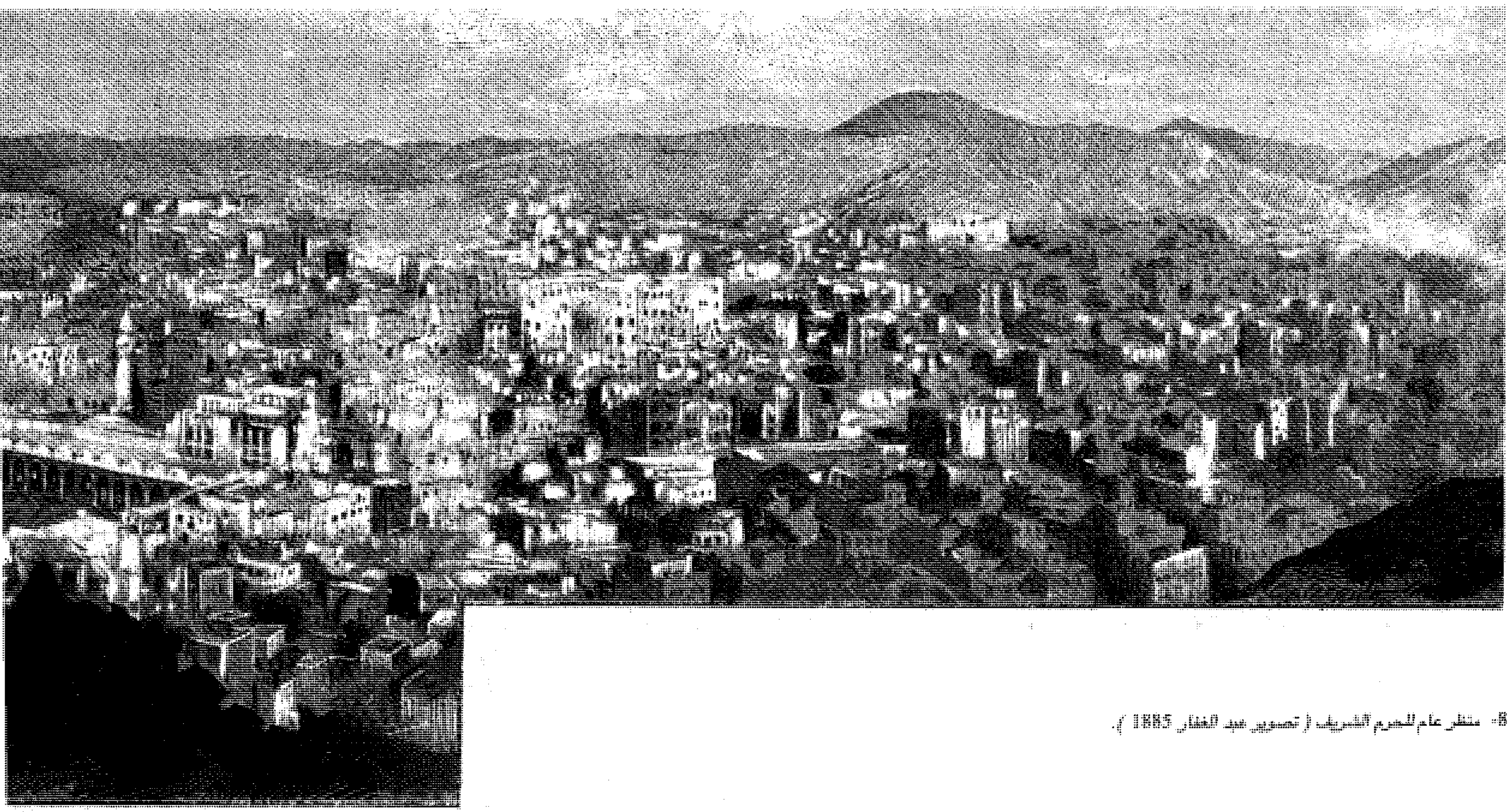
وفـي هـذه الفـتـرة بالذات بدأت الصـحـافـة المـصـورة



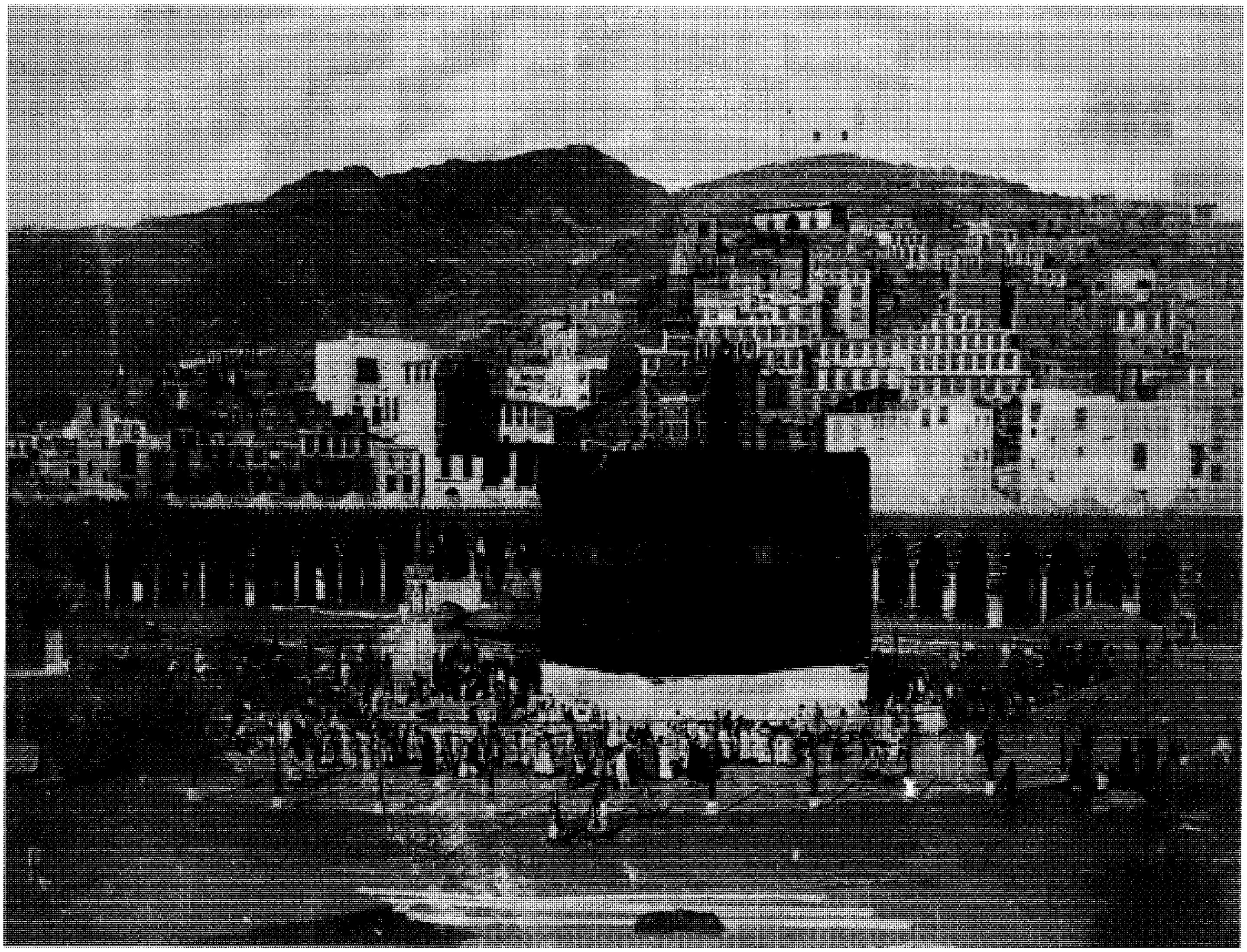


بالازدهار في أوروبا . وبعد أن كانت الصور الفوتوغرافية قبل العام 1880 تلصق باليد في الكتب ، ظهرت الطباعة المصورة وبدأت الكتب المزينة بالصور المطبوعة تغزو الأسواق الأوروبية . وكان في طليعة الناشرين لهذه الكتب المصور الفرنسي جول جيرفيه–كورتلمون (1863 – 1931) Jules Gervais - Courtellemont الذي سبق له أن نشر سلسلة من الكتب المصورة بعنوان «مجموعة جيرفيه–كورتلمون» : اثنان منها عن الجزائر ، وكتاب عن القاهرة كتب مقدمته المستشرق بيارلوتي ، وآخر بعنوان «القدس – دمشق» ، أما الكتاب الخامس «*رحلتي إلى مكة*» Mon Voyage a la Mecque (10) فقد تضمن ثلاثاً واربعين صورة فوتوغرافية وطبع في باريس سنة 1896 بعد سنتين من رحلة مؤلفه إلى الحجاز .

ولاقت صور كتاب «*رحلتي الى مكة*» انتشاراً واسعاً في فرنسا باعتبار ان صاحبها أول مصور فرنسي يدخل مكة المكرمة. ونشرت مجلة L'illustration المصورة الواسعة الانتشار فور انجاز جيرفيه–كورتلمون رحلته إلى الحجاز تحقيقاً مصوراً عن تلك الرحلة(11) . كما ذكرت نشرة النادي الفوتوغرافي الباريسي Bulletin du Photo-club de Paris في مقال عن جولة جيرفيه–كورتلمون في الحجاز : «انهى السيد جيرفيه–كورتلمون الذي تحتل نتاجاته المصورة عن تونس والجزائر مكانة مرموقة ، رحلة إلى مكة ، وعاد منها بصور هامة للغاية . إن هذا الامر يحتاج إلى الكثير من الشجاعة والمهارة للنجاح في مثل هذه الرحلة ، وخاصة خلال موسم الحج... لقد دخل السيد جيرفيه–كورتلمون الذي يتكلم العربية بطلاقة ، مكة حاجاً واستطاع بآلة تصوير من طراز



8- منظر عام للحرم الشريف (تصوير عبد الغفار 1885).



9- *الصلاة حول الكعبة (مصور مجهول حوالي1880).*



10- *منظر عام لمكة المكرمة (حفر عن صورة لعبد الغفار 1885).*



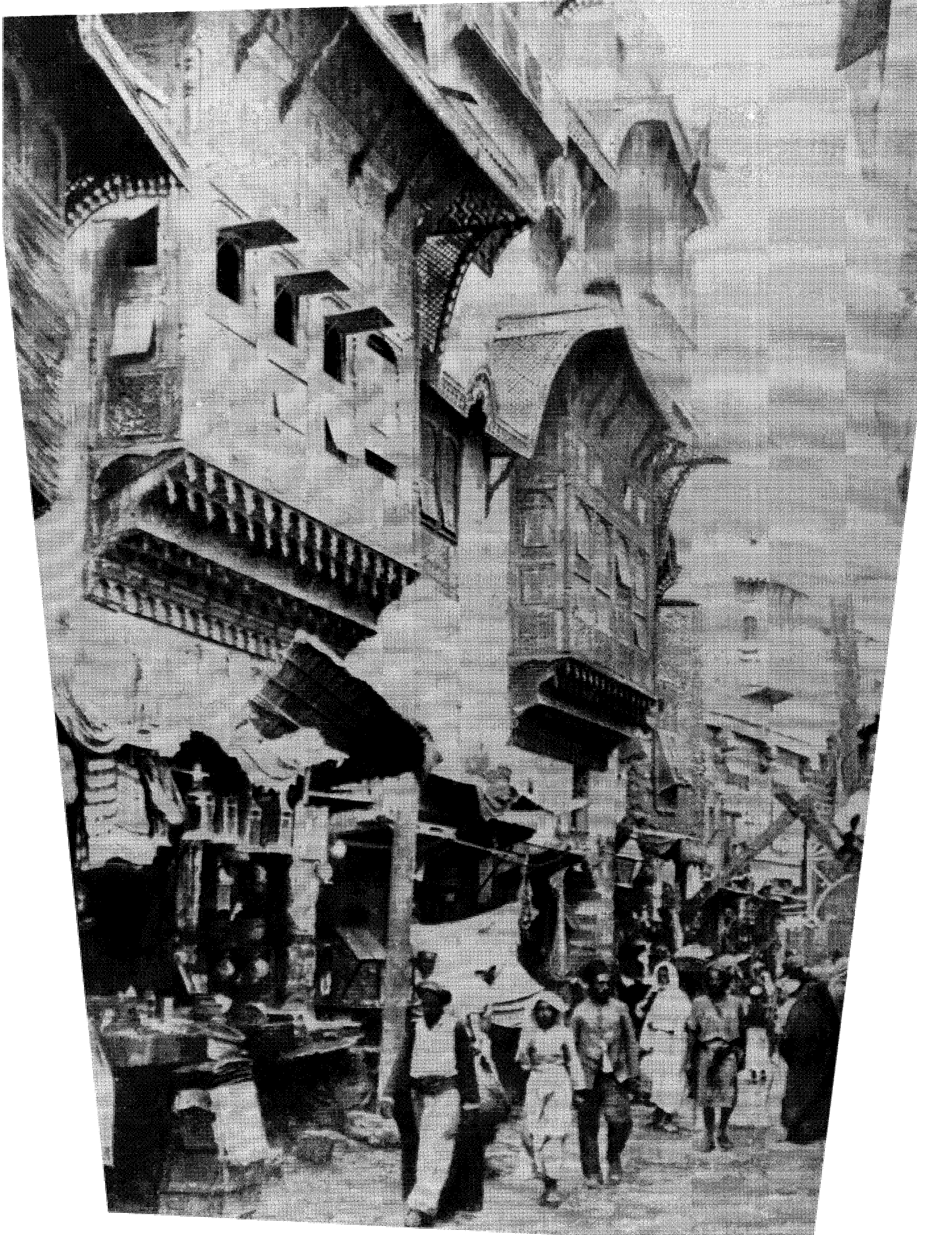
11- السوق الرئيسي في المدينة المنورة (تصوير كورتلمون في تشرين الاول 1908).

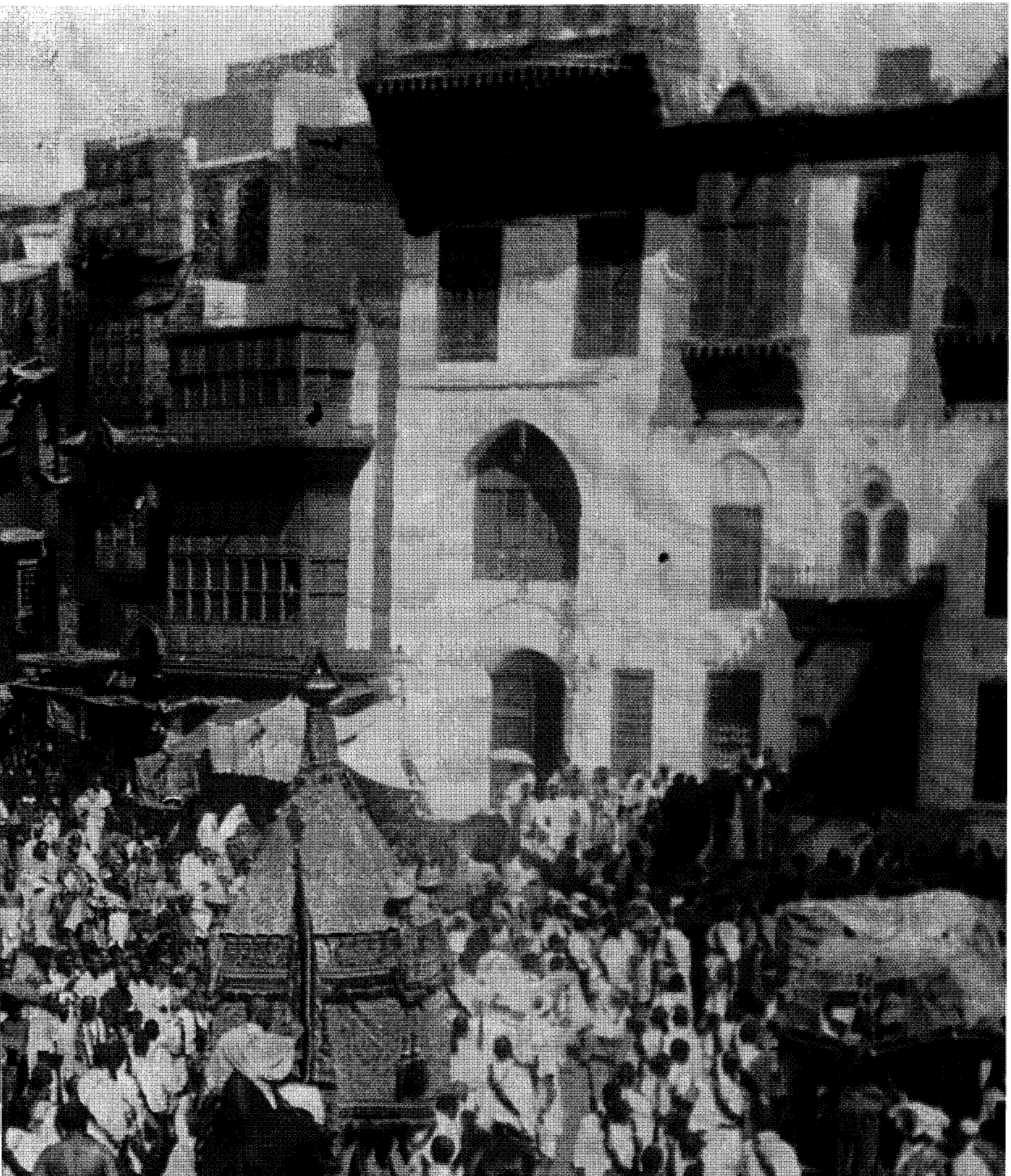
Carpentier 6x4.5 سم أن يلتقط العديد من الصور ، من بينها منظر عام للمدينة . ومما لا شك فيه أن السيد جيرفيه-كورتلمون سيعمل في القريب العاجل على إنتاج كتاب جديد مزين بوثائق جديدة تماماً غير تلك التي استعملت في كتبه السابقة» .(12)

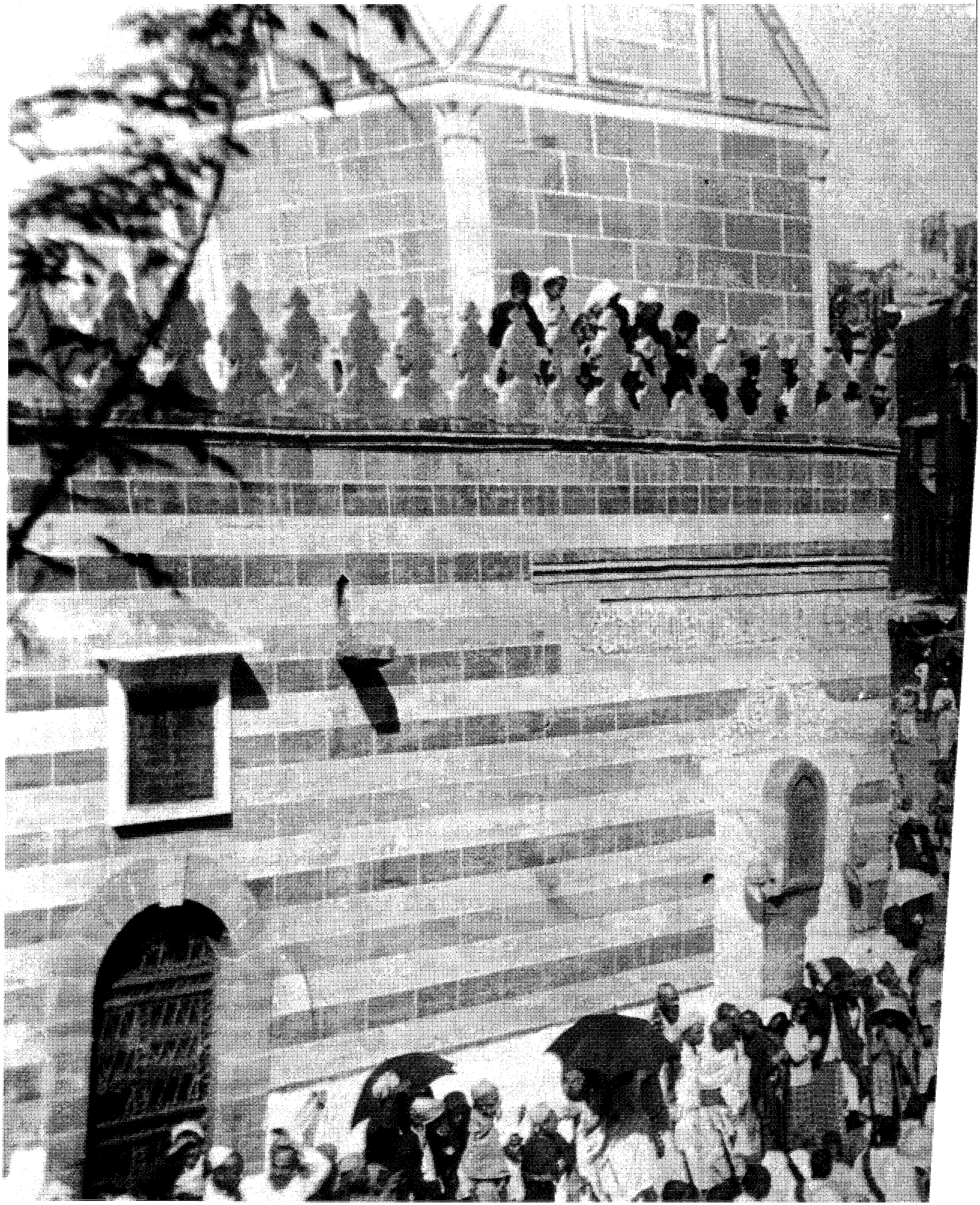
ذكر جيرفيه-كورتلمون في مقدمة كتابه «*رحلتي إلى مكة*» أنه بعد نشره أربعة كتب مصورة، قرر إكمال دراساته الفوتوغرافية للبلدان الإسلامية بكتاب عن مكة والمدينة . وتحدث في كتابه عن الظروف التي احاطت برحلته إلى الحجاز فقال إنه بدأ الاستعداد للرحلة قبل أربع سنوات أي في العام 1890 عندما تعرف على تاجر جزائري متجول يدعى الحاج عقلي ، كان سبق له أن حج إلى مكة وتجول في البصرة وبغداد وبيروت واسطنبول والقاهرة .

استشار جيرفيه-كورتلمون الحاج عقلي في مشروع زيارته إلى الحجاز ، كما استشار أيضاً أصدقاء له من الجزائر سبق لهم أن حجوا إلى مكة والمدينة . وذكر جيرفيه-كورتلمون أنه اطلع الحكومة الفرنسية في الجزائر على خطته بالسفر ، وأن الحاكم الفرنسي للجزائر جول كامبون Jules Cambon أبدى اهتماماً كبيراً بالرحلة وشجعه على المضي بها ، كما كلفه المسؤولون الفرنسيون في وزارة التعليم العام بكتابة تقارير عن الوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في الحجاز إضافة إلى «تقارير مدار

12- شارع في المدينة المنورة (تصوير كورتلمون في تشرين الاول 1908).







13- احتفالات بوصول موكب المحمل الى مكة المكرمة (تصوير طبيب مصري مجهول 1908).

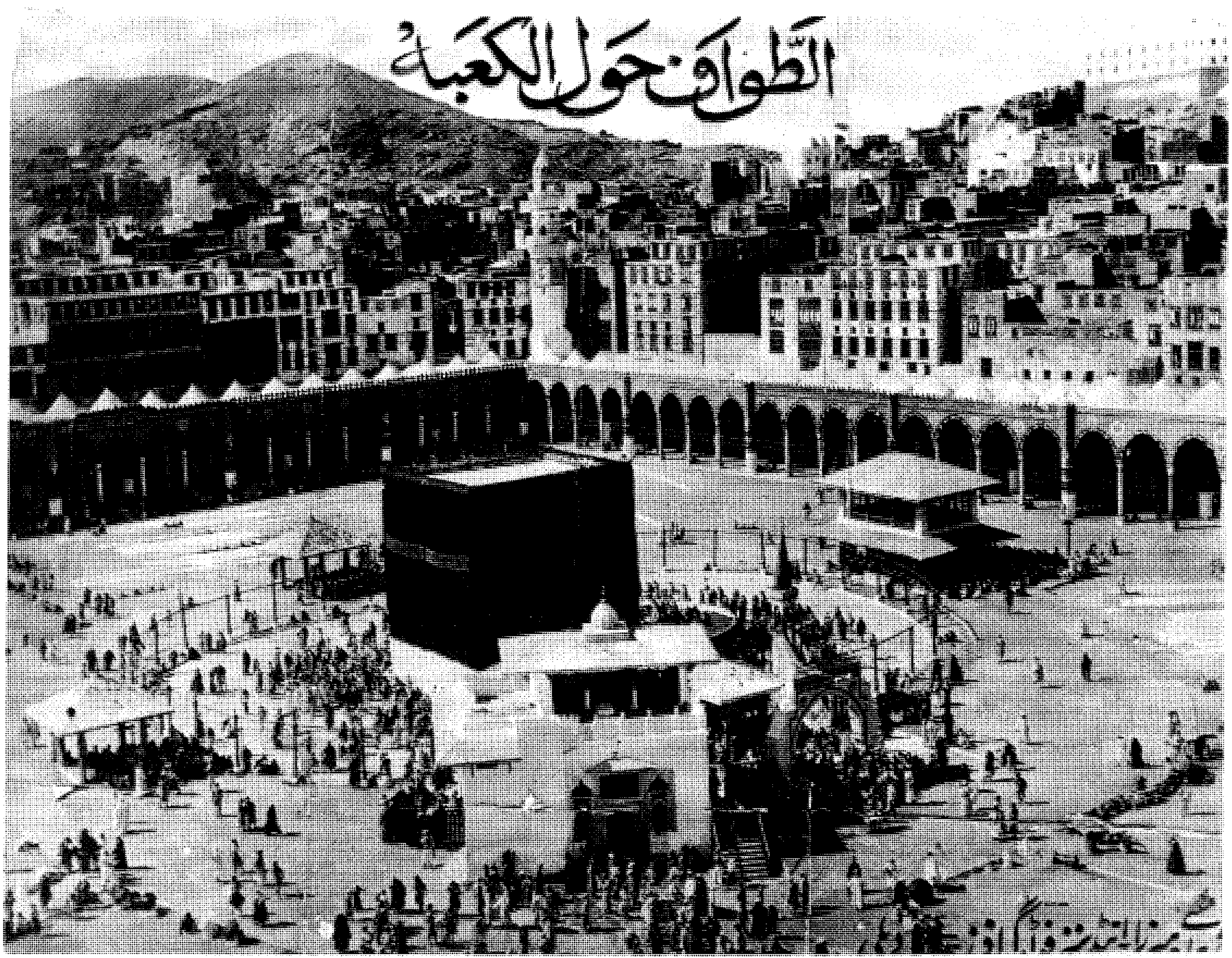
اهتمام خاص من قبل الحكومة»، وأعطي لهذه الغاية تكليفاً رسمياً من قبل وزارة الخارجية التي اعتبرت أن رحلته «علمية» ، وتسلم جواز سفر بوصفه طبيباً جزائرياً يحمل اسم عبد الله بن بشير ، أما الحاكم الفرنسي العام للجزائر فقد كلفه بمهمة خاصة لدى شريف مكة والزعماء الدينيين لم يكشف النقاب عنها .(13)

كان جيرفيه-كورتلمون قد حفظ الآيات القرآنية استعداداً للرحلة، واتفق مع الحاج عقلي على أن يلتقيا في مدينة السويس في شهر حزيران من العام 1894 كي يلتحقا رسمياً بالمحمل المصري . وذكر جيرفيه-كورتلمون أن القنصل الفرنسي في السويس كان في استقباله ، وإنه كان قد جهز آلات التصوير التي وضعها في حقائبه بين الكتب والملابس وتزود ببعض الأدوية الضرورية وارتدى اللباس العربي .

ويوم وصوله إلى جدة في الخامس والعشرين من ايلول استقبله عبدالرحمن دليل قنصلية فرنسا، وفي اليوم التالي تجول برفقته في المدينة والتقط صوراً لأبنيتها وشوارعها ، ووصف المدينة وأهلها ومناخها.

وبعد ان امضى ثلاثة ايام في جدة توجه الى مكة بعد ان إختار دليلاً جديدا نظراً لمرض الدليل الأول ، وكان هذا الدليل

14- الطواف حول الكعبة (تصوير أ. ميرزا واولاده حوالي 1880).





15- المدينة المنورة (تصوير حلادجيان 1908).

مغربي الأصل يدعى عبد الواحد .

تجول جيرفيه-كورتلمون مع دليله في مكة حاملاً آلة التصوير بقياس 18x12 سم على كتفه وخبأها تحت سجادة الصلاة ، واخذ يلتقط الصور بصورة سرية للحرم الشريف ولشوارع المدينة وأبنيتها . ووصف باسهاب المدينة وأهلها ولباسهم وعاداتهم . وذكر أنه ذهب إلى منى وصعد جبل قبيس برفقة دليله، والتقط في جبل قبيس صورة بانورامية من خمسة أقسام لمكة . وكان يخشى أن يفتضح أمره اذ «لمجرد رؤية آلة تصوير فان صاحبها يواجه الموت المحتم» .(14)

واعتبر جيرفيه-كورتلمون نفسه أول فرنسي يدخل مكة بعد سبع وخمسين سنة على دخول الرحالة الفرنسي ليون روش Leon Roches إليها ، وسجل انطباعاته الشخصية عن رحلته وما سمعه من تعليقات حول معاملة فرنسا السيئة لمسلمي اقطار المغرب العربي. وذكر أن البريطانيين يجنون ارباحاً باهظة من تجارتهم مع الحجاز، وان بامكان الفرنسيين منافستهم تجارياً بنقل البضائع الفرنسية مباشرة من مرسيليا إلى جدة .

عاد جيرفيه-كورتلمون الى جدة، وامضى عدة ايام فيها زار خلالها القنصلية الفرنسية وتجول في المدينة والتقط صوراً لقبر الرحالة الفرنسي شارل هوبير Charles Huber الذي كان قد لقي مصرعه بالقرب من جدة في 24 تموز 1884. وكان ينوي زيارة المدينة المنورة إلا أن المشروع الغي بسبب



16- مخيم للحجاج (تصوير أ. ميرزا واولاده حوالي 1880).

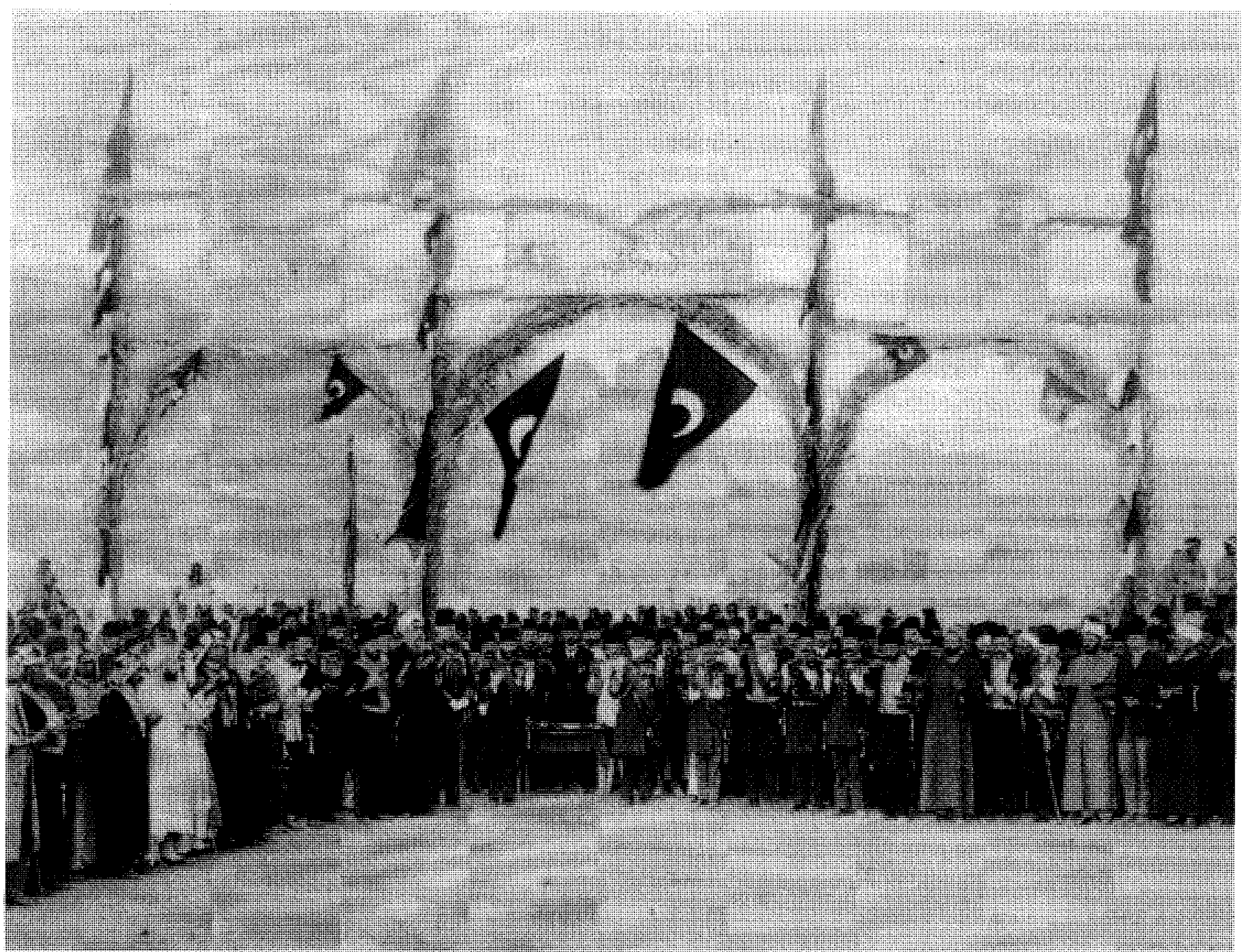
مرض مرافقه ودليله الحاج عقلي، لذلك ابحر في اتجاه ينبع وقام برصد تحركات السفن البريطانية المحملة بالبضائع ، ثم توجه إلى السويس . وذكر أنه التقي في السويس الشيخ رشيد ابن شريف مكة المتزوج حديثاً والقادم من اسطنبول على متن السفينة «المدينة» ، وانه أقام علاقات صداقة معه والتقط له عدة صور ، ودربه على استعمال آلة تصوير كان اشتراها من اسطنبول ، ووعده بزيارة في مكة مرة ثانية.

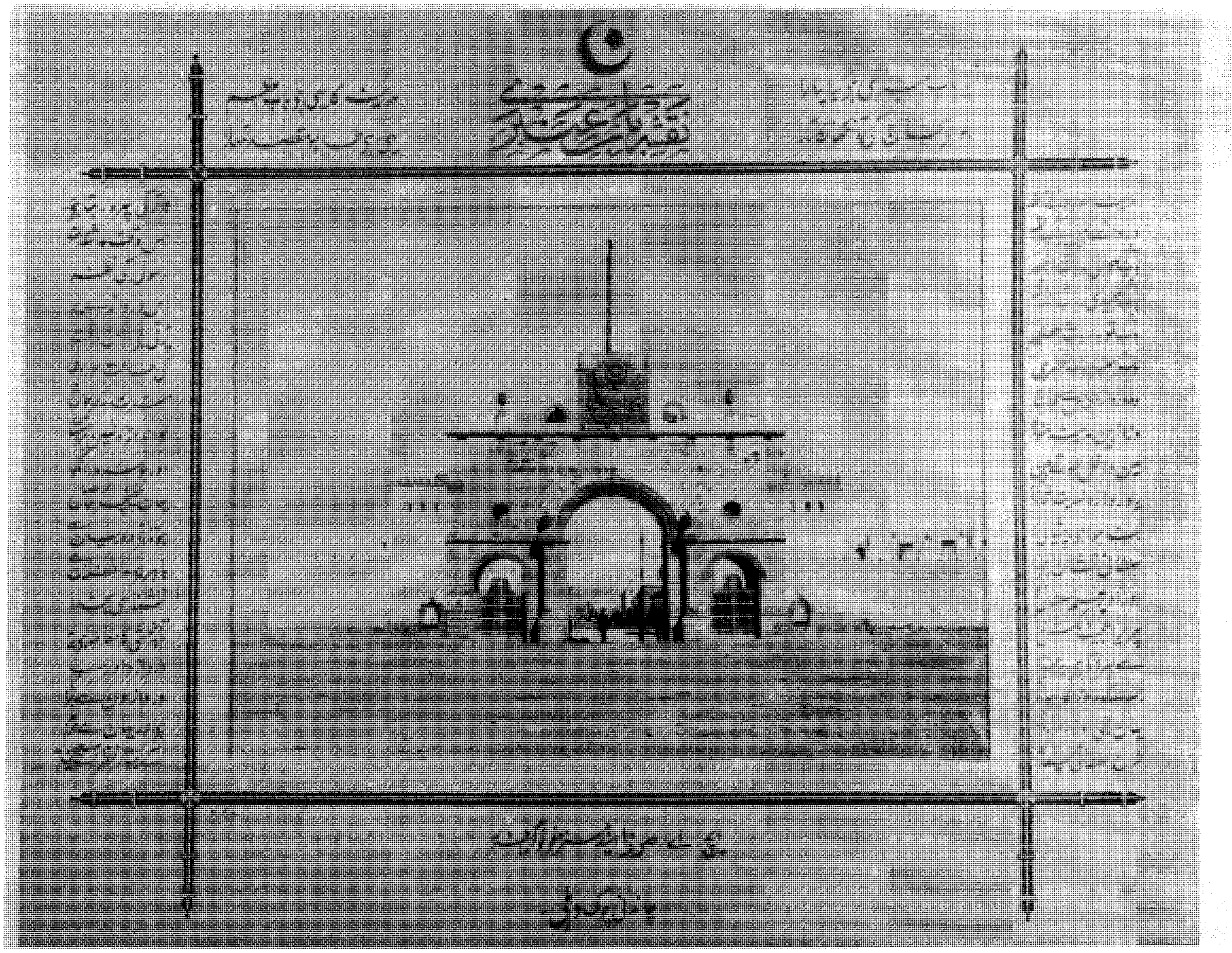
أمضى جيرفيه–كورتلمون يومين في السويس ثم غادرها الى الجزائر عبر بيروت، وقدم فور وصوله الى الجزائر تقريراً عن جولته الى الحاكم الفرنسي جول كامبون. وقد نال بعد حوالي شهرين من تقديمه التقرير مدالية برتبة فارس شرف قدمها له الحاكم الفرنسي كدلالة على نجاحه في « مهمته الرسمية في شبه الجزيرة العربية، والتي قام بها في ظروف صعبة للغاية حاملاً معه رسائل ووثائق رسمية قيمة عمد الى تسليمها للمسؤولين في مكة المكرمة». (15)

خط سكة حديد الحجاز

في مطلع القرن الحالي شهدت منطقة الحجاز مشروعاً ضخماً وصلها لأول مرة بطريقة سريعة ببلاد الشام. ففي

17- احتفال بافتتاح محطة العلى على خط سكة حديد الحجاز (تصوير حلادجيان 1908).



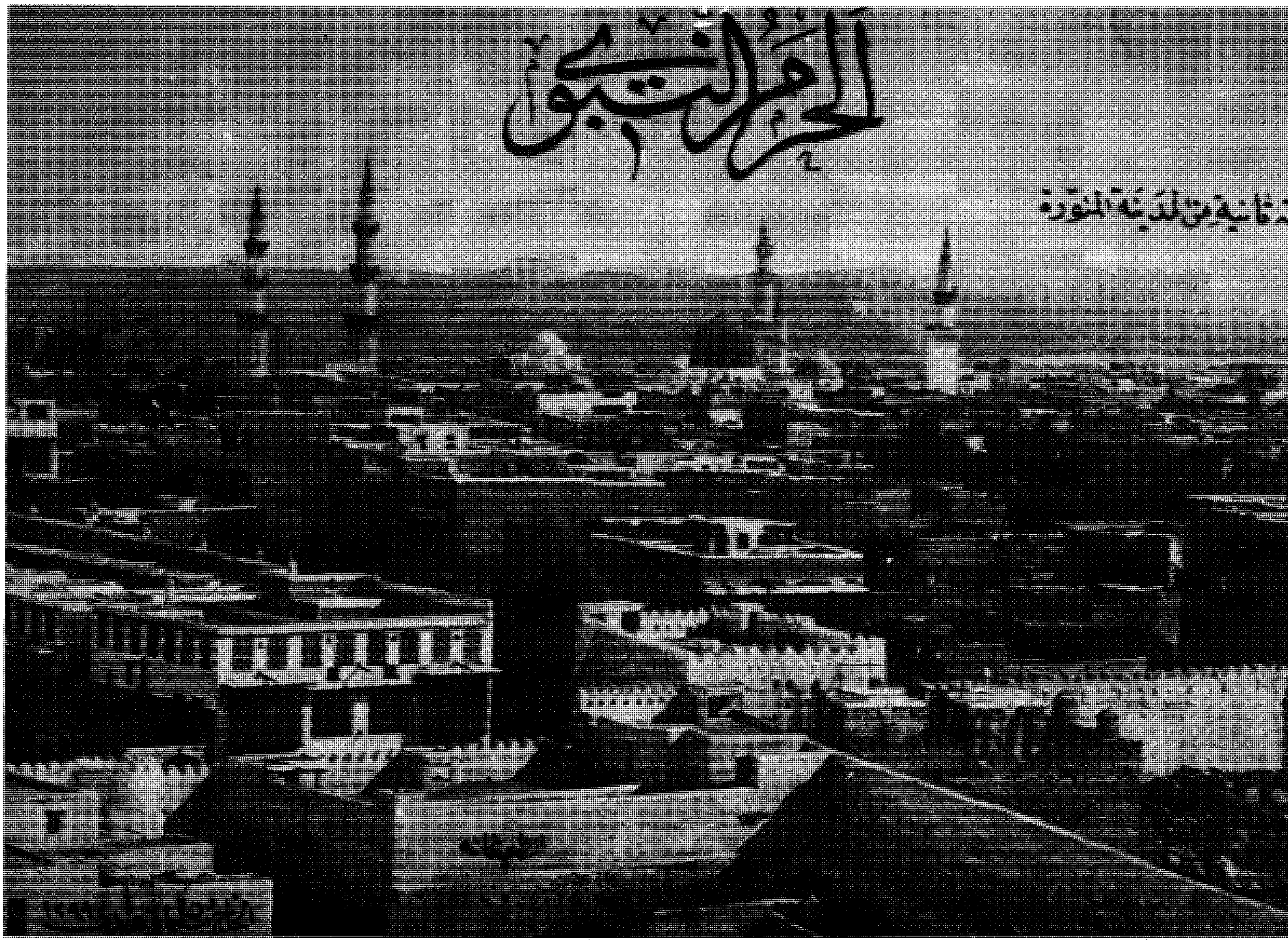


18- باب عنبر (تصوير أ. ميرزا واولاده حوالي 1880).

الأول من أيار سنة 1900 أعلن السلطان عبد الحميد الثاني بمناسبة الذكرى الخامسة والعشرين لتوليه العرش عن مشروع لإقامة خط سكة حديد يربط دمشق بالمدينة ومكة. وكان يهدف من وراء المشروع تقوية نفوذه داخل العالم الاسلامي مركزا على اهميته الدينية والسياسية والعسكرية والاقتصادية.

قبل البدء بالمشروع كانت قوافل الحجاج (المحمل الشامي) تنطلق من دمشق براً نحو المدينة ومكة في رحلة عبر الصحراء تستغرق ما بين ثلاثين واربعين يوماً. وجاءت فكرة اقامة خط سكة حديد الحجاز لتجعل الوصول الى المدينة بايام. وبالفعل بدأ العمل في اول ايار 1901 على خط المزيريب-درعا، وبذلت جهود ضخمة لتمويل المشروع والاسراع باقامته، وتم تدشينه في ايلول 1908 وسط احتفالات ضخمة بمناسبة ذكرى جلوس عبد الحميد.

وبمناسبة تدشين خط سكة الحديد قام جيرفيه-كورتلمون بزيارة ثانية الى الحجاز خلال فترة الاحتفالات التقط خلالها العديد من الصور للمحطات على امتداد الخط وللاحتفالات التي جرت وللمدينة المنورة، ونشر سلسلة من المقالات حول رحلته في مجلة L'illustration الباريسية تخللتها نماذج من



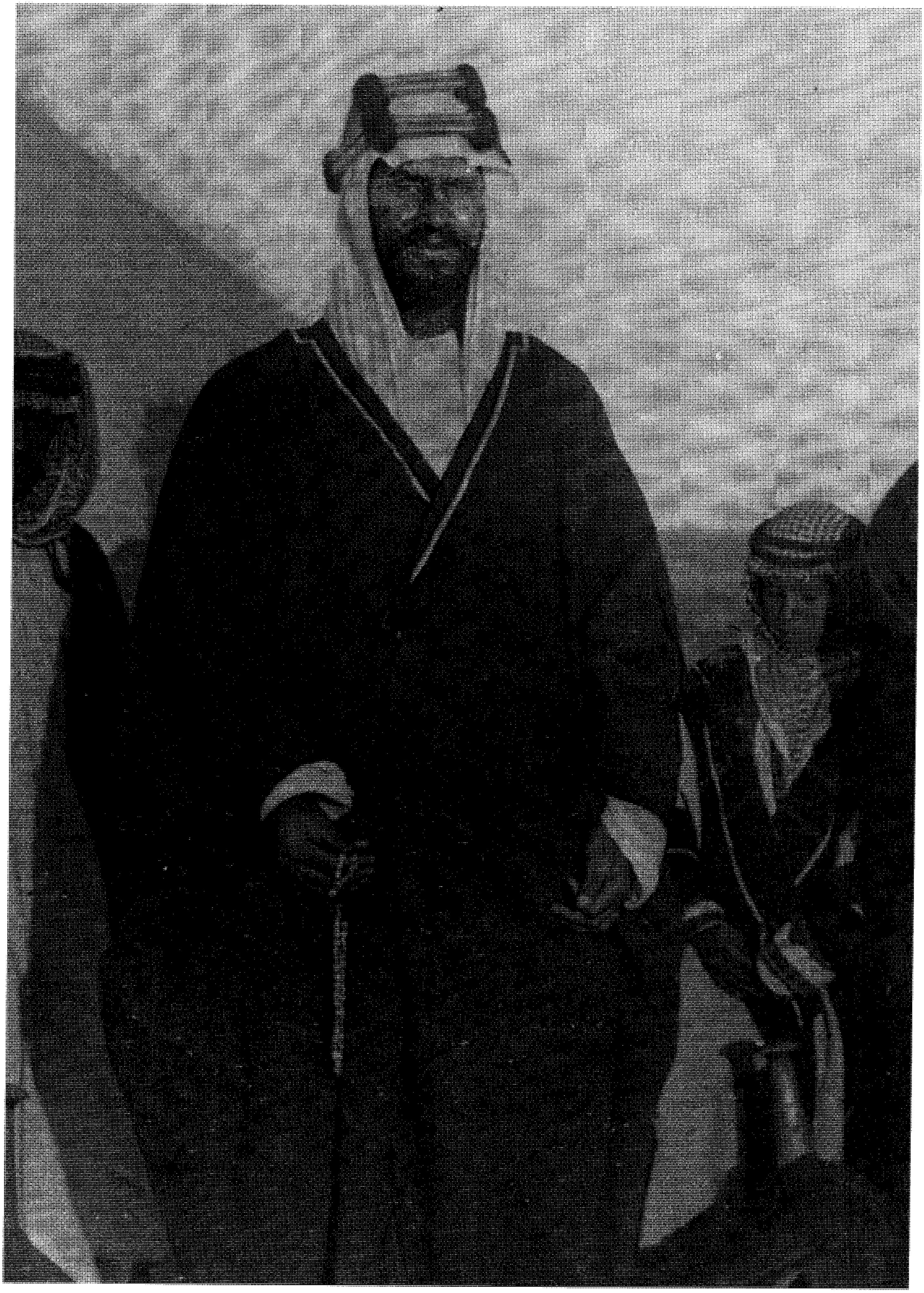
19- منظر عام للمدينة المنورة (تصوير الحاج سليمان زهدي 1882).

الصور التي التقطها (16). والجدير بالذكر أن المصور الارمني حلادجيان الذي سبق له ان افتتح استديو للتصوير في مدينة حيفا في العقد الاخير من القرن الماضي، قام بتصوير مراحل تشييد الخط أيضاً إضافة إلى تصويره المدينة المنورة، وتعتبر اعماله مع اعمال كورتلمون من الوثائق المصورة النادرة لذلك الحدث التاريخي.

المصورون الاتراك

لم تظهر حتى الآن اية دراسات عن اعمال المصورين الاتراك الذين نشطوا في الجزيرة العربية. لكن يبدو انه بالاضافة الى المصور علي بيه الذي يذكر محمد صادق انه التقاه في مكة المكرمة، كان اليوزباشي محمد علي ناشطاً في سنجق المدينة المنورة(17)، وكذلك المصور سليمان زهدي الذي عثرت على صورة له التقطها في المدينة المنورة العام 1881.

ان جميع المؤشرات تفيد بان هناك اعمالاً مصورة نفذ القسم الاكبر منها عسكريون اتراك في الحجاز بصورة خاصة، وهذه الاعمال لم يكشف عنها حتى الآن. وباعتقادي انها تحتاج الى دراسة خاصة.



الفصل الرابع

الصور الأولى في نجد

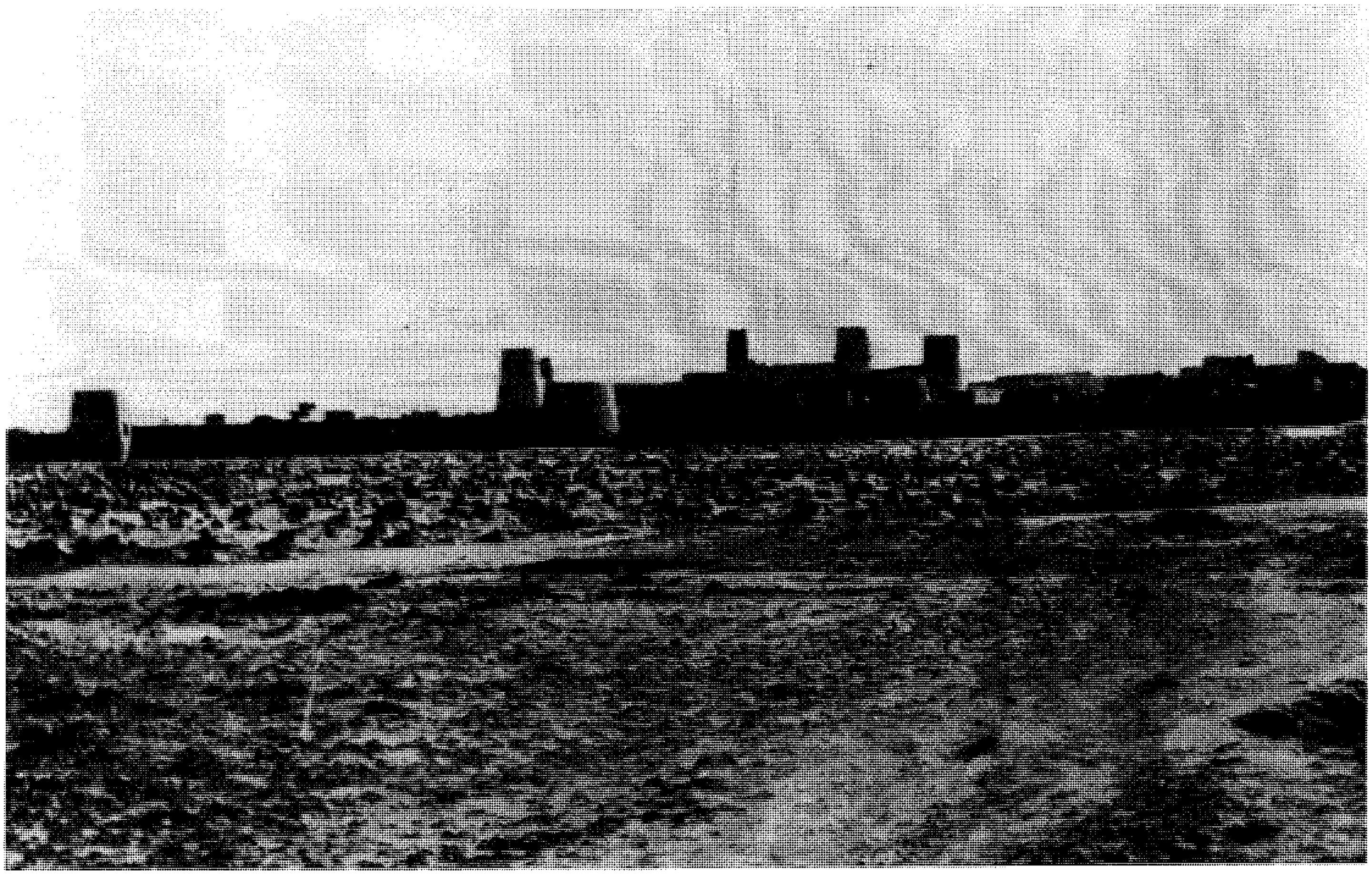
شهدت السنوات الأولى من القرن الحالي سلسلة من الاحداث السياسية التي تركت فيما بعد تأثيرا كبيرا على مستقبل شبه الجزيرة العربية . فقد انطلق عبد العزيز بن سعود من نجد للاستيلاء على المناطق المجاورة ، فاستعاد بسرعة الخرج والحوطة والافلاج والدواسر ، ثم عنيزة وبريدة والقصيم .

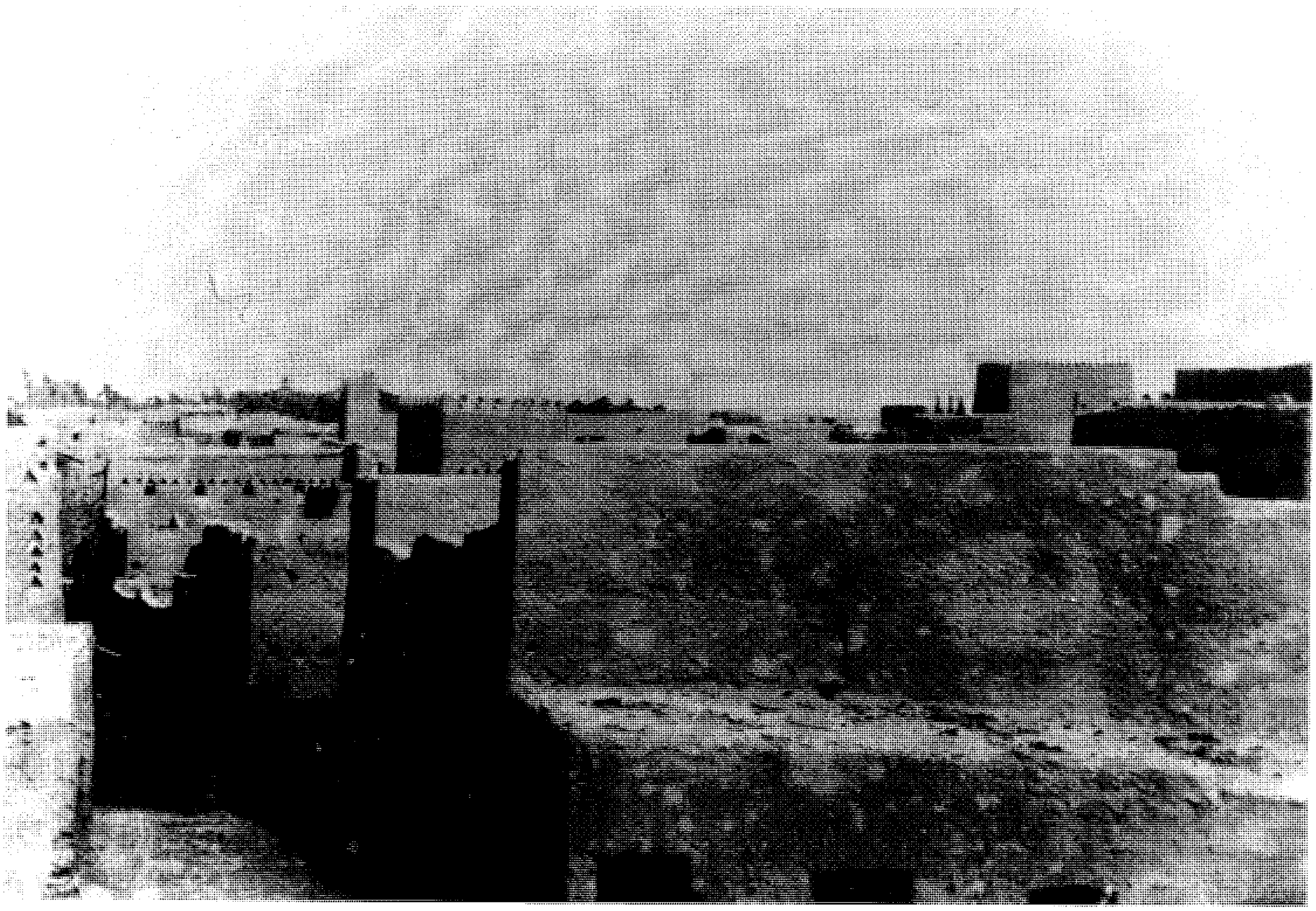
وأدت الصراعات العائلية والقبلية التي نشبت بين اعداء ابن سعود إلى اضعافهم ، وهذا ما اعطاه، بالإضافة إلى الانهيار السريع لسيطرة الامبراطورية العثمانية ، الفرصة لتعزيز مواقعه فاستولى على الاحساء المنفذ الطبيعي لنجد إلى الخليج العربي .

دفع استيلاء ابن سعود على الاحساء بريطانيا إلى الاسراع في اجراء اتصالات مع مملكة نجد نظراً لاهتمام

1- ابن سعود (تصوير تصوير شكسبير 1910).

2- اسوار الرياض (تصوير ليشمان آذار 1912).



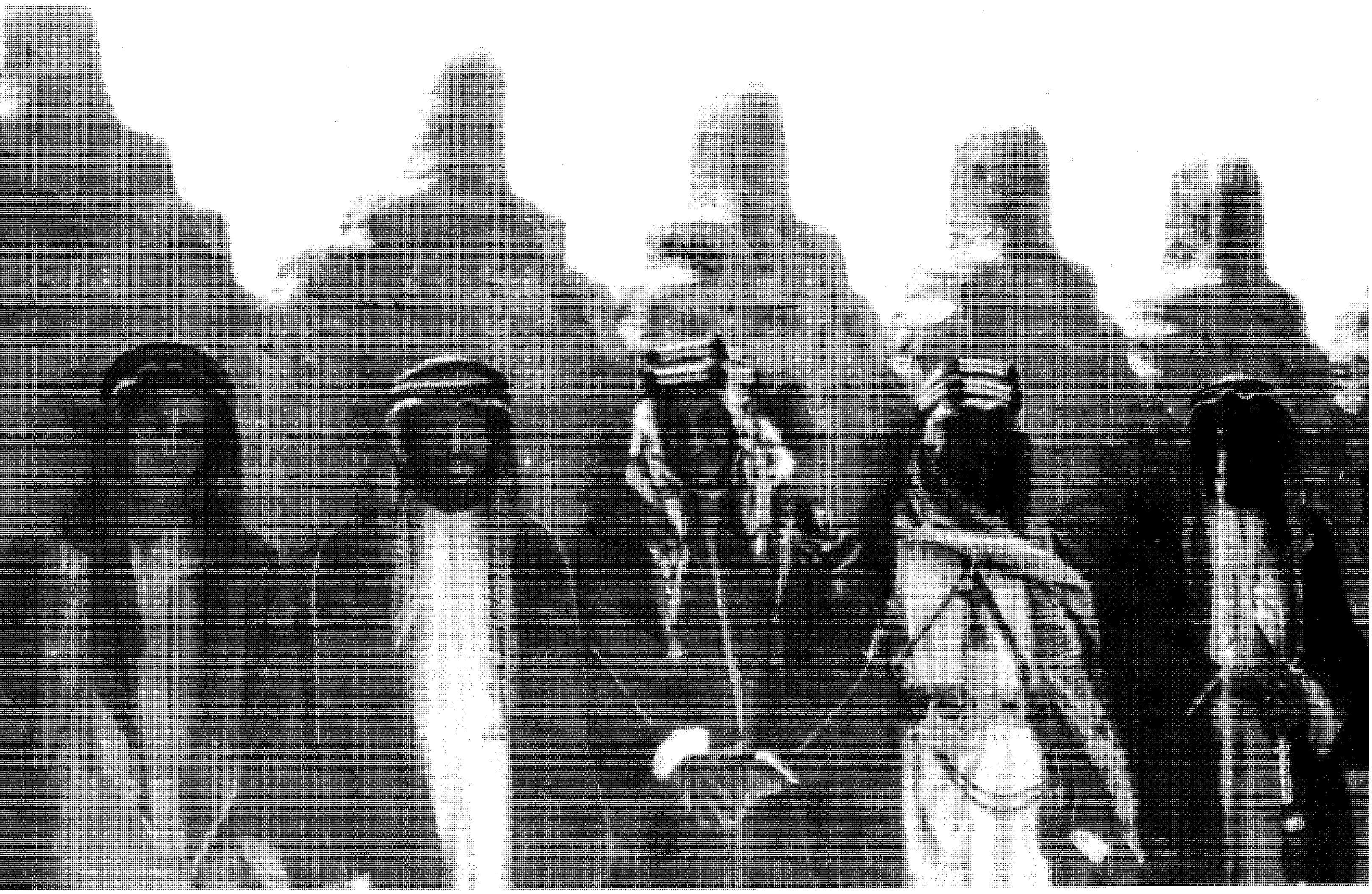


3- منظر عام للرياض (تصوير ليشمان آذار 1912).

الانكليز الرئيسي بطريق الهند عبر الخليج العربي . وشهدت تلك الفترة تنافسا شديدا بين الدول الأوروبية بهدف تعزيز تحالفاتها مع القوى السياسية المتواجدة في نجد والحجاز .

كان النشاط الالماني في الخليج العربي في اوجه ، وعمل الالمان تحت ستار شركة Wonckhaus ، والبعثات الاثرية والجغرافية ، ومن ابرزها البعثة التي ترأسها عالم الآثار كولديوي Koldewey . ومن المعروف ان الدول الكبرى خلال القرن الماضي كانت تعتمد في نشاطها السياسي على اسلوب التخفي تحت ستار العمل ضمن المتاحف والبعثات الاثرية والعلمية المختلفة. فقد ارسل البريطانيون دوغلاس كاروثرز Douglas Carruthers وستيفن سيمور بتلر Stephen Symour Butler إلى منطقة الجوف لدراسة انواع النباتات هناك . وارسل النمساويون الرحالة الوا موسيل Alois Musil إلى منطقة الجوف ايضا لدراسة تضاريسها واوضاع قبائلها ، وقد رفع موسيل تقاريره إلى المعهد الجغرافي العسكري في فيينا .

ومن ناحية أخرى ، وبعد استيلاء ابن سعود على الاحساء، أسرعت بريطانيا إلى اجراء اتصالات معه. وكان بدء الاتصالات الديبلوماسية بواسطة النقيبين جيرارد ليشمان Gerard Leachman (1920-1880) و وليم هـ. شكسبير William Henry Shakespear (1915 - 1878) اللذين أرسلا كمبعوثين من قبل المقيم البريطاني في الخليج العربي سير



4- سعد بن عبد الرحمن آل سعود في وسط الصورة التي التقطت في القصر الملكي في الرياض (تصوير شكسبير 1914).

بيرسي كوكس .

الصور الأولى للرياض

عندما بدأ النقيب جيرارد ليشمان (1880–1920) دراسة اللغة العربية سنة 1908، كان المقيم البريطاني في الخليج العربي سير بيرسي كوكس قد قرر ايفاده بجولة استكشافية إلى حائل لاجراء اتصالات مع آل الرشيد حلفاء الاتراك. وبدأ ليشمان رحلته إلى حائل بعد اجراء التحضيرات اللازمة في 13 كانون الثاني سنة 1910 متنكراً بزي عربي ويرافقه دليل من بني حسن اسمه خضر بن عباس .

وكانت مهمة النقيب ليشمان المعلنة دراسة طبوغرافية المنطقة ورسم الخرائط لها بناء على طلب رسمي من قبل الجمعية الجغرافية الملكية في لندن . وكتب ليشمان خلال رحلته هذه تقارير حول التحالفات السياسية والتحركات العسكرية ونزاعات القبائل ، وامضى خمسة أسابيع في مخيم آل الرشيد بالقرب من حائل حيث التقى بسعود بن الرشيد .

اثارت رحلة ليشمان حفيظة الاتراك ، واستفسر الوالي التركي في البصرة من القنصل البريطاني عن طبيعة مهمة

5- سعد بن عبد الرحمن آل سعود (تصوير شكسبير 1914 م



ليـشــمــان ، فكان الرد انه عــالم نبــاتات يدرس النبــاتات الصحراوية لصالح الجمعية الجغرافية الملكية .

لكن الرحلة الابرز في نشاطات النقيب ليشمان في شبه الجزيرة العربية كانت إلى الرياض بهدف الاجتماع بعبد العزيز آل سعود واجراء مسح جغرافي للقصيم والرياض لصالح الجمعية الجغرافية الملكية في لندن والمكتب الحربي البريطاني War Office . وتمت هذه الرحلة في شتاء العام 1912 وظهرت بعدها الصور الأولى لمدينة الرياض.

وكانت الاوامر الموجهة للنقيب ليشمان بأن يسرع في اللقاء بابن سعود قبل وصول البعثة الدنماركية برئاسة باركلي رونكيار Barclay Raunkiaer إلى الرياض. وكانت هذه البعثة ممولة من الجمعية الجغرافية الدنماركية ، ووصلت بالفعل إلى الرياض قبل وصول النقيب ليشمان على الرغم من تدخل السلطات البريطانية بهدف منع أو تأخير وصولها .

ومن مراجعة للصور الفوتوغرافية التي التقطها النقيب

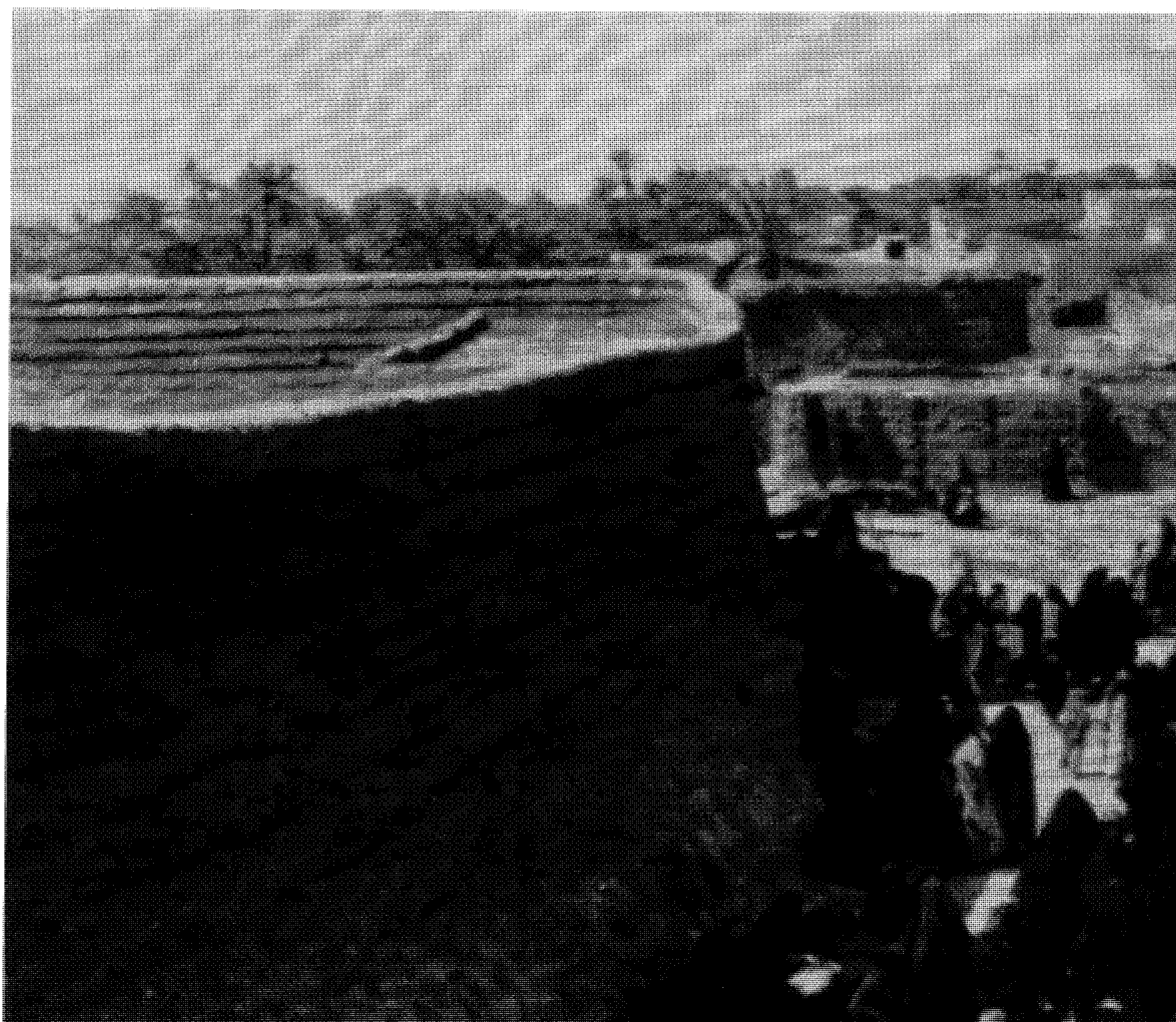
6- السوق الرئيسي في الرياض، ويبدو الجامع الكبير الى اليمين والركن الشمالي الغربي لقصر الحكم، كما يظهر سوق الخرازين بجوار الجامع، وسوق النساء الى اليسار تحت سور القصر (تصوير شكسبير 1914).



ليشمان خلال رحلته في نجد، يتبين لنا خط سيره في صحراء النفود والقصيم وبريدة والزلفي وشقراء وجبل طويق ووادي حنيفة والدرعية والرياض، ثم الهفوف والبحرين قاطعا مسافة حوالي 1300 ميل (2100 كلم).

انطلق ليشمان في رحلته هذه من دمشق ، وقطع مسافة ثمانمائة ميل في الصحراء إلى أن وصل إلى عيون القصيم ، ومنها توجه جنوباً نحو بريدة حيث يذكر ان القادم إليها من ناحية الشمال لا يرى أية بساتين للنخيل ، وانما كتلة من بيوت مربعة الشكل محاطة بسور عال يبدو واضحاً فيه باب خشبي ينفتح على بوابة مرتفعة في السور . ويضيف: « دخلنا هذه البوابة واجتزنا فضاءً واسعاً منبسطا ، يقوم من الناحية الشمالية الشرقية منه موقع محصن لابن سعود يسكن فيه الأمير ابن معمر، وهو رجل من الرياض عين حاكماً من قبل ابن سعود ».(1)

غادر ليشمان بريدة نحو شقراء التي كان يبلغ عدد





7- *ابن سعود في ثاج ويبدو الى يمينه شقيقه سعد بن عبد الرحمن (تصوير شكسبير 11 آذار 1911).*

سكانها حوالي خمسة آلاف نسمة، ومنها نحو وادي حنيفة وظهرت امامه خرائب الدرعية القديمة عند الضفة اليمنى من الوادي . اجتاز ليشمان ومرافقوه هضبة حجرية يبلغ عرضها عشرين ميلا (33 كلم) ثم لاحت امامهم مدينة الرياض التي يصفها بانها محاطة ببساتين النخيل الكثيفة احاطة تامة من جوانبها الثلاثة ، ومحاطة ايضا بسور هائل حديث البناء مع ابراج تبعد عن بعضها البعض مئات الامتار بحيث يمكن السيطرة منها على مختلف بوابات الدخول . اما في الناحية الغربية فتقوم مقبرة واسعة.

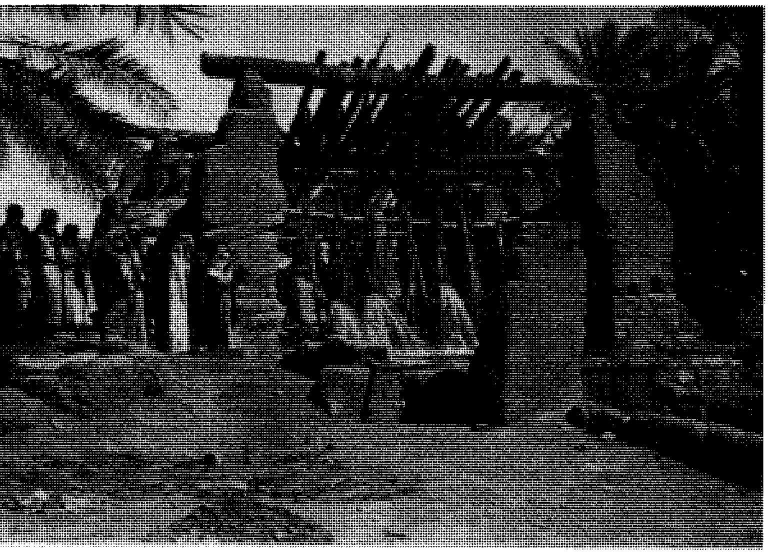
امضى ليشمان اسبوعاً في الرياض خلال آذار 1912، وذكر ان عدد سكانها كان يبلغ حوالي خمسة وعشرين الف نسمة وقال : «دخلت البلدة من بوابة ضخمة ذات الواح خشبية وعبرنا عددا من الشوارع الهادئة ، ووصلنا فجأة إلى ساحة ضخمة وسوق مزدحم بالناس ، ثم تقدمنا إلى ساحة أخرى تقع إلى يمينها قلعة ضخمة تبين لنا أنها قصر ابن سعود امير نجد»(2).

ألتقى ليشمان خلال أقامته في الرياض بابن سعود الذي كان «في حدود الأربعين من العمر ، يبلغ طوله ستة أقدام ، ذو بنية ضخمة ووجه قوي ورقيق وعادات على اشد ما تكون

من البساطة . صافحني وهدأ من روعي على الفور بتحيته الودودة وبالحديث الطويل الذي أنطوى على أنباء العالم الخارجي وعلى الأخص الحرب التركية ـ البلقانية » (3).

ويلاحظ من المذكرات التي تركها ليشمان قبل مصرعه في العراق أثناء ثورة 1920 ضد الاحتلال البريطاني، ان الهدف الرئيسي من زيارته الرياض كان سياسياً بالدرجة الأولى وأنه كان يرغب في إكمال رحلته جنوباً إلى يبرين والربع الخالي بهدف إكمال وضع خرائط عن المنطقة لصالح الجمعية الجغرافية في لندن والمكتب الحربي البريطاني، إلا أن ابن سعود رفض السماح له بمواصلة رحلته فقفل عائداً إلى البحرين.

غادر ليشمان الرياض إلى الحسا والهفوف التي ذكر أن عدد سكانها يقارب الثلاثين ألفاً يكنون العداء الشديد للاتراك ، ثم الساحل فالبحرين ، وكان برفقته عدد من البدو ينتمون إلى أربع قبائل هي العجمان والدواسر وبنو حجر وبنو مرة .



8- استخراج الماء من بئر الشميسية (تصوير شكسبير 1914).

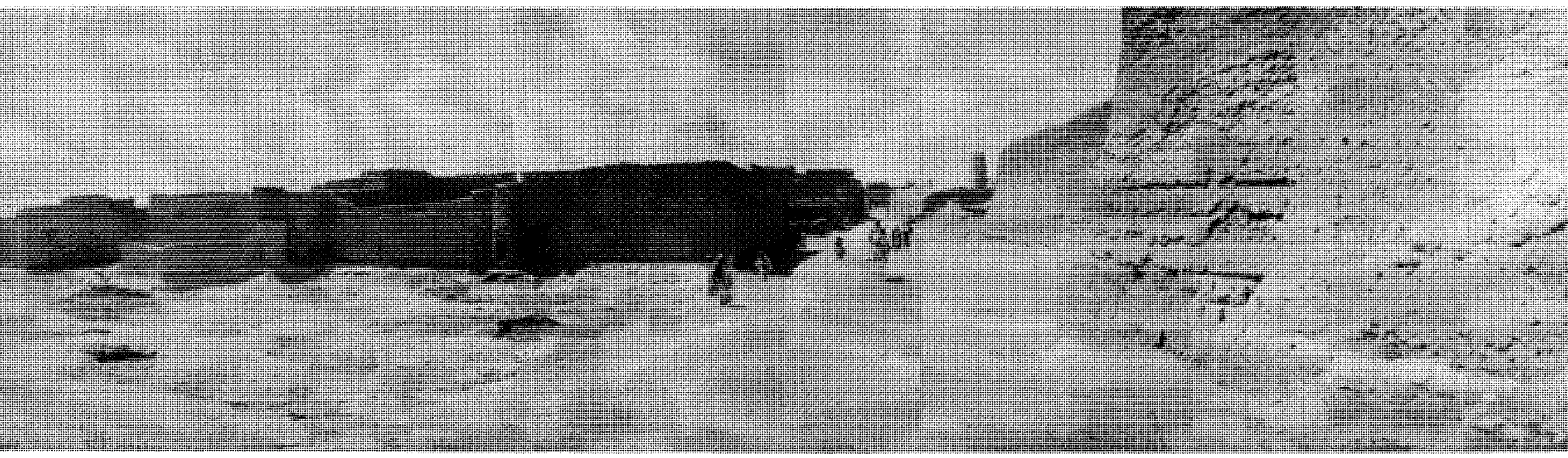
صور النقيب شكسبير

بدأ شكسبير حياته العسكرية مع رماحة البنغال سنة 1899 ، لكنه انتقل بعد فترة قصيرة الى العمل السياسي في الهند ، وفي العام 1909 تم تعيينه معتمدا سياسيا في الكويت ، وظل في هذا المنصب لمدة ست سنوات متتالية . وخلال هذه الفترة ، قام بعدة رحلات استكشافية إلى المناطق الداخلية المجهولة إلى حد بعيد انذاك ، حاملا معه في كل مرة المعدات التصويرية اللازمة .

كان النقيب شكسبير يمتلك آلتي تصوير : الأولى انزيغنات Ensignette وهي كاميرا صغيرة قابلة للانطواء انتجتها في سنة 1909 شركة هوتون الانكليزية ، والثانية كاميرا بانورامية لها عدسات دوارة تدور عندما يتم كبس احد الازرار ، فتلتقط صورا شاملة الرؤية بعرض يقارب الثلاثين سنتيمتراً . كما كان يحمل معه في رحلاته حوض كوداك للتظهير من الطراز الذي انتج في العام 1902 . وكثيرًا ما امضى لياليه في

9- سور وابراج الرياض من الجهة الشمالية الشرقية (تصوير شكسبير 1914).





10- بداية شارع الثميري، ويبدو البرج المجاور لبوابة الثميري الى اليمين (تصوير شكسبير 1914).

الصحراء يظهر أفلامه مستعملا كل الماء المتوافر معه.

وفي العام 1909 قام شكسبير بأول رحلة استكشافية له في المنطقة الواقعة إلى جنوب الكويت قاطعاً مسافة 378 كلم . ثم توجه في العام التالي في رحلة اطول اخذته الى الصفا والباطن. وبعد عودته من هذه الرحلة حدث لقاؤه الأول مع عبد العزيز بن سعود الذي كان بصحبة عدد من رجاله في الكويت لزيارة الشيخ مبارك . وقد وافق القائد السعودي على ان يلتقط له شكسبير بعض الصور . وهذه الصور ، إضافة إلى مجموعة ثانية التقطها النقيب شكسبير في لقاء آخر جرى بينهما في معسكر سعودي بالقرب من ثاج العام 1911 ، محفوظة الآن في ارشيف الجمعية الملكية الجغرافية في لندن، وهي الصور الاولى المعروفة للقائد السعودي.

الحق شكسبير رحلته هذه إلى ثاج بجولة قصيرة في العام 1912 شملت الجنوب الغربي من الكويت ، ثم برحلة اطول عبر صحراء الدهناء الى المجمعة والخفص العام 1913 . واخيرا في العام 1914 ، حقق امنيته في قطع الصحراء من شاطىء الخليج العربي إلى شاطىء البحر الأحمر ولقاء ابن سعود في عاصمته الرياض .

خلال هذه الرحلة التي استغرقت ثلاثة اشهر ، قطع شكسبير مسافة 1810 اميال تقريبا(2913 كلم) . فقد ترك الكويت في شتاء 1914 برفقة عشرة رجال وسبعة جمال للركوب وعشرة أخرى لنقل الامتعة واربعة خراف ومجموعة من المعدات العلمية استعملها لمسح الطرقات التي قطعها . واخذته الرحلة الى الباطن فالرجاع والحفر ، ثم إلى الجنوب الغربي صعودا إلى القاع الاسفل من وادي الرمة ومن هناك إلى جوبة ، ثم توجه إلى الجنوب الشرقي عبر الزلفي والمجمعة ... وأخيراً وصل في التاسع من اذار إلى الرياض حيث استقبله ابن سعود .

وعلى امتداد الطريق ، ألتقط شكسبير العديد من الصور التي كان يظهرها وقت الاستراحة المسائية مستعملا حوض كوداك . وقد ترك في دفتر مذكراته ملاحظات حول هذه الصور على سبيل المثال ، كتب في العاشر من شباط يقول : «اخذت عدة لقطات وظهرتها مستعملا حوض كوداك . ان هذا

الحوض ناجح فعلا»(4) . وكتب في الرابع من آذار قائلا : «بعد أن عاد انهمار المطر في الساعة الثامنة والنصف ، قررت التوقف لاعطاء الابل فترة من الراحة دون فك الاحمال . وقد امضيت النهار في تظهير الصور والقراءة . إن عملية التظهير ناجحة جدا . الصور العشر (الزلفي ، الغاط ، والمجمعة)... ظهرت كلها بشكل ممتاز» (5).

استغل شكسبير فرصة وجوده في الرياض لاستكشاف معالم المدينة ، وكان اول مصور يلتقط صورا فيها بعد زميله النقيب ليشمان . وقد اقام معسكره خارجها . وفي الحادي عشر من آذار كتب يقول : «بقيت في المعسكر اكتب بعض الرسائل إلى أن جاء سعد وتركي وعبد الله ... ثم ذهبنا إلى حدائق النخيل التي تسقيها بئر رائعة لها اثنا عشر دلوا ، بناها وزرعها العبد محبوب الذي ورد ذكره في كتاب بالغريف William Palgrave . التقطت صورة هناك ، ثم تركني الشيوخ ... كتبت رسائل أخرى قبل مجيء عبد العزيز ومحمد وعدد من الفتيان ، من بينهم فهد» (6).

في اليوم التالي ، كان ابن سعود يستعد لشن احدى الحملات ويقوم بحشد رجاله وتوزيع الابل والخيول عليهم . وقد شهد شكسبير هذا الحشد وسجله في لقطات فريدة. كتب في مذكراته يقول : «جاء الجيش استعدادا لتوزيع الابل والخيول . التقطت بعض الصور ، وشاهدت منظرا لا اعتقد ان اوروبيا آخر شاهده من قبل على الاطلاق» (7).

تحرك الجيش السعودي في 12 آذار باتجاه الشمال ، ورافق شكسبير الحملة لمدة يومين فقط . وفي 14 من ذلك الشهر بدأ النقيب شكسبير تظهير صور الرياض، وسجل في دفتر مذكراته التالي : «الصور ناجحة تماما ، واصبح هناك مجموعة ممتازة من ثلاثين صورة ، ارسلتها جميعها بالبريد إلى الكويت خوفا من احتمال تعرضنا للسلب»(8).

وفي هذه الاثناء تحولت به رحلته إلى نقطة قريبة من شقراء، ومن هناك شمالا نحو عنيزة حيث صعد في السابع



11- لقاء ابن سعود والشيخ مبارك الصباح في الكويت (تصوير شكسبير آذار 1910).



12- *مسيرة الجيش السعودي قرب ثاج (تصوير شكسبير 1911).*

والعشرين من آذار الحصن فوق البوابة الشرقية والتقط صورة شاملة للمدينة وحدائقها . وبعد يومين وصل إلى بريدة ، وهناك كتب يقول : «تجولت فوق برج الساعة الجديد والتقطت صورة من على كيس رملي للقسم الجنوبي الغربي للبلدة ، في وقت لاحق التقطت صورة أخرى من الجهة الجنوبية» (9).

من بريدة ، اخذ شكسبير طريقا لم يكن مطروقا من قبل يوصل إلى الجوف من خلال الاقليم الشرقي لجبل شمر ويسير بمحاذاة الحدود الشمالية لصحراء النفود ، ومن هناك اتجه شرقا إلى العقبة، وبعد ذلك إلى السويس التي وصلها في الرابع والعشرين من آيار ، وكان طيلة الطريق يلتقط الصور ويظهرها على الفور .أدت الاحوال المناخية القاسية في الصحراء ، وارتفاع درجات الحرارة نهارا، إلى اتلاف العديد من الافلام التي التقطها شكسبير . وتمتلىء مذكراته بالاشارات التي تتحدث عن المصاعب التي واجهها، فقد كتب في الحادي والعشرين من شباط يقول : «اتلف فيلم كامل من طراز انزيغنات Ensignette وهكذا فقدت كافة الصور التي التقطتها للابار والابنية القديمة» (10) . وكتب في التاسع والعشرين من آذار يقول : «اتلفت مجموعة من اربع صور بسبب حرارة المياه ، وكذلك اتلفت مجموعة من ست صور بسبب التصاق الاوراق»(11).

وكانت امدادات المياه اجمالا ملوثة بالرمل ، وفي اكثر من موضع في مذكراته يشير شكسبير إلى أنه لم يستطع تظهير أي فيلم بسبب عدم وجود المياه . ولكن رغم هذه الصعوبات ، فإن الصور التي التقطها تعتبر، مع الصور التي سبق ان التقطها النقيب ليشمان في نجد سنة 1912، من أقدم واندر الصور الفوتوغرافية للمنطقة الوسطى.

عاد شكسبير إلى إنكلترا بعد هذه الرحلة الطويلة ، وفور إندلاع الحرب العالمية الأولى في العام 1914 تطوع للخدمة العسكرية في أوروبا . لكن وزارة الخارجية البريطانية اعادته في نهاية العام نفسه إلى شبه الجزيرة العربية ، بعد أن أقلقها التحالف التركي ـ الالماني ، وازدادت رغبتها في البحث عن حلفاء في أواسط الجزيرة العربية.

في اليوم الأخير من العام 1914 ، ألتقى النقيب شكسبير ابن سعود في معسكره بالقرب من الطاوية حيث كان يستعد لخوض معركة جراب ضد آل الرشيد . واندلعت المعركة في 24 حزيران سنة 1915، وقبل أن يخيم الظلام كان ابن سعود قد حسم المعركة لصالحه . لكن شكسبير ، الذي كان يرافق الجيش السعودي، سقط في الساحة قتيلا من جراء اصابات لحقت به في المعركة .



13- عبدالله بن عبد الرحمن آل سعود (تصوير شكسبير آذار 1910

الفصل الخامس

الصور الاولى للمناطق الشمالية

1- قصر امير الجوف (تصوير بتلر 1908).

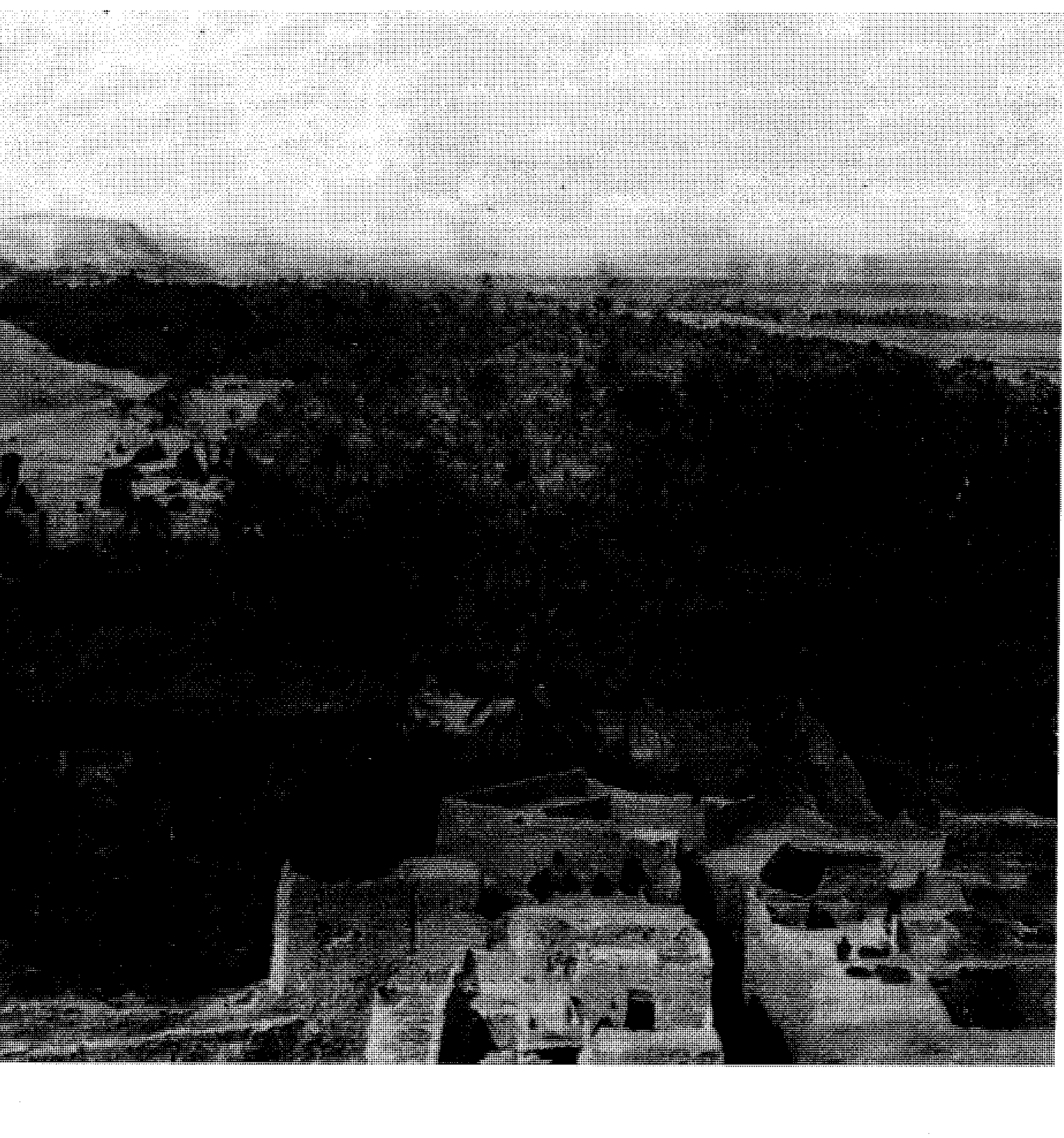


ارسلت الجمعية الجغرافية الملكية في لندن والمكتب الحربي البريطاني اول بعثة عسكرية الى منطقة الجوف مؤلفة من ضابطين هما ستيفن سيمور بتلرStephen S. Butler وليستر ايلمر Lycester Aylmer وذلك في العام 1908. ويذكر بتلر في مخطوطة بعنوان « *رحلة الى المناطق المجهولة في شبه الجزيرة العربية سنة 1908*» A journey into the unknown Arabia in 1908(1)انه فضل زيارة المناطق النائية التي لم يسبق لأي اوروبي ان زارها في شبه الجزيرة العربية، وانه اختار منطقة الجوف بعد ان تلقى دروساً باللغة العربية في كينيا على يد جنود سودانيين اعتقلوا في معركة ام درمان وجندوا للعمل في الجيش البريطاني ضمن اطار ما كان يسمى بـ « الفرقة الافريقية ».

ويذكر بتلر انه خلال خدمته مع الجيش البريطاني في كينيا كتب ورفيقه ايلمر رسالة الى المكتب الحربي البريطاني طالبا فيها تزويدهما بمعلومات عن شبه الجزيرة العربية، وبالفعل وصلت المعلومات حاملة اجوبة عن كافة تساؤلاتهما.

في الخامس من تشرين الثاني 1907 غادر بتلر وايلمر مونباسا بحراً باتجاه بومباي، ثم انتقلا الى مسقط وبوشهر

2- دومة الجند





3- فيصل بن الرشيد- يمين الصورة - ويبدو الى يساره بعض مساعديه. (تصوير بتلر 1908).

والمحمرة ثم البصرة. وكانت خطتهما تقضي بان تبدأ رحلتهما من البصرة او بغداد باتجاه حائل ثم العودة الى دمشق. وقد انتقلا من البصرة الى الزبير وحلا ضيفين على عبدالله المنديل، ثم توجها نحو بغداد حيث زودهما القنصل البريطاني النقيب رامزي Ramsay بدليل ليرافقهما في الطريق الى كربلاء. ويذكر بتلر ان السلطات التركية في الحلة وضعتهما تحت المراقبة للاعتقاد بانهما من الجواسيس.

تجول بتلر وزميله ايلمر متنكرين باللباس العربي تحت ستار كونهما تاجري ابل من كردستان وذلك نظراً للحيتيهما الشقراوين. وقد التقطا خلال الرحلة مجموعة من الصور بطريقة سرية، وبالخفية عن مرافقيهما من البدو.

بالطبع كانت مهمة بتلر وايلمر في الاساس عسكرية كلفتهما بها وزارة الحربية البريطانية بهدف وضع خرائط لمنطقة الجوف واجراء اتصالات سياسية مع زعمائها. ويذكر بتلر انه التقط صوراً في الجوف بسهولة وانه «في الصباح صعدت الى القلعة حاملاً آلة التصوير واقنعت الامير فيصل بن الرشيد وعدداً من مساعديه بالصعود معي، والتقطت صوراً لهم وللقلعة.... وكان فيصل يعتقد بان الصور داخل

آلة التصوير واصر على ان يفتحها لأخذها...»(2).

ويقول بتلر ان اليوميات التي كتبها خلال رحلته، والتي تضمنت معلومات هامة، كانت موضع تقرير مفصل رفعه ورفيقه ايلمر الى المكتب الحربي البريطاني الذي عبر عن «تقديره لمجهودهما» (3).

عاد بتلر وايلمر بعد ان امضيا خمسة اسابيع في الجوف منذ مغادرتهما بغداد باتجاه دمشق، ومعهما عدد من الغزلان والخيول العربية الاصيلة. والقى بتلر العديد من المحاضرات في الجمعية الجغرافية الاسكتلندية في ادنبرة وغلاسكو وكذلك في المدن البريطانية الاخرى، شارحا انطباعاته مستندا الى مجموعة من الصور الفوتوغرافية التي التقطها هناك.

بيل في حائل

بعد ست سنوات من جولة بتلر وايلمر في منطقة الجوف ،التقطت أولى الصور الفوتوغرافية لمدينة حائل العام 1914 من قبل الباحثة الاثرية البريطانية جيرترود بيل Gertrude Bell التي كانت تعمل بدورها في السلك السياسي البريطاني . بدأت بيل رحلاتها في بلاد الشام فور تخرجها من جامعة اوكسفورد البريطانية في فرع التاريخ الحديث . وبحلول العام 1911 كانت تجولت في كل من فلسطين والاردن وسوريا والعراق .

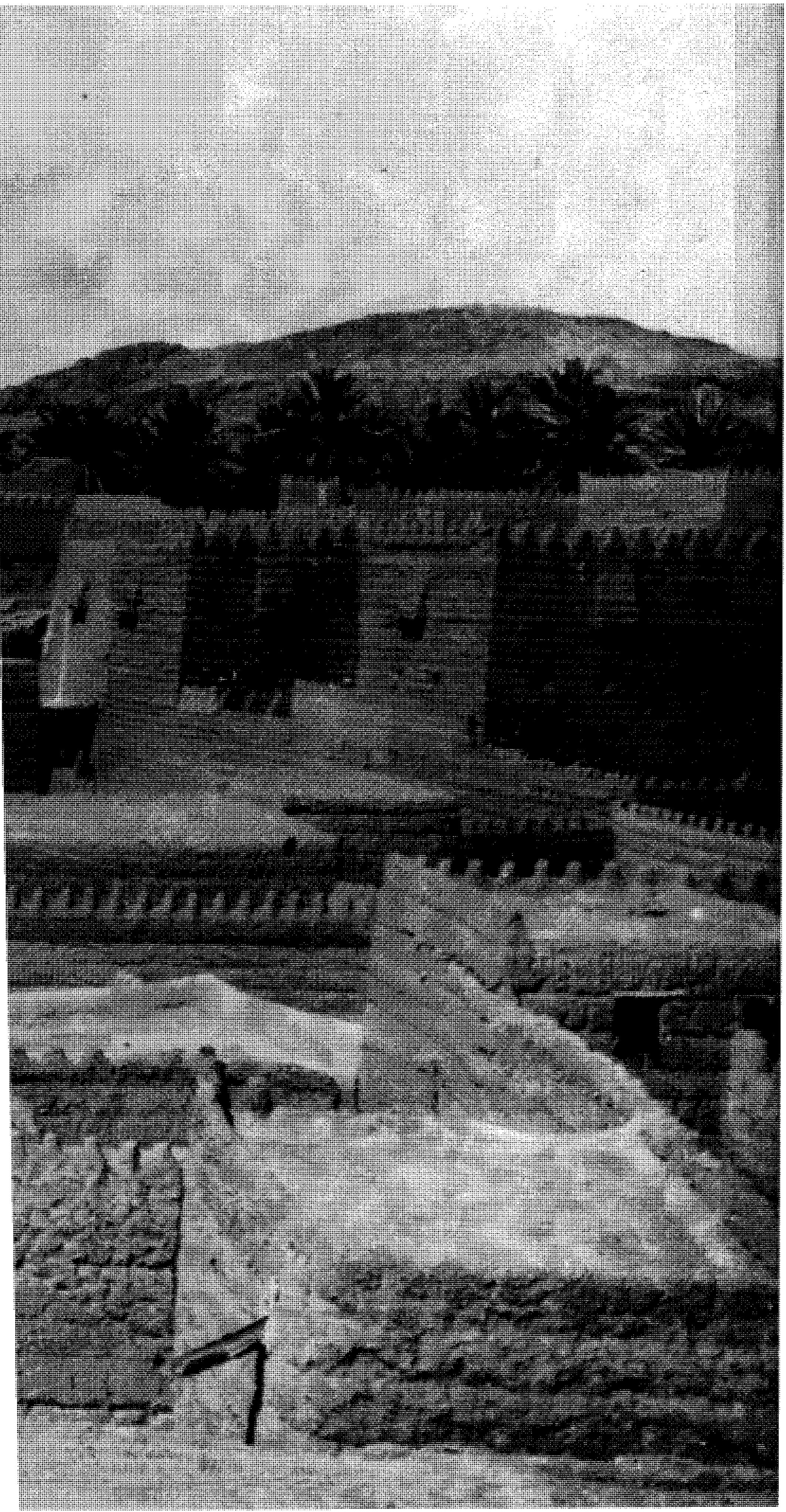
كانت بيل مصورة فوتوغرافية ضليعة وقادرة على طبع صورها بنفسها، ويظهر ذلك بوضوح من خلال النوعية الممتازة لصورها. تجولت بيل حاملة معها آلتي تصوير : الأولى تلتقط صورًا بمقياس عريض ، والثانية بانورامية حاولت أن تعكس من خلالها طبيعة الاتساع والانبساط في الصحراء . لكن اهتمامها الاساسي انصب على دراسة التفاصيل الهندسية ومعالم الابنية والمدن والآثار القديمة، بالاضافة إلى النشاط السياسي .

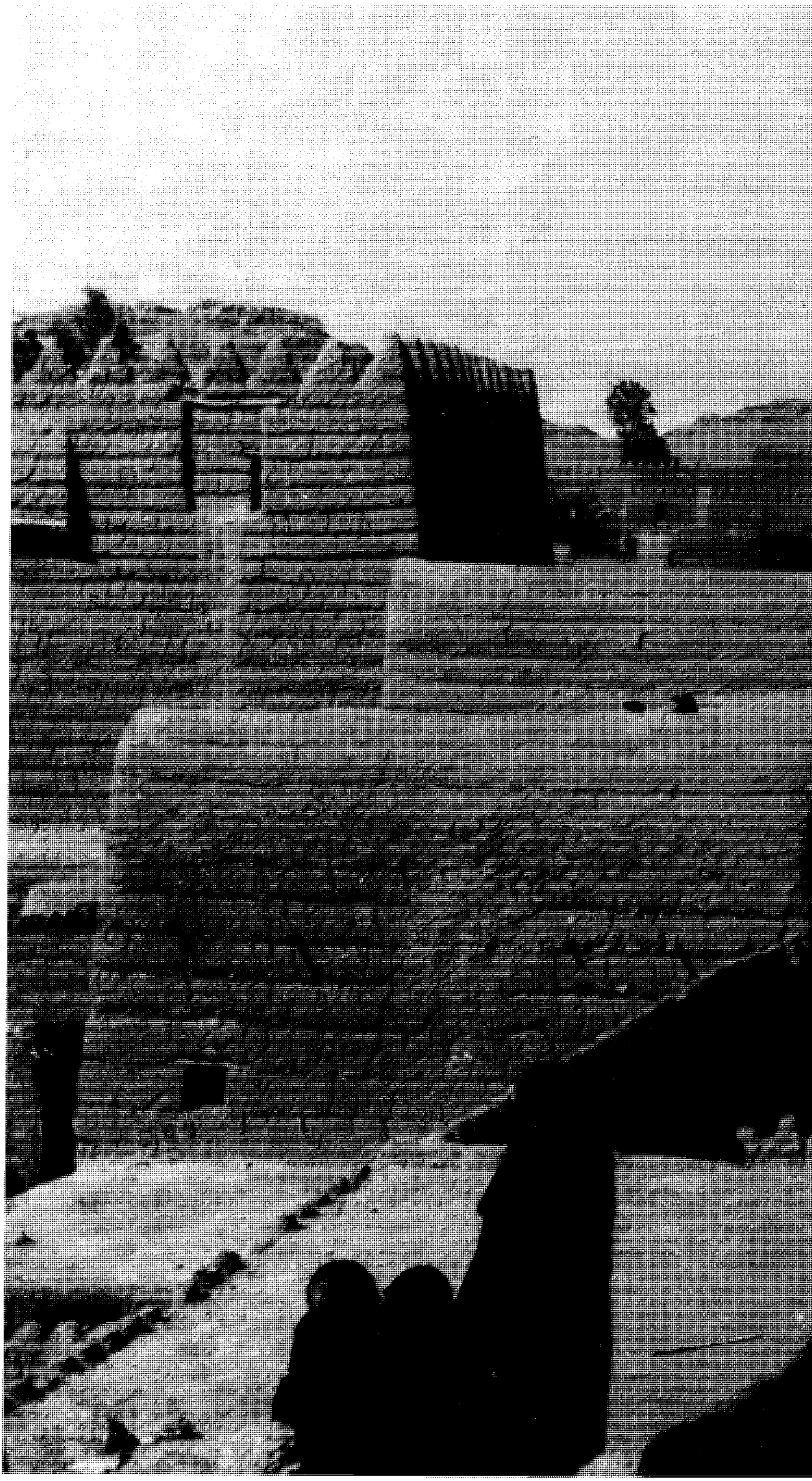


4- رجال امام بوابة في حائل (تصوير بيل آذار1916)

كانت بيل تريد ان تقوم برحلة إلى اواسط الجزيرة العربية بهدف رسم خرائط للمنطقة ودراسة الاثار القديمة وارسال نتيجة ابحاثها الى المكتب الحربي البريطاني والجمعية الجغرافية الملكية في لندن. ويكشف رئيس الجمعية الجغرافية الملكية جورج هوغارث في خطاب بعنوان « *رحلة جيرترود بيل الى حائل* » Gertrude Bell's Journey to Hayil (4) القاه في الرابع من نيسان 1927 امام اعضاء الجمعية، معلومات عن هذه الرحلة استقاها من تقارير ومذكرات بيل، ويقول انه في الخامس والعشرين من تشرين الثاني العام 1913 بحثت بيل في دمشق موضوع رحلتها الى نجد بشكل شخصي وسري ومن دون اعلام السلطات التركية مع محمد البسام ومع ممثل لابن الرشيد في دمشق. وكانت خطتها الاولية تتضمن السير في الطريق التي سار عليها قبلها الوا موسيل العام 1908، وجيرارد ليشمان العام 1914، وتحاشي المرور قرب خط سكة حديد الحجاز حيث الحراسات التركية الكثيفة.

عادت بيل الى حلب من دمشق، وعدلت خطتها واشترت عشرين جملا تحضيرا للرحلة، وتوجهت نحو حوران برفقة





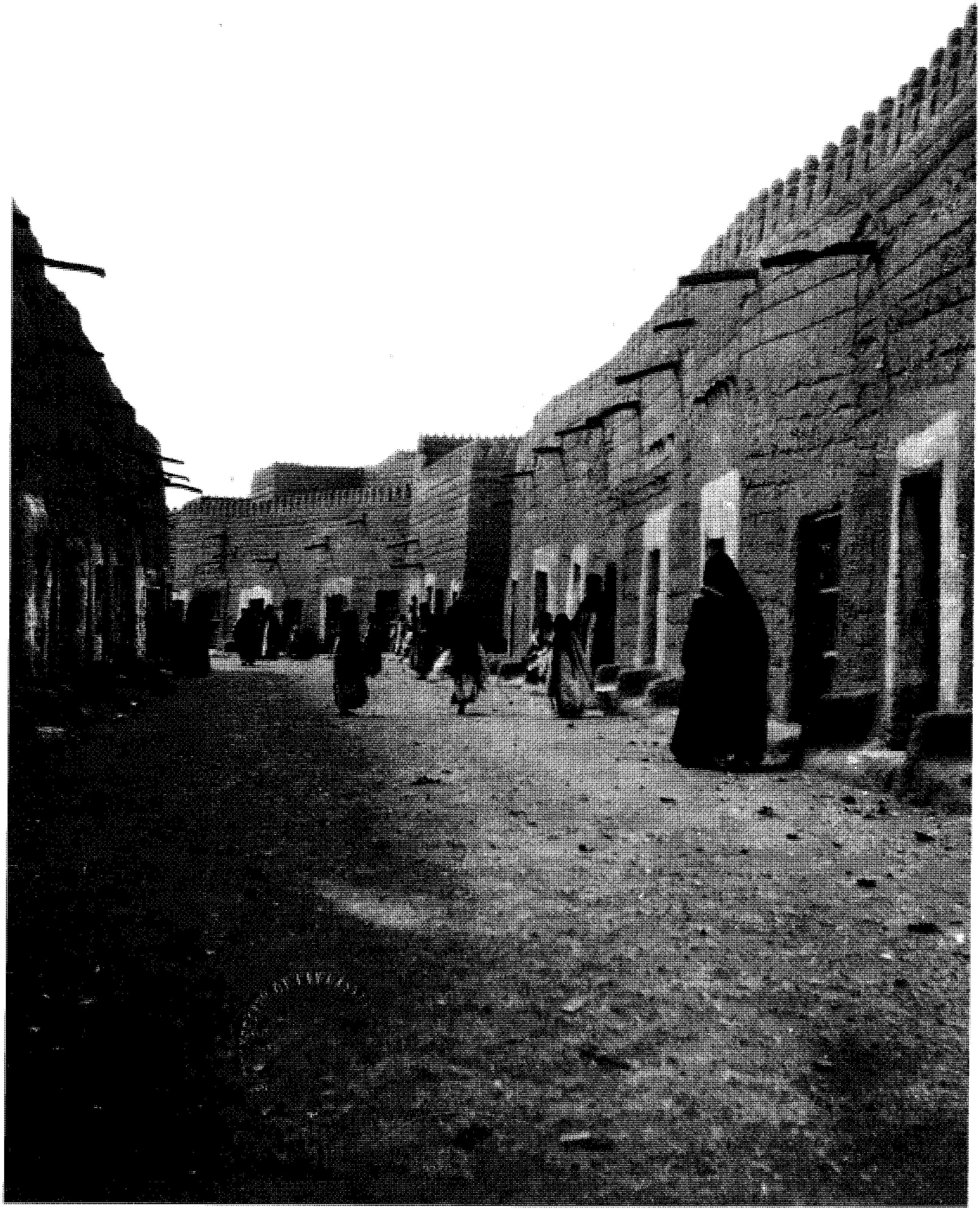
دليل يدعى محمد مراوي سبق له ان تجول مع كاروثرز سنة 1909. ويذكر هوغارث في خطابه ان بيل تسلمت قبل البدء برحلتها من السفير البريطاني في اسطنبول سير لويس ماليت Sir Louis Mallet تحذيرا بعدم الاقدام على المغامرة، وابلغها ان الحكومة البريطانية غير مسؤولة عن تصرفاتها في حال اصرارها على الذهاب الى نجد. ومع ذلك واصلت بيل رحلتها عبر الاردن، وكانت تقوم بتصوير القلاع والحصون القديمة التي تمر بها. وتضم المذكرات التي كتبتها خلال الرحلة والرسائل التي وجهتها إلى عائلتها الكثير من الاشارات إلى عملها التصويري. ففي رسالة بتاريخ 27 كانون الثاني على سبيل المثال، كتبت تقول: «امس وصلنا إلى خيام حرب أحد شيوخ الحويطات، وقد استقبلنا بكل حفاوة وتقدير. وفي اليوم التالي ... امضيت النهار في المعسكر، جلست الى حرب اتحدث معه عن قبيلته، نشرب القهوة، نتحدث مجددا، والتقط الصور. انهم يحبون الوقوف امام آلة التصوير» (5).

وفي رسالة أخرى بتاريخ 15 شباط تقول: «واصلنا مسيرتنا الآمنة عبر كثبان الرمل في صحراء النفود ... أمس، نصبنا الخيام باكرا كي نستقي ... كانت بئر حيزان تبعد مسيرة ساعة ونصف الساعة من معسكرنا وقد ذهبت مع الأبل كي اراقب منظر الاستقاء ... بجوار معسكرنا نزل جماعة من العرب. وكان هؤلاء وعلى رأسهم الشيخ سليم عند البئر أيضا. انهم يستعملون بكرة كتلك التي نستعملها نحن لاستخراج المياه من البئر. كان المنظر مثيراً للاهتمام، وقد التقطت العديد من الصور. في البدء اعترض البعض على التصوير مستفسرين عن كيفية واسباب استعمال آلة التصوير. وقد سألت الشمري الذي كان برفقتنا وكذلك الاخوين اللذين قدما من قبل ج. توبيك ما اذا كان من الضروري ان اتوقف عن التصوير، لكنهم قالوا لا، فالامر غير مهم» (6).

وصلت بيل إلى حائل في الخامس والعشرين من شباط لتجد أن امير المدينة سعود بن الرشيد كان غائباً، والبلدة تحت اشراف عمه ابراهيم السبحان، الذي انزلها في القصر ومنعها من الخروج. وفي الخامس من آذار سمح لها بزيارة مقر الحريم في القصر حيث التقت مودي والدة الامير، وتركية الفتاة الشركسية التي ارسلها السلطان عبدالحميد لتتزوج محمد بن الرشيد، والتي يعتقد هوغارث بانها كانت تتجسس للاتراك.

وكتبت بيل في مذكراتها تقول: « لم اغادر حائل حتى 8 آذار. لقد طلبت اذنا، وحصلت عليه، بمشاهدة المدينة والقصر في ضوء النهار، وهو الامر الذي لم يسمح لي به من قبل، والتقاط الصور أيضا. ولشدة استغرابي وسروري اعطوني تصريحا كاملا بالتصوير. وفي اليوم التالي اخذوني إلى المضيف ... والقصر حيث التقطت العديد من الصور ... ثم صورت المحراب والمعالم الداخلية للمسجد، وخلال تأملي للصحائف التقطت لها الصور أيضا. وفي طريق العودة وصلتني رسالة من الصديقة تركية تدعوني فيها إلى تناول

5- منظر عام لحائل (تصوير بيل آذار 1916)



6- شارع في حائل. *(تصوير بيل آذار1916)*

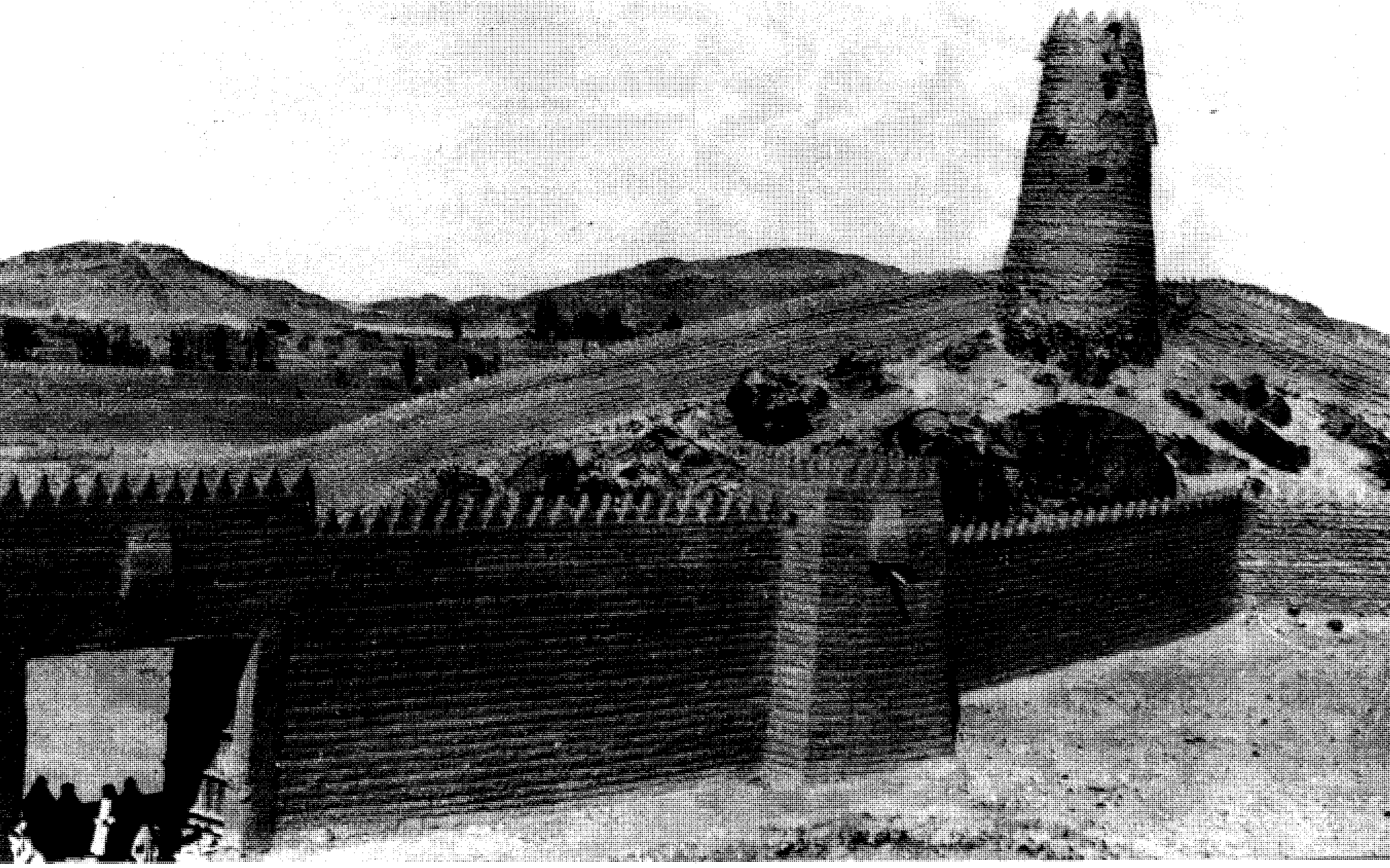
الشاي في بيتها . وذهبت بالفعل ، والتقطت صورا لحائل من على سطح المنزل، ثم ودعتني وداعًا مؤثرًا» (7).

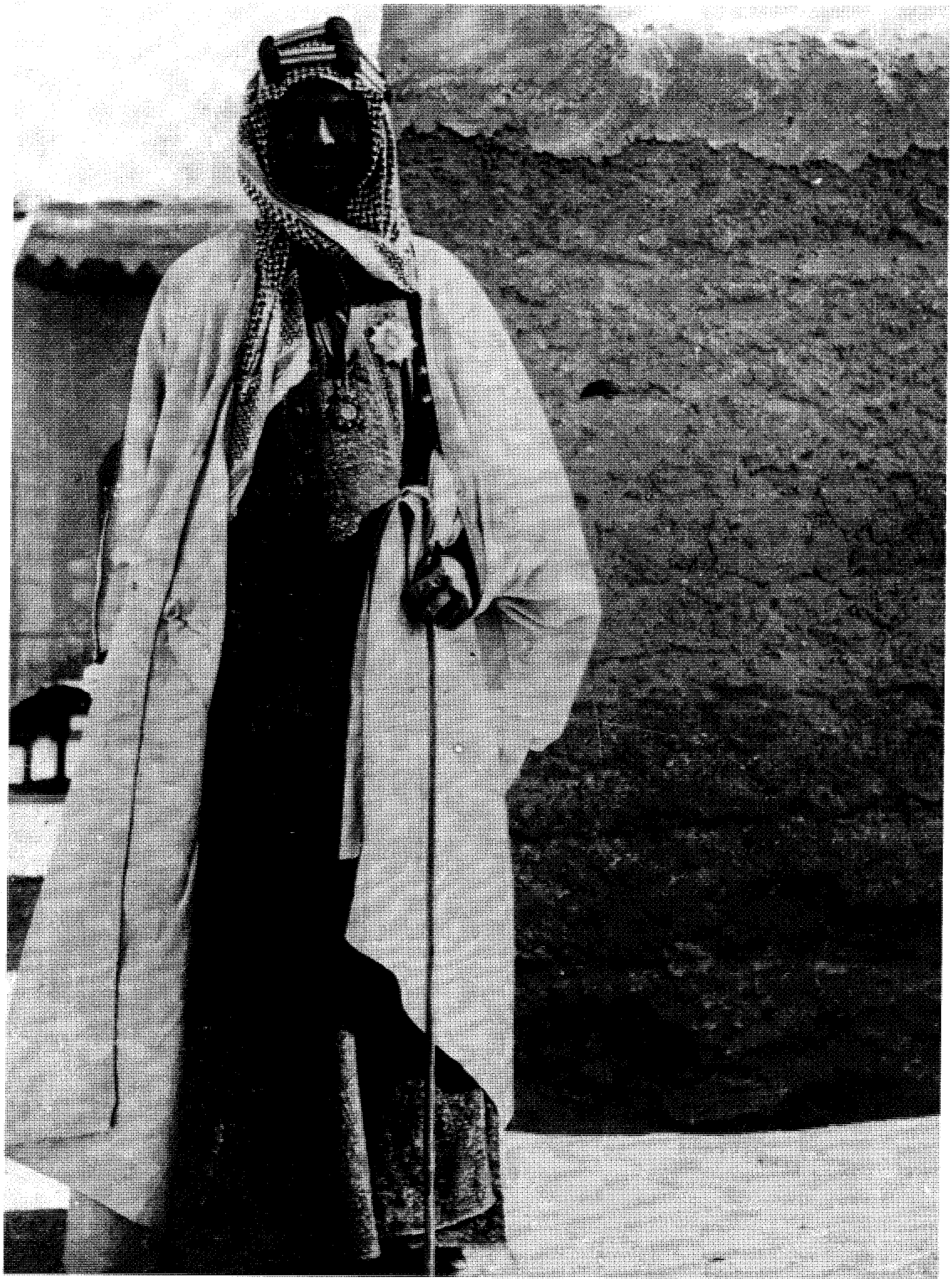
وتصف بيل حائل بأنها بلدة مسورة ولها ثلاثة أبواب ، وبيوتها طبقة واحدة والقليل منها طبقتان ، مرتفعة البناء وفيها قهاوي مزينة داخل البيوت على عادة العرب ... وهي محاطة بنخيل يسقى من آبار عمق البئر خمس عشرة قامة وماؤها عذب وفيها بعض اشجارالفاكهة.

وعن فترة سجنها القصيرة في حائل كتبت تقول: « على رغم سجني، الا انني احمل معي شعوراً عميقاً بجمال وسحر المكان » (8).

وفي الثامن من آذار غادرت بيل حائل شمالاً باتجاه النجف بعد ان عدلت خط الرحلة الى نجد بسبب خطورة الوضع والمواجهات العسكرية بين ابن سعود وآل الرشيد. ويعتبر هوغارث ان في سلوكها هذا الطريق اعتبرت الاوروبية الاولى التي برهنت على وجود آبار في الطرف الجنوبي-الغربي من صحراء النفود (9). ويضيف هوغارث ان

7- بوابة وبرج مراقبة في حائل (تصوير بيل آذار1916)





8- *الملك عبد العزيز في البصرة. (تصوير بيل تشرين الثاني1916)*

الثروة الحقيقية من رحلة بيل الى حائل كانت كمية المعلومات التي جمعتها عن القبائل التي تقطن المنطقة الممتدة ما بين خط سكة حديد الحجاز من جهة، وصحراء النفود من جهة اخرى، وبصورة خاصة المعلومات عن الحويطات. وقد اعتمد توماس ادوارد لورانس المعروف بـ «لورانس العرب » لاحقاً على تقاريرها بشكل رئيسي اثناء الثورة العربية العام 1917-1918 (10). ويذكر ايضاً ان تقارير بيل تضمنت معلومات تفصيلية عن حياة النساء في المنطقة، اضافة الى وصف تفصيلي دقيق لحائل وللوضع السياسي فيها. وكانت بيل منذ 1915 تشرف بنفسها على جميع التقارير الواردة من وسط الجزيرة العربية، وتقدم للمكتب الحربي البريطاني تعليقاتها واقتراحاتها حول هذه التقارير .

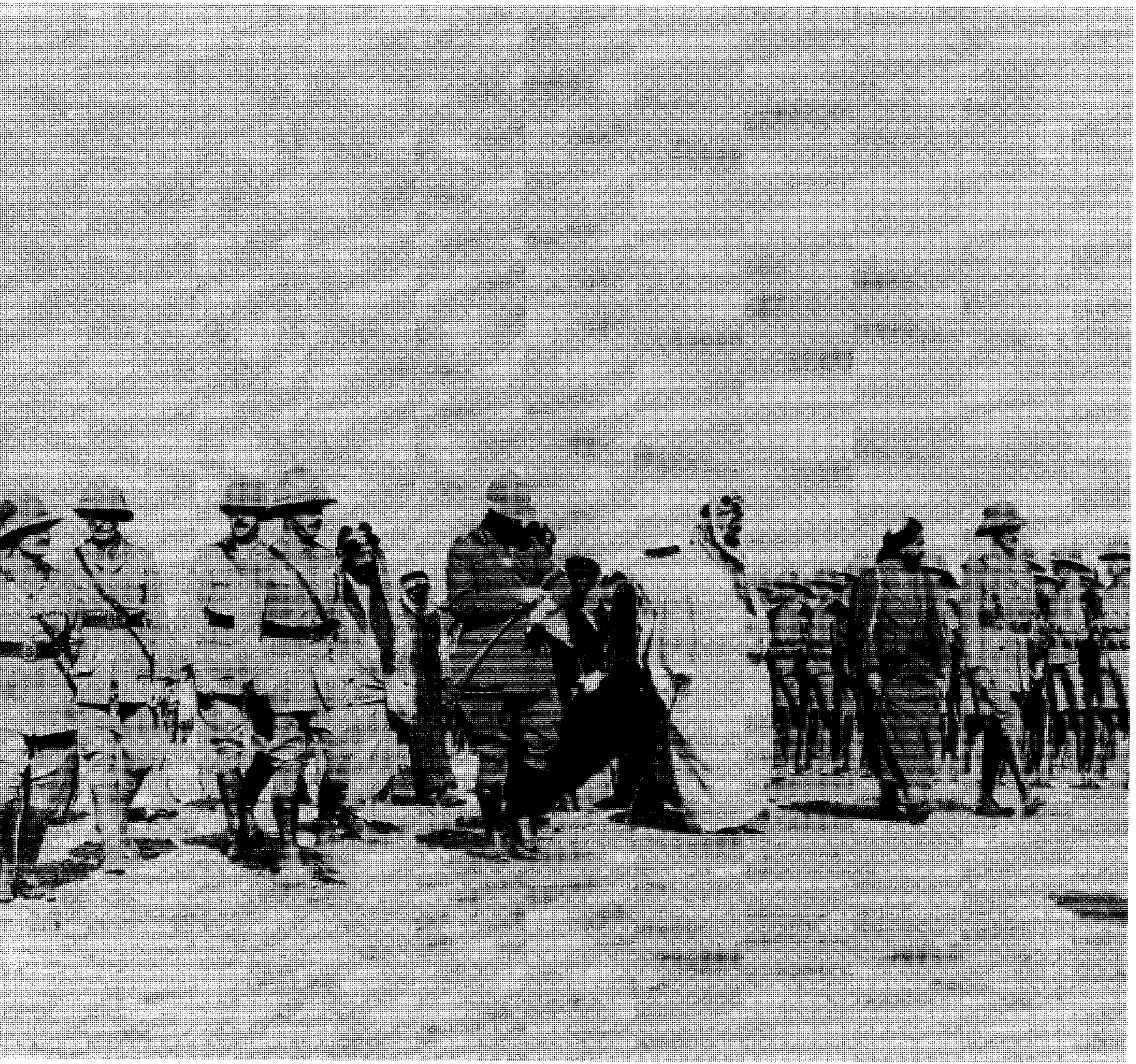
وتتميز الصور التي التقطتها بيل لحائل بدقتها وبساطتها . فهي تسجل جمال المعمار العربي بالاضافة إلى الدقة الهندسية في الشوارع والأسوار والأبراج والبيوت من الداخل.

انضمت بيل في نهاية العام 1915 إلى المكتب العربي التابع لوزارة الخارجية البريطانية في القاهرة ، وانتقلت في العام 1916 إلى البصرة للانضمام الى موظفي سير بيرسي كوكس الذي كان يتولى منصب المعتمد السياسي الاول للقوات البريطانية في الخليج العربي والعراق .

وكان كوكس في تلك الفترة يحاول جاهداً ترتيب لقاء مع ابن سعود الذي كان منهمكا في معركة جراب ضد سعود بن عبد العزيز بن متعب بن الرشيد . واخيراً ألتقى كوكس بابن

9- الملك عبد العزيز و يبدو الى يمينه الشيخ خزعل والى يساره عبداللطيف المنديل في الصبيحة قرب الكويت. (مصور مجهول 1916)





10- الملك عبد العزيز خلال العرض العسكري في البصرة. (تصوير بيل تشرين الثاني1916)

سعود في العقير سنة 1915 ، حيث تم توقيع المعاهدة المعروفة باسم «معاهدة العقير» والتي اعترفت فيها بريطانيا بابن سعود حاكما على نجد .

وفي السنة التالية جرى لقاء ثان في الكويت ، وردَّ ابن سعود الزيارة التي قام بها كوكس الى العقير ، فزار مدينة البصرة حيث التقى كوكس والمسؤولين البريطانيين وحضر عرضا عسكريا بالمناسبة. وقد التقطت بيل خلال هذه الزيارة مجموعة من الصور الفوتوغرافية النادرة للقائد السعودي يرافقه الشيخ خزعل شيخ المحمرة وعدد من الشخصيات العراقية من بينهم عبد اللطيف المنديل الذي حضر في مرحلة لاحقة اجتماع العقير.

الفصل السادس

مجموعة فيلبي المصورة

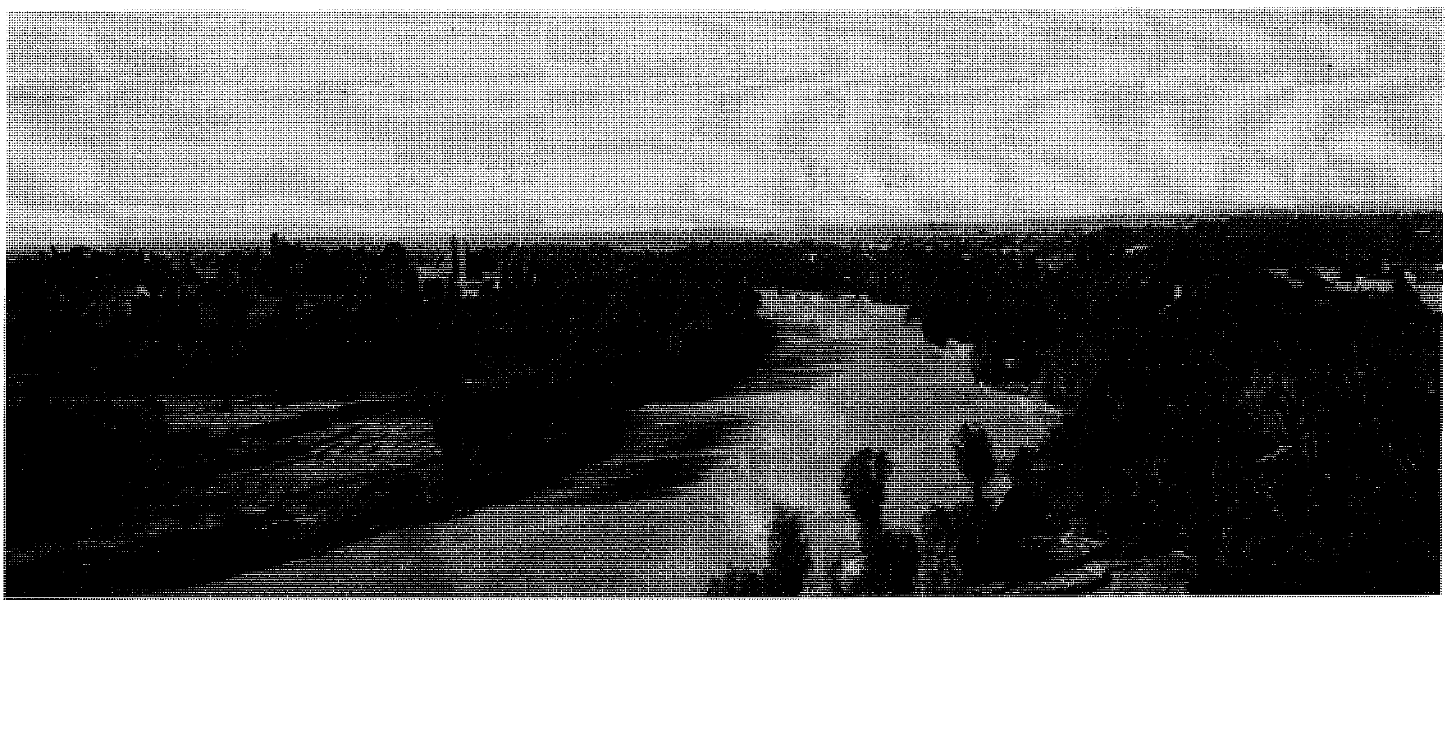
1957-1917

تعتبر الصور التي التقطها سير هاري سانت جون فيلبي Harry St. John Philby في المملكة العربية السعودية من اضخم المجموعات المصورة للمملكة، وهي تغطي فترة زمنية تمتد من 1917 إلى 1957. وتتميز هذه المجموعة التي يحتفظ بقسم منها مركز الشرق الأوسط في معهد سانت انطوني في اوكسفورد، والقسم الآخر موجود في الجمعية الجغرافية الملكية في لندن ، بتعدد مواضيعها وشموليتها ، فهناك مئات الصور للمدن الرئيسية كمكة والمدينة والرياض وجدة والهفوف والطائف وغيرها . كما تشمل هذه المجموعة العديد من الصور للقرى الصغيرة والأودية والجبال والصحارى ، وقد تم التقاطها خلال الجولات الواسعة التي قام بها فيلبي خلال الفترة المذكورة .

بدأ فيلبي حياته العملية كموظف في الهند سنة 1908 . وفي شهر تشرين الثاني سنة 1915 جرى نقله إلى العراق حيث تقلب في عدة مناصب سياسية . وفي سنة 1917 كلف من قبل الحكومة البريطانية بالتوجه إلى الرياض للقاء ابن سعود واعداد تقرير عسكري مفصل عن الوضع في نجد.

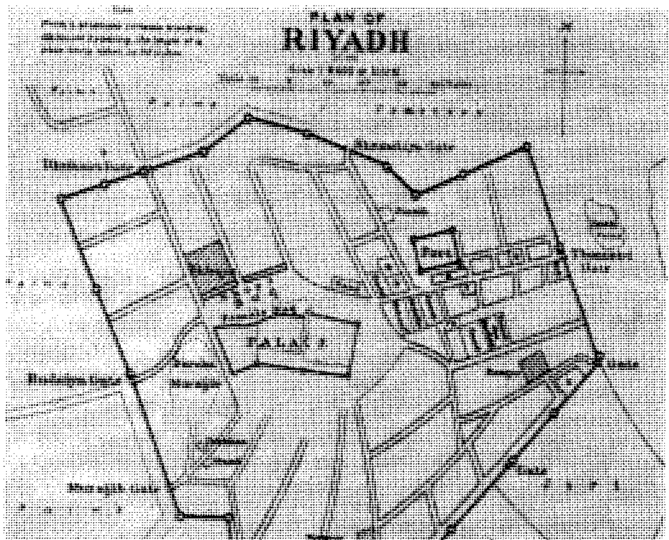
غادر فيلبي بغداد في 29 تشرين الاول سنة 1917 برفقة الكولونيل ف. كونليف-أوين F. Cunliffe-Owen ووصلا البصرة في الثاني من تشرين الثاني. أمضى فيلبي في

1 - الدرعية من الجهة الجنوبية (تصوير فيلبي 1917) .





2 – القسم الشمالي الغربي من الرياض (تصوير فيلبي 1918).

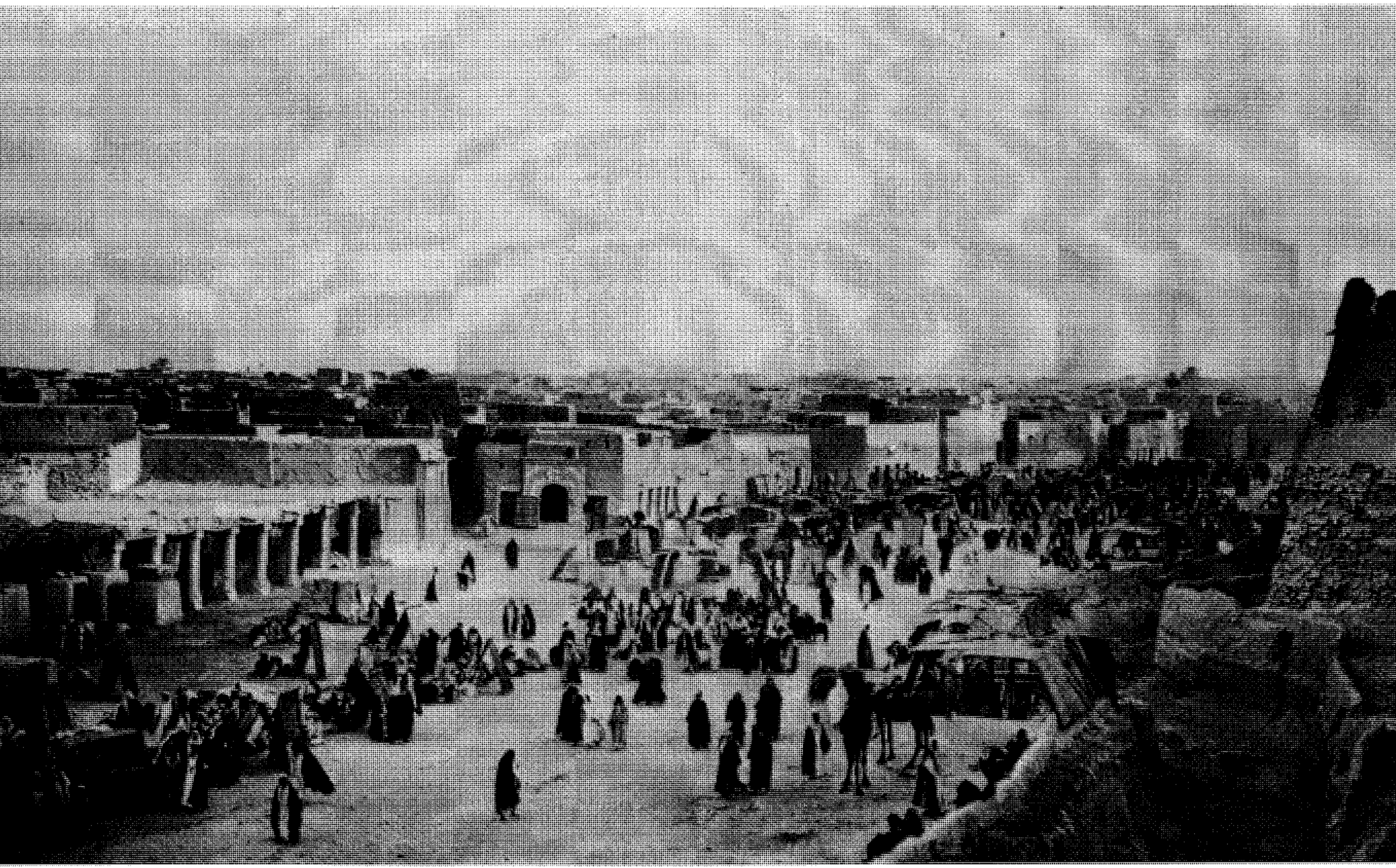


3 – مخطط مدينة الرياض كما وضعه فيلبي سنة 1917.

البصرة ثمانية أيام ألتقى خلالها بمجموعة من شيوخ القبائل من الزبير واطلع منهم على الوضع في نجد. وقبل مغادرته البصرة باتجاه الرياض ذكر فيلبي في يومياته أنه «زار المصور فيكتور حيث اشترى بصورة مؤقتة آلة تصوير ومعدات فوتوغرافية أخرى» (1).

و فيكتور الذي يشير إليه فيلبي في يومياته هو صاحب مؤسسة «فيكتور وشركاه» ، وهي مؤسسة مختصة ببيع المعدات التصويرية ، كان لها فروع في بومباي والبصرة . وقد عملت بصورة رسمية على تصوير القوات البريطانية في العراق ، وكانت تقدم النصائح والمعلومات إلى المصورين الهواة . وتحدث فيلبي عن زيارته الثانية لهذه المؤسسة في الرابع من تشرين الثاني فقال : «امضيت الصباح عند فيكتور اتعلم كيفية تظهير الصور في حوض تظهير كوداك ، واشتريت آلة تصوير (كوداك) بحجم بطاقة بريدية ومعدات أخرى ...» (2).

وفي الحادي عشر من تشرين الثاني غادر فيلبي البصرة متجهاً إلى البحرين حيث امضى الليل هناك ، ثم غادرها في مركب شراعي إلى العقير . ووصل إلى الهفوف في الثاني والعشرين من تشرين الثاني حيث استقبله اميرها عبد الله بن جلوي الذي قدم له ادلاء رافقوه في جولة على المدينة . واستطاع فيلبي خلال هذه الجولة التقاط مجموعة من الصور . وعاد إلى مقر اقامته فسجل في يومياته ما يلي :



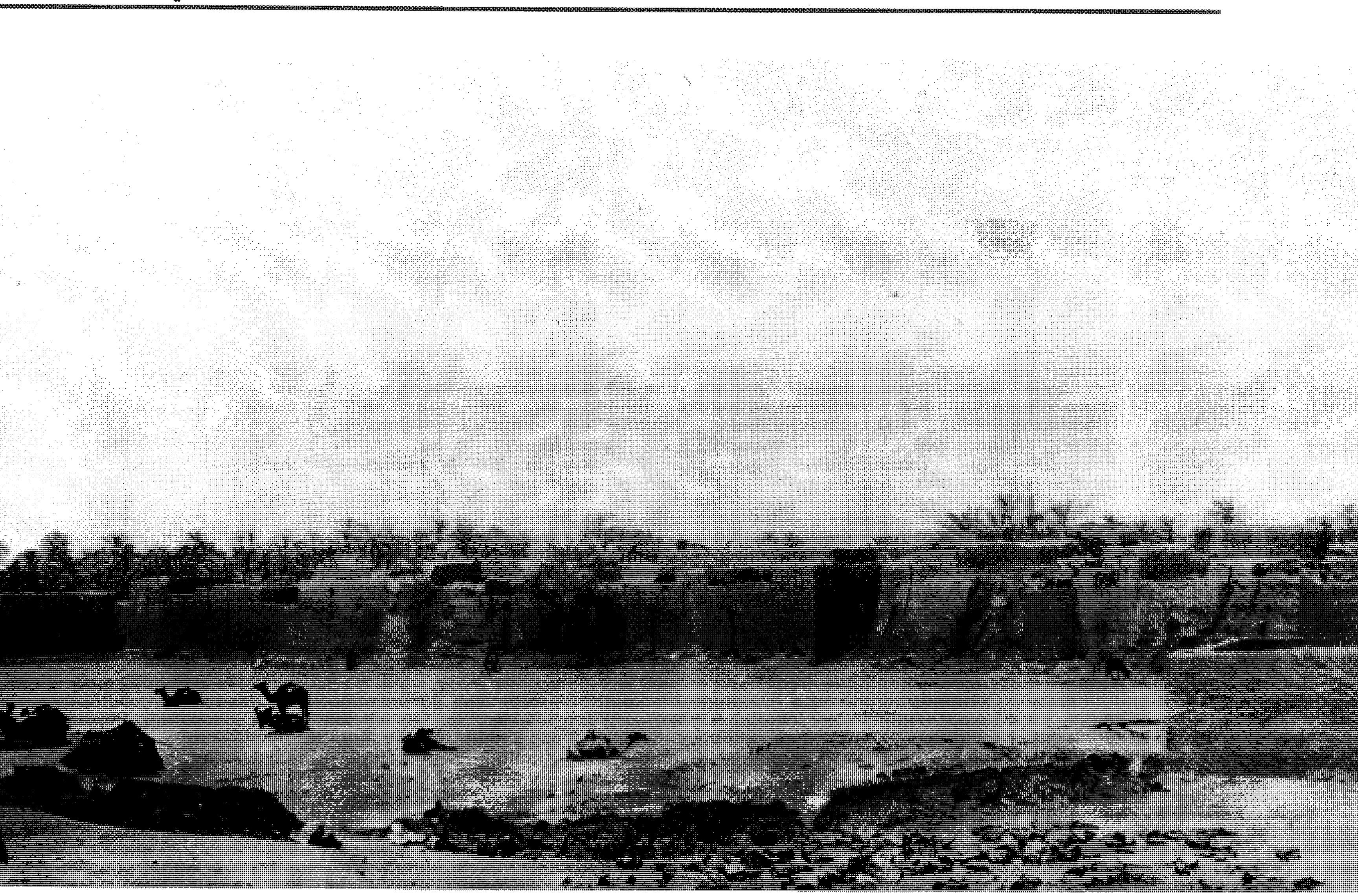
4 - *سوق الخميس في الهفوف (تصوير فيلبي 1918).*

«في البداية ، صعدنا برج بوابة كوت التي دخلنا منها حيث شاهدنا السوق المليء بالباعة والمشترين . كما تمتعنا بمشاهدة مسجد ابراهيم باشا . ثم سرنا بمحاذاة السوق ، وتبعنا الطريق الذي يشكل الحد بين مركزي الرفاع والنعاثل ، فوصلنا إلى منطقة تدعى القرن وبوابتها التي تؤدي إلى الطريق الرئيسي نحو نجد . بعد ذلك عدنا بطريق دائري من خلال مركز الرفاع حيث زرنا بوابة الصالحية ... ومن هناك إلى السوق الرئيسي ، ثم إلى باب الخميس ...» .(3)

غادر فيلبي الهفوف في الثاني والعشرين من تشرين الثاني نحو الرياض، وبعد اسبوعين وصل الى الدرعية حيث سجل في يومياته: « صعدنا الى السور الشرقي للمدينة كي نشاهد منظرها العام ونلتقط بعض الصور »(4).

وفي ظهر يوم الثلاثين من تشرين الثاني وصل الرياض، والتقى فور وصوله الكولونيل هاملتون R.A. B. Hamilton المعتمد السياسي البريطاني في الكويت واطلع منه على الوضع السياسي والعسكري العام وغادر على إثرها هاملتون إلى الكويت.

رحب عبد العزيز آل سعود بحضور والده الإمام عبد الرحمن بالمبعوث البريطاني الجديد. ويذكر فيلبي أنه أجرى جولات من المحادثات مع ابن سعود استغرقت أربعاً وثلاثين

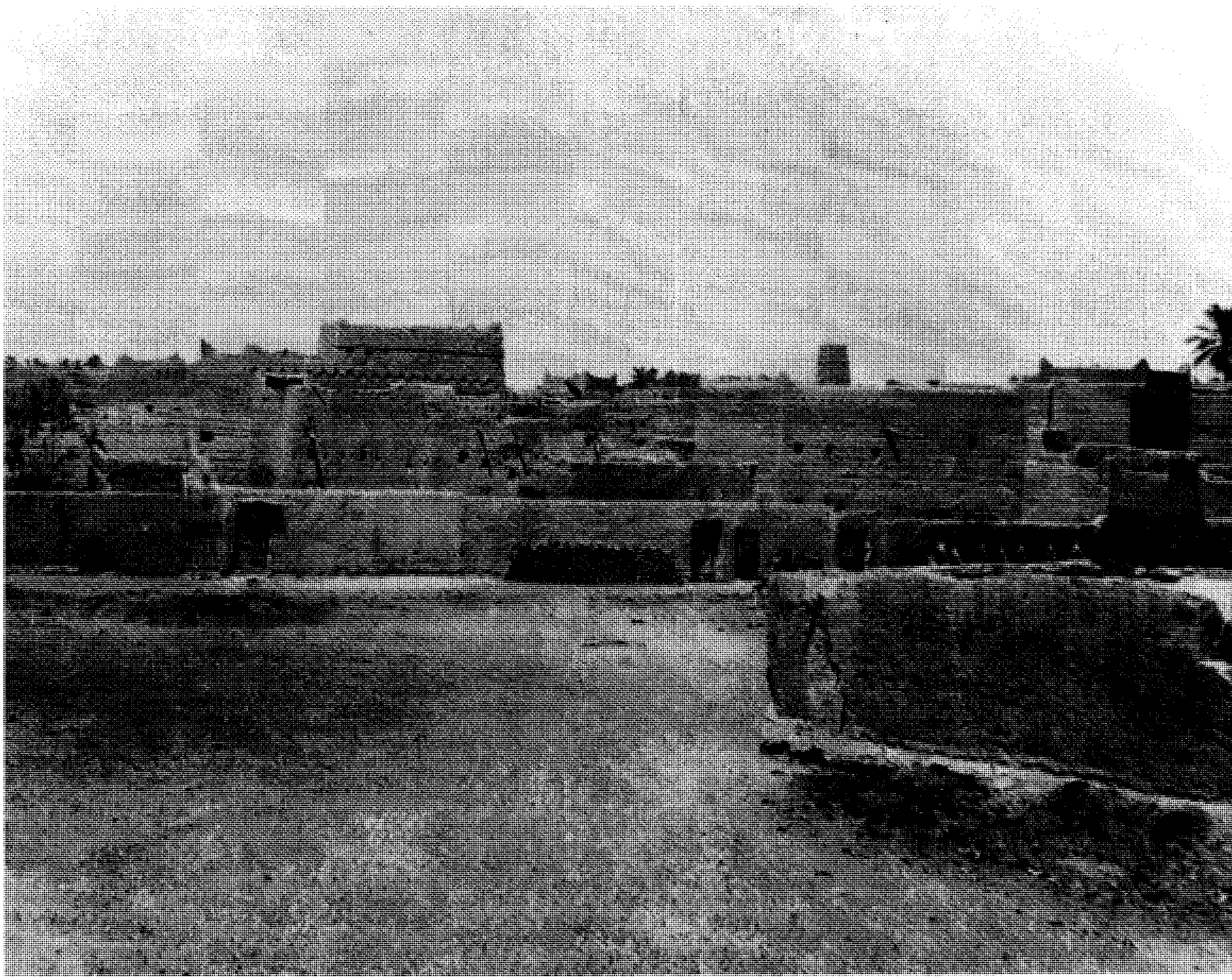


5 – بريدة من الجهة الغربية (تصوير فيلبي 1918).

ساعة حول العلاقات النجدية-البريطانية من مختلف جوانبها(5).

وصف فيلبي الرياض ووضع خريطة لها، وذكر أن عدد سكانها يتراوح ما بين 12 و 15 ألف نسمة، وأن فيها ثلاث أبنية رئيسية هي: القلعة، والمسجد، وقصر ابن سعود (6).

في التاسع من كانون الاول غادر فيلبي الرياض في إتجاه الطائف تاركا زميله كونليف-اوين لمتابعة الاتصالات مع ابن سعود. وسار عبر مراعي اردة ودمق إلى خورمه ملتقطا العديد من الصور . وفي اواخر تشرين الثاني وصل إلى الطائف التي يصفها في يومياته قائلا : «ذهبت في جولة طويلة حول المدينة وفي الوادي لم اعد منها إلا في الخامسة مساء . كان مرافقي الاربعة - وكلهم من الشرطة - على معرفة جيدة بالمكان ، فاستطعت ان احصل منهم على كافة المعلومات المتعلقة بالاماكن الرئيسية . بدأنا عند باب الري في المدخل الغربي، وهو إلى حد ما في حالة دمار . التقطت بعض الصور للحصن القديم وخلفه معسكرات الاتراك ، ولاحظت قمة القرنة الشاهقة في الصفا ... ثم طفنا خارج السور الجنوبي للمدينة بينها وبين ضاحية الحوّية حتى وصلنا إلى المقبرة الجديدة خارج المدينة وإلى الجنوب من مسجد ابن عباس ... والتقطت صوراً للمسجد الذي هو عبارة عن بناء ابيض ناصع مربع



6 - شقراء (تصوير فيلبي 1918).

الشكل له منارة ملونة ...» (7).

واصل فيلبي رحلته إلى جدة ووصلها في الثامن والعشرين من كانون الاول حيث مكث فيها عدة أيام التقى خلالها دايفيد هوغارث وقدم له تقريراً عن محادثاته مع ابن سعود. وكعادته، التقط مجموعة من الصور للمدينة ، ويذكر انه حصل على بعض الصور لمكة المكرمة من اليوزباشي قيسوني، وهو ضابط في الجيش المصري كان يعمل في ذلك الوقت في خدمة شريف مكة . والحقيقة أن مثل هذه الصور لم تكن نادرة في تلك الأيام ، فقد سجل فيلبي في يومياته بتاريخ التاسع من كانون الثاني أنه خلال حفل عشاء اقامته البعثة الفرنسية في جدة «شاهدنا مجموعة من الصور الرائعة والمهمة عن مكة والمدينة وضواحيهما ، والتي يمكن شراؤها في مكة» (8).

غادر فيلبي جدة في أواسط كانون الثاني إلى مصر حيث عمد إلى تظهير وطبع صوره في مكتب المساحة بالقاهرة . اشتهر فيلبي بعد هذه الرحلة التي قطع فيها شبه الجزيرة العربية من الشرق إلى الغرب، ونال ميدالية من الجمعية الجغرافية الملكية في لندن كتقدير للدراسات والخرائط التي



7 – منظر عام للطائف (تصوير فيلبي 1935).

أنجزها .وبعد أن امضى عدة أيام في القاهرة توجه برفقة هوغارث ألى القدس وبقي هناك حتى السادس عشر من شباط. ومن هناك توجه الى العراق في مطلع آذار حيث امضى عدة أيام ثم توجه في رحلة ثانية إلى اواسط الجزيرة العربية في اواخر الشهر نفسه.

الى الرياض وجنوب نجد

في السادس والعشرين من آذار تسلم فيلبي اوامر جديدة من سير بيرسي كوكس Percy Cox بان يتوجه ثانية الى الرياض للاجتماع بابن سعود. فغادر بغداد في الثامن والعشرين من آذار الى الزبير، ثم توجه الى معسكر ضاري بن طواله في الحفر فوصله في الثاني من نيسان. وسجل في يومياته ما يلي: « جاء إلى مضارب ضاري، صطام الرجل الثاني في طوالة « من شمر » بعد ضاري، ومحمد بن مجلاد وابنه الصغير نو العشر سنوات، وعدد من المشايخ. وبعد حديث قصير التقطت صورة للجميع...» (9).

وفي الخامس من نيسان توجه فيلبي إلى معسكر ابن سعود في السوقي عند الحافة الغربية للدهناء، حيث امضى

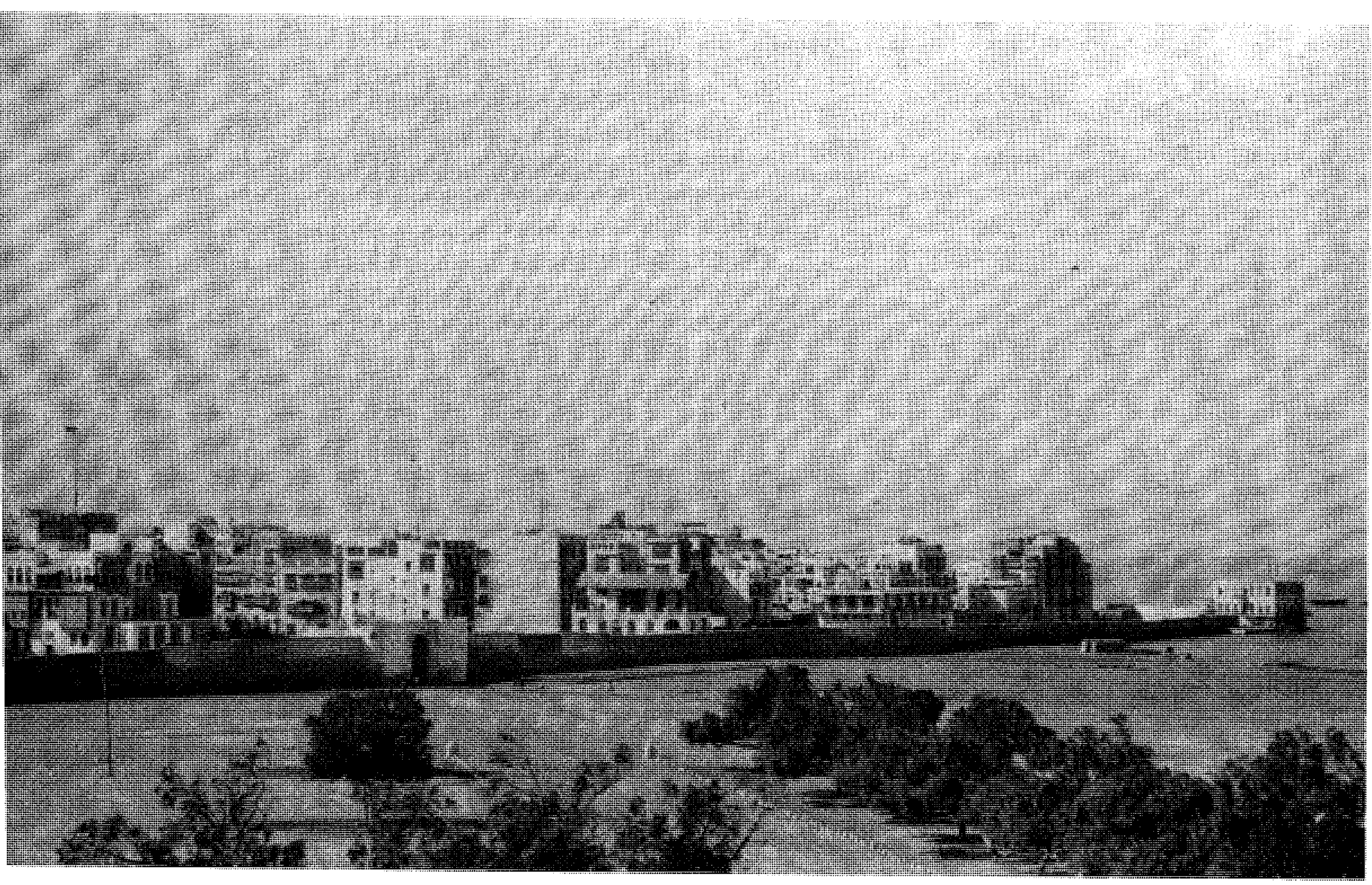


8 – قافلة من الحجاج تغادر جدة (تصوير فيلبي 1919).

بعض الوقت قبل أن يعود إلى الرياض مرافقا القائد السعودي. وامضى طيلة اشهر نيسان وايار وحزيران في العاصمة السعودية يستطلع معالمها . وبالإضافة إلى استكشاف اقاليم نجد الجنوبية، كان فيلبي يحمل معه باستمرار آلة التصوير في حله وترحاله . وفي تلك الفترة التقط العديد من الصور النادرة لابن سعود وعائلته . وكتب في يومياته بتاريخ الثاني والعشرين من نيسان على سبيل المثال : «... ابلغت ان ابن سعود وكافة افراد العائلة قد ذهبوا إلى حديقة الشميسية... لحضور احتفال معالجة الابل من مرض الجرب . اسرعت للاستحمام وارتداء ملابسي ثم امتطيت المهر وتوجهت إلى الشميسية ... كان ابن سعود وعائلته جالسين في خيمة واسعة ، انضممت إليهم . بعد وقت من احتساء القهوة والاحاديث الودية تجولنا بين الجمهور حيث التقطت صورا للعمال ... كانت العائلة السعودية ممثلة بشكل كبير في الاحتفال ، محمد وعبد الله ... تركي ، سعود ، محمد الصغير ، خالد .. عبد المحسن ، سعد وابناء عبد الله بن جلوي الصغار .. سلمان ، فيصل ومجموعة أخرى»(10).

رحلة وادي الدواسر

كان فيلبي يعتبر بان وادي الدواسر من الطرق التجارية القديمة الهامة بين اليمن واواسط شبه الجزيرة العربية، وقد



9 – جدة (تصوير فيلبي1918).

طلب من ابن سعود بان يسمح له بالقيام بجولة استكشافية في المنطقة. وبعد حصوله على الموافقة واتمام التحضيرات للرحلة، غادر الرياض في السادس من ايار في إتجاه الجنوب مع مرافقين وادلاء ناقلاً معه آلات التصوير وآلات قياس الحرارة وارتفاعات الجبال وآلات للمسح الجغرافي، وذلك بهدف اعداد خريطة تفصيلية للجمعية الجغرافية الملكية في لندن والمكتب الحربي البريطاني.

ويتبين من خط سير فيلبي انه سار في اتجاه حائر حيث ذكر أن هناك أعداداً كبيرة من أشجار النخيل في القرية، ثم توجه نحو الحوطة والغيل والحمر والحدار، وواصل طريقه جنوباً نحو الدام ومشرف واعتبرهما القريتين الوحيدتين المتميزتين بأسواقهما في المنطقة. وتوجه فيلبي نحو السليل حيث أمضى ثلاثة ايام غادر بعدها شمالاً نحو وادي عشيرة وواحة ستارة ثم الغيل ثانية، ومنها نحو مرتفعات الافلاج. وبعد ستة ايام وصل حائر، وفي اليوم التالي توجه نحو الرياض ووصلها في الرابع والعشرين من ايار بعد ان امضى خمسين يوما متجولا في مناطق لم يسبق لأي أوروبي أن زارها من قبل، وقد التقط مجموعة كبيرة من الصور للقرى والواحات والمرتفعات والوديان هي الاولى من نوعها لهذه المناطق. ويذكر فيلبي أن نتيجة رحلته كانت جيدة جدا، بحيث تلقى شكراً من المكتب العربي في القاهرة الذي كان مسروراً للغاية لنشاطاته ذات الاهمية الكبرى سياسيا وجغرافيا.

بعد استكشاف اقاليم نجد الجنوبية، توجه فيلبي في الخامس من آب شمالاً نحو القصيم برفقة ابن سعود مع ولده الامير تركي. وكان ابن سعود يقوم بتنظيم قواته بهدف الاستيلاء على حائل. ووصلت القافلة إلى بريدة في الخامس والعشرين من آب 1918. وامضى فيلبي حوالي ثلاثة أسابيع في القصيم قام خلالها بجولات استكشافية في المنطقة فزار بريدة وعنيزة والتقط العديد من الصور. وعقد اجتماعاً مع ابن سعود في الثامن والعشرين من أيلول بعد عودة الأخير من حائل، وعاد في الثاني من تشرين الاول إلى الرياض، ثم توجه الى الكويت.

أمضى فيلبي خلال رحلته الثانية في نجد مدة تسعة أشهر، قطع خلالها مسافة 2600 ميل (4200 كلم) ووضع خرائط تفصيلية للمناطق التي تجول فيها بمساعدة الكولونيل رايدرRyder. وكانت حصيلة هاتين الرحلتين اكثر من ستمائة صورة فوتوغرافية. وقد نشر فيلبي نماذج من هذه الصور في أول كتاب مصور عن نجد نُشر باللغتين العربية والانكليزية في البصرة سنة 1918 بعنوان « العراق في زمن الحرب » (11).

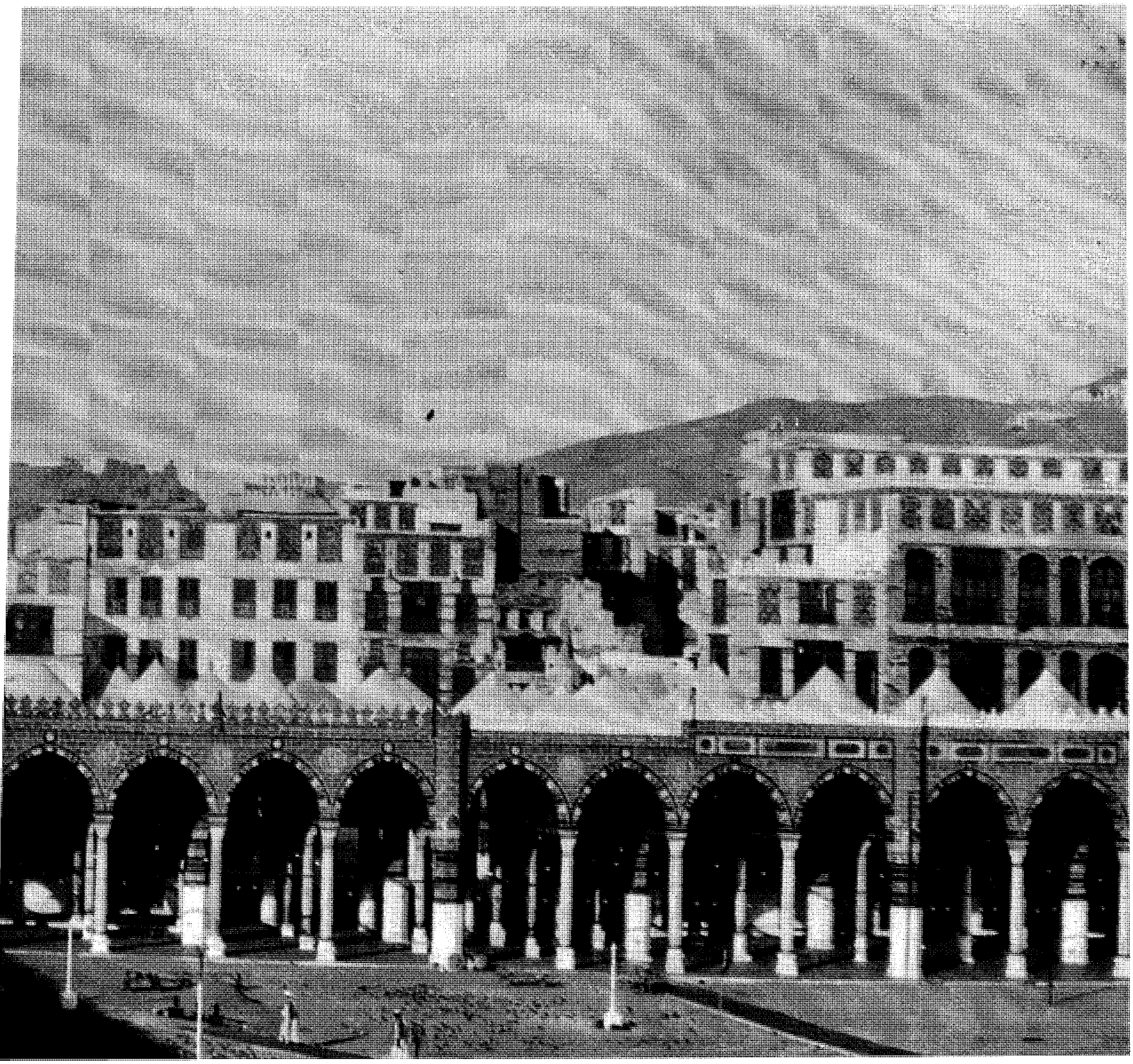
وفي الخامس والعشرين من ايلول 1920، رافق فيلبي سير بيرسي كوكس الى العقير لعقد جولة من المباحثات مع ابن سعود حول الشؤون العربية العامة والعلاقات السعودية - البريطانية . وعن هذا الاجتماع قال فيلبي : « في الصباح الباكر جاء زورق على متنه عبد العزيز وعبد الرحمن القصيبي لاصطحاب سير بيرسي والوفد المرافق له إلى الشاطىء . وعندما رسى الزورق ، صعد إليه ابن سعود برفقة حاشية كبيرة للترحيب بسير بيرسي . وكان برفقة ابن سعود كل من



10 - *احتفالاً بعيد الفطر في مكة المكرمة (تصوير فيلبي 1931).*



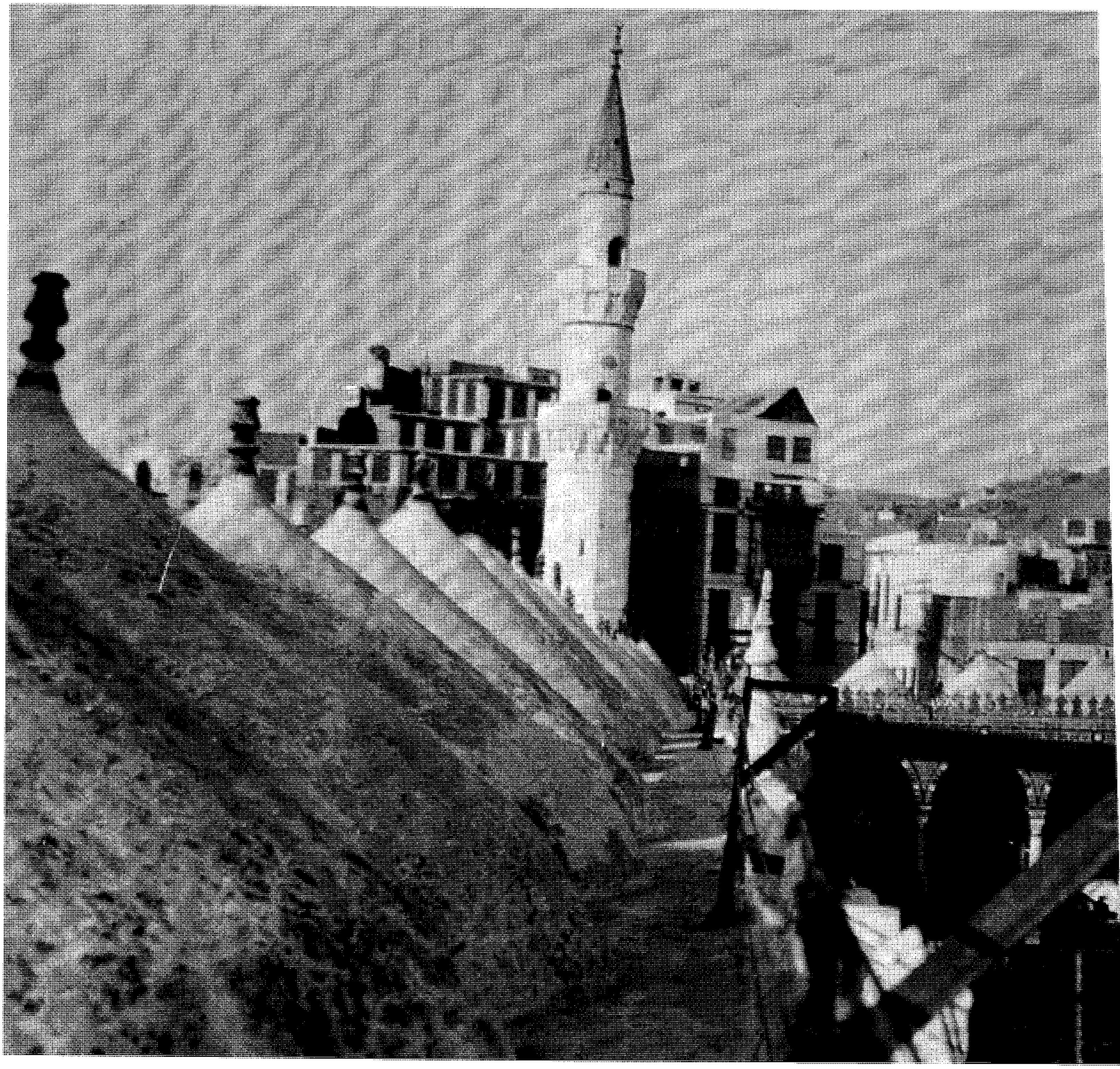
11 - *وصول اميرة حيدراباد الى جدة (من مجموعة فيلبي 1927).*



12 - *الحرم الشريف (تصوير فيلبي 1930).*

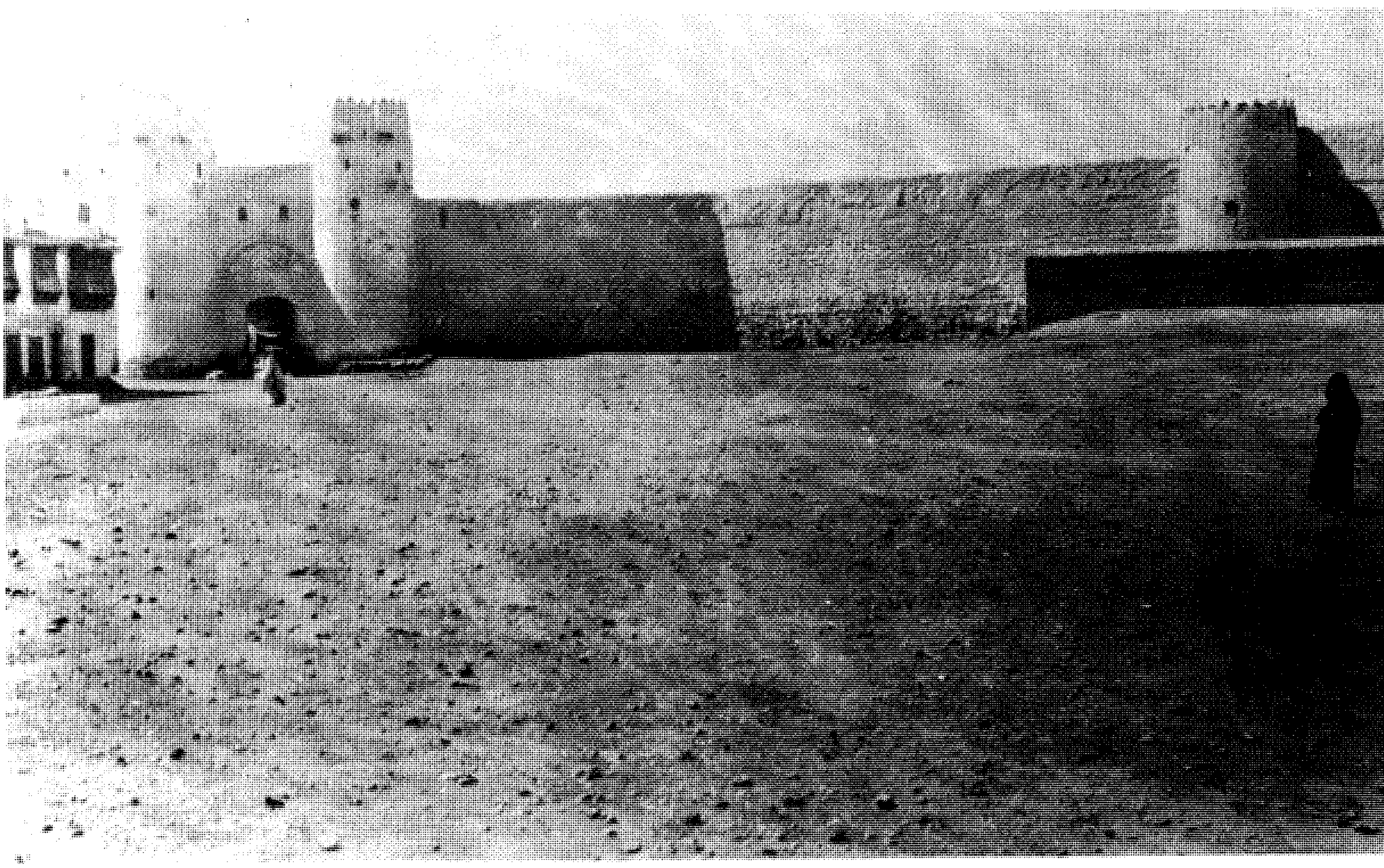
يوسف المشاري السعدون ، وعبد الرحمن بن خير الله امير العقير ، واحد ابناء عبد الله بن جلوي حاكم الاحساء . وبعد تبادل السلام والتحيات ، ترجل الجميع إلى الشاطىء ثم امتطوا خيولهم وابلهم متوجهين إلى معسكر ابن سعود القائم على التلال الرملية إلى الجنوب الغربي من حصن ومباني العقير » (12).

التقط فيلبي صورة لابن سعود وكوكس معا في المعسكر . وخلال اليومين التاليين عقد الرجلان خمس جولات من المباحثات اعقبها احتفال عام منح سير بيرسي كوكس خلاله ابن سعود وساما بريطانيا رفيعا .



في الحجاز ثانية

كانت سنوات العشرينات من القرن الحالي مرحلة هامة جدًا في تاريخ شبه الجزيرة العربية . اذ شهدت الزحف السعودي من تربة بجيش من الاخوان مؤلف من خمسة عشر لواء ، في نحو ثلاثة آلاف مقاتل من مختلف جهات سلطنة نجد وتوابعها ومن جميع القبائل، ووصل الجيش السعودي إلى الحوية التي تبعد عن الطائف بضعة اميال، ودارت المعارك على ابواب الطائف ، ووقعت معركة الحوية ومعركة الطائف وهزم الجيش الهاشمي ، وانكسر خط الدفاع الهاشمي



13 - الباب الشامي، المدينة المنورة (تصوير فيلبي 1931).

الجديد في الهدى ... واستسلمت القوات الهاشمية في المدينة المنورة ، كما استسلمت جميع الموانىء والقرى التابعة لها .

عاد فيلبي إلى الحجاز قبل وقت قصير من وقوع هذه الاحداث الهامة لتولي منصب المدير المقيم لشركة خاصة تدعى «الشرقية للتجارة» . وسافر إلى جدة عبر قناة السويس ، متوقفا خلال الرحلة في الوجه حيث التقط مجموعة من الصور بآلة تصوير من طراز «كوداك 3 ـ أ» . وقال في مذكراته : «نزلت إلى الشاطىء أمضيت حوالي الساعة تقريبا مع عبد الرحيم وشربنا القهوة والشاي في منزله ، وهو بناء رائع من الاسمنت الابيض الصلب يجاور ساحة الحصن عند الطرف الشرقي من البلدة والذي يعود تاريخه إلى ايام الاتراك» (13).

ومن جدة بعث فيلبي برسالة إلى ابن سعود يطلب فيها تحديد موعد للاجتماع به ، وجاء الجواب باقتراح على فيلبي بان ينتقل بحرا إلى رابغ حيث سيكون بانتظاره موفد سعودي لاصطحابه الى الشميسي حيث تقرر ان يعقد الاجتماع .

وصل فيلبي الى بلدة رابغ في اواسط تشرين الثاني ، وبعدها بأيام كان في الشميسي التي قصدها ابن سعود من مكة. وكالعادة سجّل فيلبي الاجتماع على فيلم قبل أن يمتطي جواده عائداً إلى رابغ . وفي تلك القرية الساحلية، استطاع فيلبي التقاط العديد من الصور لمحمد بن عبد العزيز وللاخوان الذين كانوا في طريقهم لتشديد الحصار على المدينة المنورة . وسجل فيلبي في مذكراته وصفا تفصيليا لمرور الجيش في رابغ في الرابع عشر من تشرين الثاني : «رابغ في

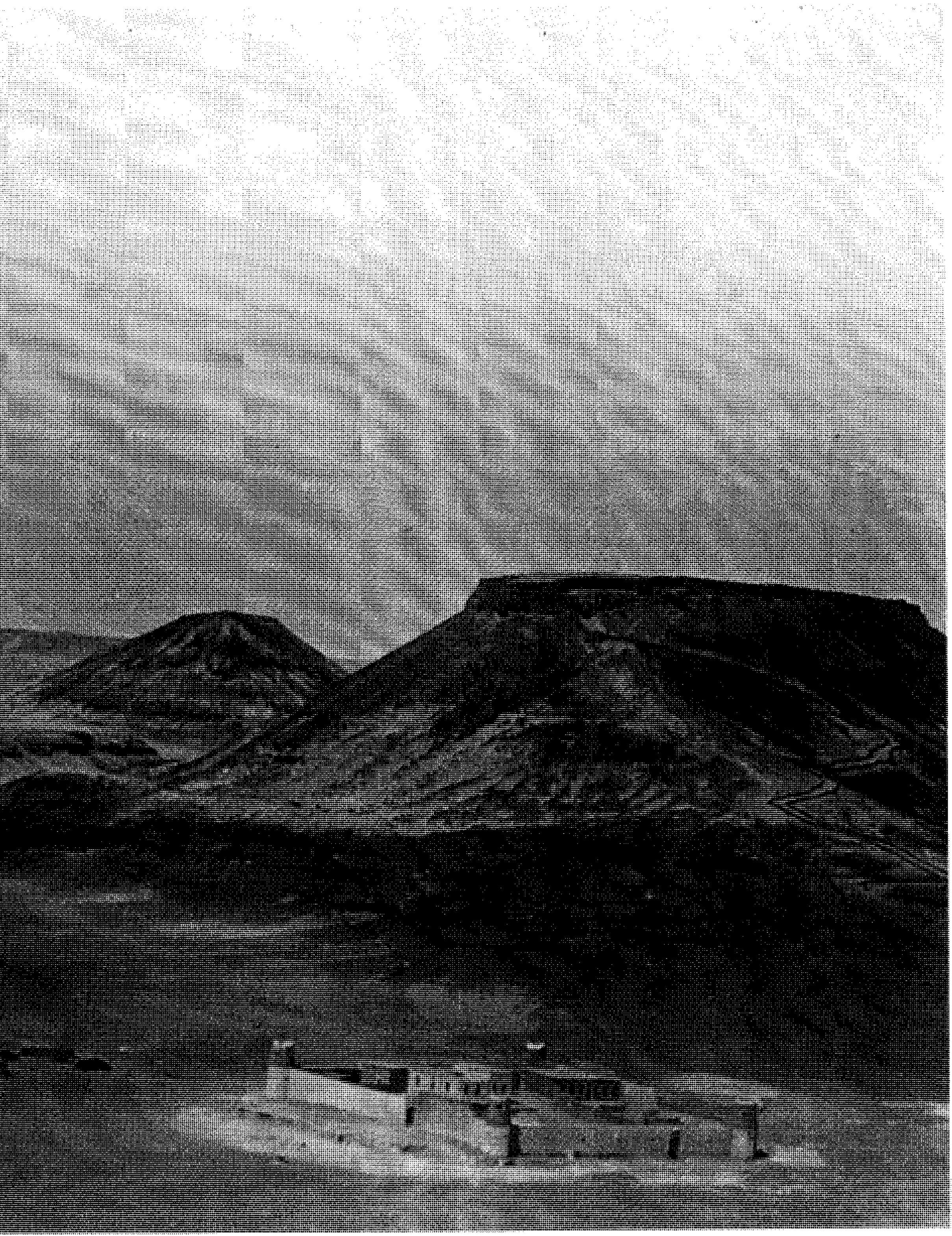


14 - احتفالا بعيد الفطر في المدينة المنورة (تصوير فيلبي 1931

عيد اليوم بسبب مجيء محمد . معظم السكان تجمهروا... أما انا فقد اتخذت مكاني على احد السطوح مستفيدا من ارتفاع الموقع لتسجيل الملاحظات والحدث . عند الساعة التاسعة والنصف لاحت في الأفق البعيد بيارق الجيش الخضراء ... وبعد قليل تبين أن الطليعة توقفت كي تتمكن المؤخرة من اللحاق بها . مضت ساعة قبل ان يعود الجيش للتحرك ، وبحلول الساعة الحادية عشرة كان قد وصل إلى الطرف الشمالي من بستان النخيل المهجور في الجهة الجنوبية الشرقية . فخرجت أنا وعبد الملك وعمر افندي لاتخاذ موقع مناسب قريب من السوق . تمهّل حرس محمد لبعض الوقت في الساحة أمام الحشود المزدحمة لسكان رابغ ، في حين قدم عدد من المقاتلين رقصة العرضة ببراعة فائقة ... سار في الطليعة محمد ومجموعة القيادة ومعهم الحراس الذين بلغ عددهم المائتين ، ثم مرت فرق الاخوان حاملة ثلاثة عشر بيرقا ، في صفوف منتظمة على طول الطريق أمامنا ...» (14).

الى الجوف

قام فيلبي ايضاً برحلتين الى المنطقة الشمالية من شبه الجزيرة العربية في مطلع العشرينات بهدف دراسة الوضع السياسي واجراء مسح جغرافي للمنطقة، يرافقه النقيب هولت Holt المختص باقامة خطوط سكة الحديد، والذي كان



15 – *الكاف، منظر عام (تصوير هولت 1921).*

يريد البحث في امكانية اقامة خطوط لس
السرحان.

يذكر فيلبي في كلمة القيت بالنيابـ
الجغرافية الملكية في لندن (15) في الثـ
1923، انه غادر عمان في العاشر من
مؤلفة من ثلاث سيارات يرافقه مثقال با
صخر. ويضيف: « الهدف الرئيسي
الوضع السياسي في الجوف، والذي كـ
وكذلك اجراء مسح جغرافي للمنطقة و



تصادية» (16). وصل فيلبي ومرافقوه قرية الكاف في
ي السرحان، واعتبر ان السيارات التي استقلها كانت
ل السيارات التي تدخل المنطقة.
مضى فيلبي ومرافقوه ثلاثة ايام في المنطقة، وتحدث عن
د ينابيع كبريتية فيها. بعدها قفل عائداً الى عمان لعدم
ه من مواصلة الرحلة الى الجوف بسبب تعذر حصوله
الامدادات اللازمة من مؤن وجمال. وقرر ان يقوم
اولة ثانية للوصول الى الجوف على ظهور الجمال.
دأ فيلبي محاولته الثانية متوجهاً في الثالث من ايار

1922 نحو حديثة، ثم وادي السرحان. وفي السادس من ايار وصل الكاف ثانية ورحب به مهجم بن الشعلان وفرحان بن مشهور وفرح بن الشعلان.

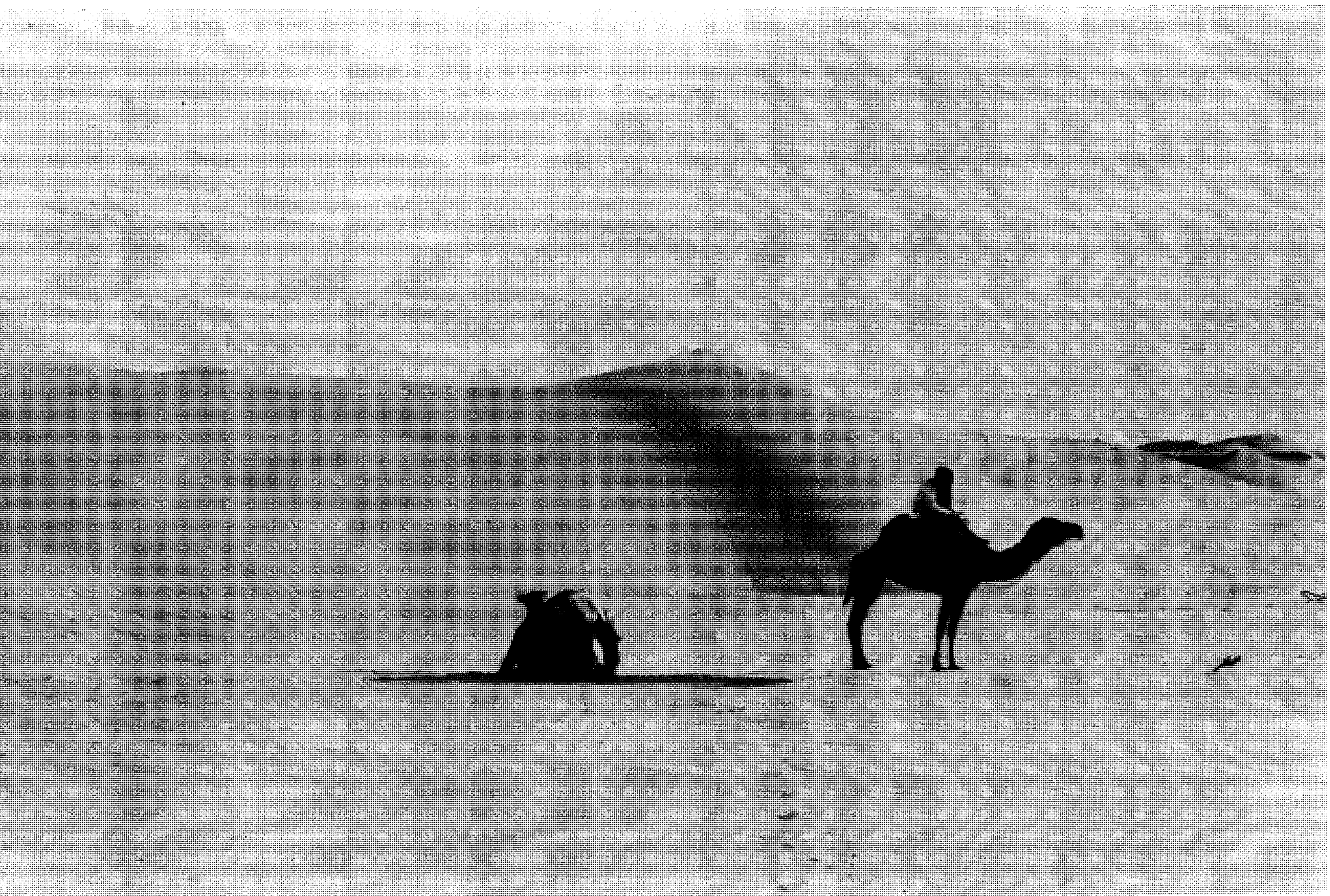
في الثالث عشر من ايار توجه نحو منوى ثم عبر وادي السرحان الى منخفض جوبة، وجوف الامير على الجهة الغربية من جوبة. وواصل المسير نحو الجوف واصفا المنطقة وغابات النخيل المحيطة بها، وقلعة قصر مريد العربية الضخمة.

امضى فيلبي ومرافقوه ثلاثة ايام في الجوف، وتجول في المنطقة التي يقول انه ليس من الضروري تسجيل مشاهداته عنها نظراً لانها وصفت سابقاً من قبل رحالة آخرين امثال بالغريف وبلنت وغوارماني وايلمر وبتلر وشكسبير، ويذكر: « التقطت بعض الصور في المنطقة» (17)، ويشير الى وفرة الينابيع التي تؤمن الماء اللازم للبلدة التي يبلغ عدد سكانها حوالي خمسة آلاف نسمة.

في مكة

كان فيلبي ، من دون شك ، اكثر المصورين الهواة الذين

16 - *في الربع الخالي (تصوير فيلبي 1931).*

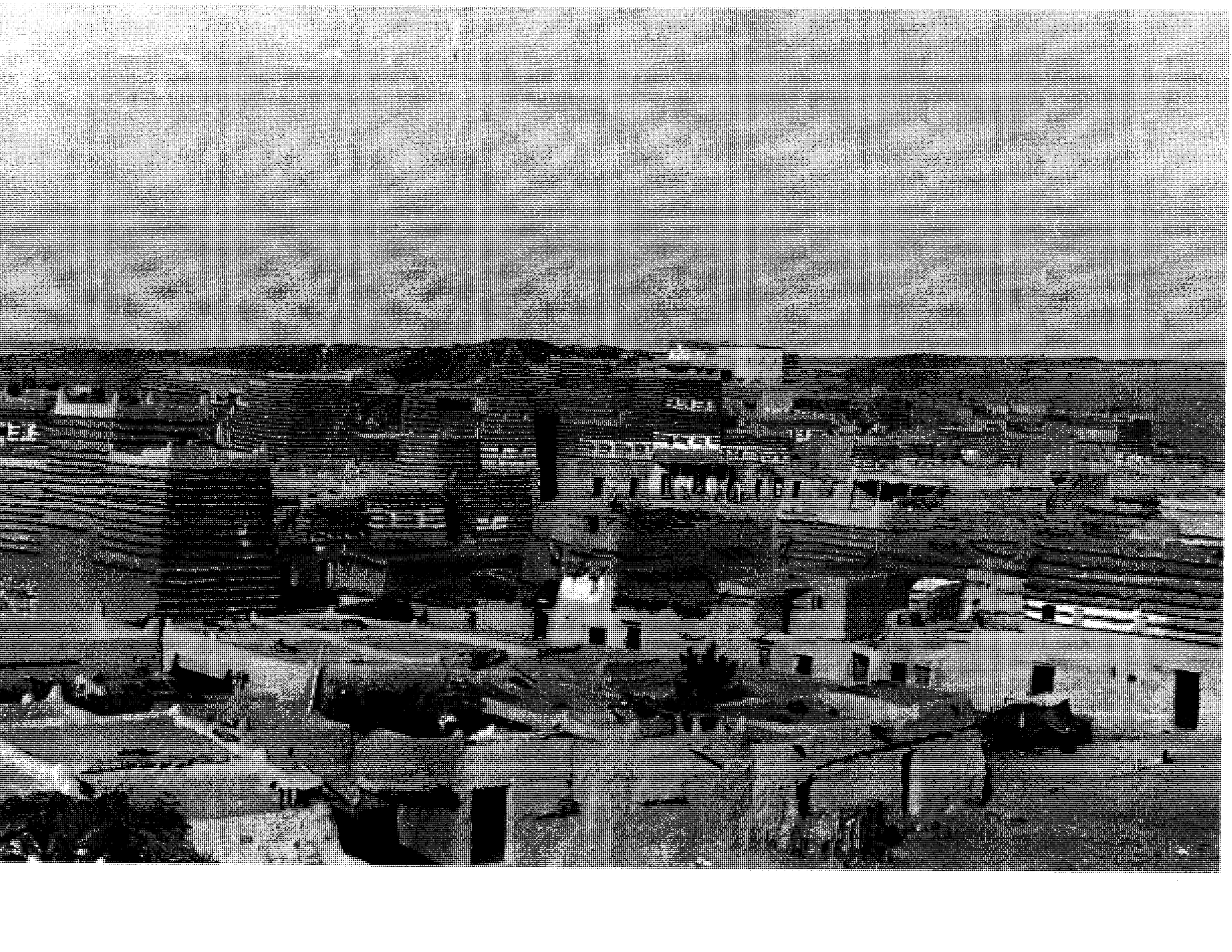


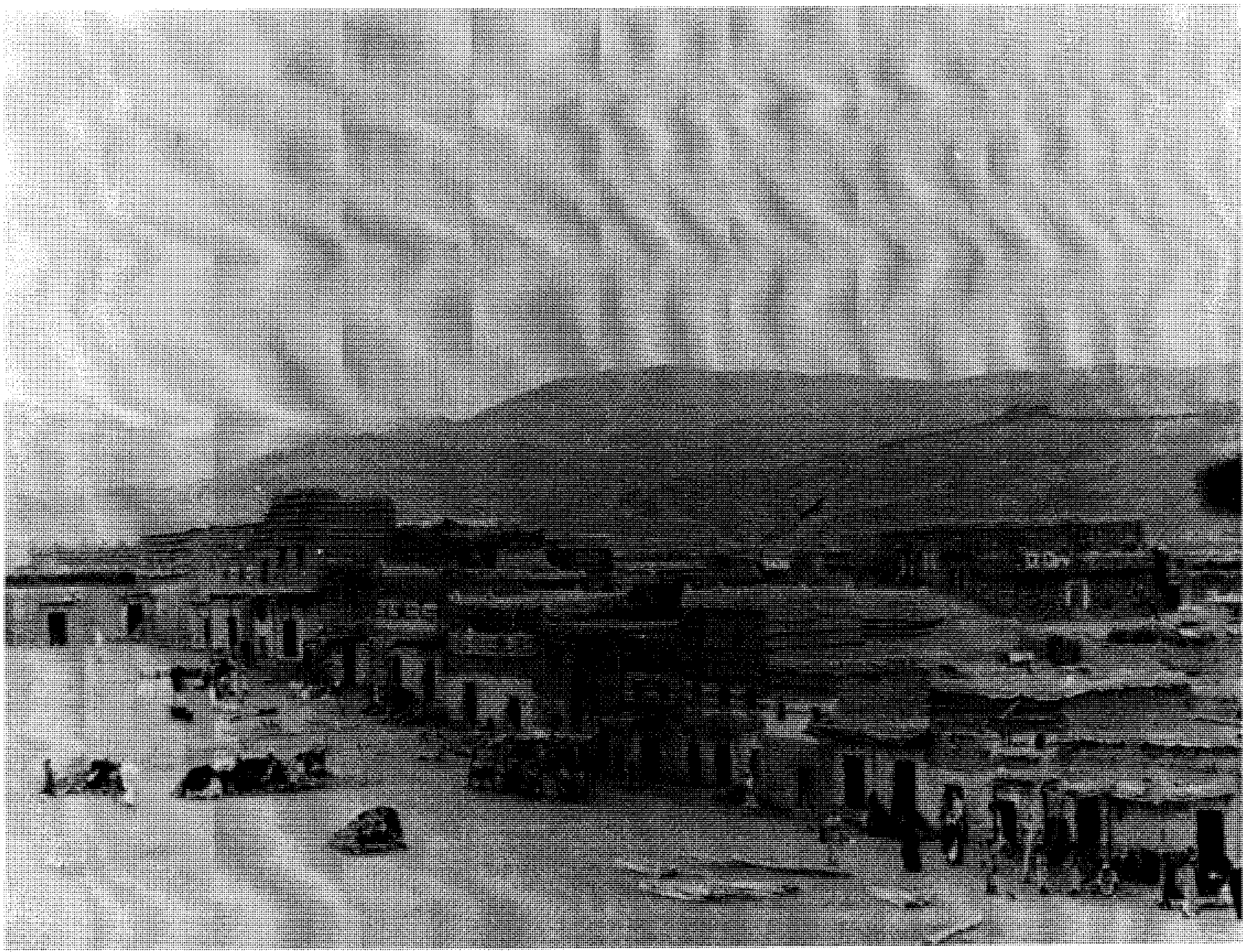
عملوا منذ اواسط العقد الثاني من القرن الحالي في شبه الجزيرة العربية انتاجا وعطاء . فصوره عن تلك المرحلة تملأ مجلدين كاملين وتغطي مساحات شاسعة من المناطق التي تجول فيها . فالمجلد الأول منهما يتضمن أكثر من اربعمائة صورة لمكة والمدينة والطائف ، التقطها فيلبي بعد أن اعتنق الإسلام في العام 1930.

عندما اشهر فيلبي اسلامه ، اصطحبه في نيسان 1930 كل من فؤاد حمزة وزير الخارجية وعبد الله السليمان وزير المالية إلى مكة المكرمة لأداء مناسك العمرة. ومن هناك توجه الى الطائف حيث استقبله الملك عبد العزيز وأقام في مسكن خاص بالطائف عدة اشهر تجول خلالها في المدينة وضواحيها وألتقط العديد من الصور.

ترك فيلبي عن تلك الفترة يوميات غنية بالوصف التفصيلي للمناطق التي زارها . وذكر انه امضى سحابة نهاره متجولا في الطائف. وكتب في مفكرته في الحادي والثلاثين من آب يقول: « ذهبت هذا الصباح في جولة الى السوق كي اكوّن فكرة عامة عن موقع المدينة التي اقيمت دون اي تصميم محدد . وعلى العموم كانت هناك اربعة شوارع تمتد الى الجنوب من المساحات الشاسعة داخل باب

17 - أبها، منظر عام (تصوير فيلبي 1936).





18 - *شارع في أبها (تصوير فيلبي 1936).*

الحمزة . الشارع الرئيسي منها هو السوق ، وتتفرع منه عدة احياء صغيرة تلتقي عند مبنى المحكمة الرئيسية الواقعة قرب الطرف الجنوبي من ساحة السوق . ويمتد الشارع الغربي من امام بيت سعود وعبد الله ثم يتفرع منه شارع اصغر يؤدي الى باب الري ، بينما يواصل الفرع الرئيسي امتداده غير المنتظم الى ان يلتقي بالسوق . اما الشارع الشرقي فهو هلالي الشكل يقع بالقرب من مسجد ابن عباس » **(18)**.

وتتضمن اليوميات ايضا اشارات عابرة الى عمل فيلبي التصويري ، فقد كتب في التاسع من ايلول يقول انه لاحظ : «ان عطا الله جاء ليتصور لكنه لا يحمل اية اخبار »**(19)**.

وقال فيلبي ايضاً : «في طريقي الى القصر توقفت عند هضبة صغيرة الى الشرق من ام الصفا كنت قد صعدت إليها سنة 1917 لالتقط صورا لمدينة الطائف نشرتها في كتاب The Heart of Arabia « *قلب الجزيرة العربية*». وهناك التقطت كثيرا من الصور » **(20)**.

وفي نهاية العام ، قام فيلبي بزيارة ثانية إلى مكة وسكن لفترة قصيرة في منزل بساحة الجرول . ومن هناك انطلق يستكشف المنطقة والتقط اكثر من مئتي صورة في المدينة وضواحيها . لكن اقامته لم تطل اذ ابلغ بضرورة العودة الى

الرياض بصحبة الملك عبد العزيز .

ويوميات فيلبي عن هذه الفترة تحتوي ايضا اشارات عديدة الى التصوير . فقد كتب في الخامس من كانون الثاني يقول : «زارني سعود بن سعد الذي لم اره منذ سنوات عند الساعة الثامنة صباحا وتناول معي الافطار ، اخبرني انه امضى في الصحراء عدة ايام مع الحاشية . اطلعته على صورة له وهو طفل صغير التقطتها العام 1917 ونشرتها في كتاب قلب الجزيرة العربية »(21).

ثم ذكر : «اقيمت صلاة الجمعة كالعادة في مصلى الملك، بعد ذلك التقطت مجموعة من الصور للسوق إثر إنتهاء الصلاة »(22).

وفي اليوم التالي غادر فيلبي الرياض الى مكة حيث اقام حتى حلول عيد الفطر. وفي التاسع عشر من شباط زار الحرم الشريف الذي يصفه في يومياته قائلاً : «انه منظر مذهل . حشد اكبر مما كنت اتصور ... وكل شخص في ازهى حلة وابهى منظر » (23).

واستغل فيلبي هذه المناسبة الخاصة للمشاركة في فرحة العيد ، وفي الوقت نفسه التقاط الصور لرقصات العرضة . كتب يقول : «ابرز رقصة هي العرضة النجدية التي نظمها الملك وقاد حلقاتها الامير فيصل والامير خالد وغيرهما ... كان عرضا شيقا للغاية » (24).

19 - جيزان، منظر عام (تصوير فيلبي 1936).

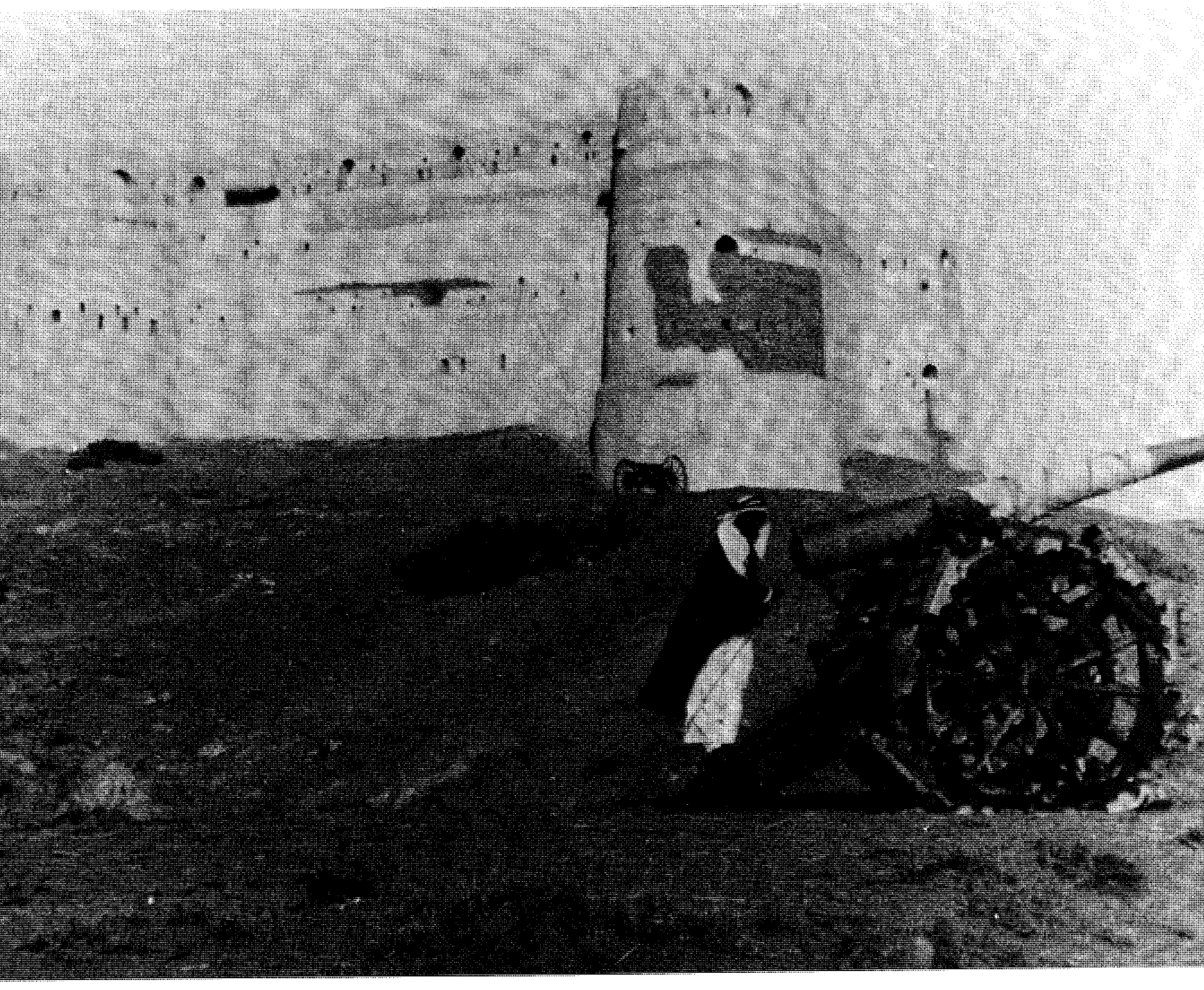


امضى فيلبي الاشهر الثلاثة التالية في زيارات متعددة الى منى والمدينة حيث التقط اكثر من مئة صورة. وفي شباط 1935 عبر الصحراء بين المدينة وبريدة ووضع لأول مرة خريطة تفصيلية لها. وعاد بعدها الى مكة المكرمة في كانون الثاني 1936 مع مجموعة من الصور ونماذج من النباتات والاحجار التي جمعها خلال رحلته، ومن مكة إنتقل الى الرياض للمشاركة في فعاليات القصر ورحلات الصيد الى صحراء الدهناء .

في الربع الخالي وعسير

ولعل أبرز النشاطات التي قام بها فيلبي كانت رحلته الاستكشافية في الربع الخالي والتي اعتبرها « المغامرة

20 - قلعة في جيزان (تصوير فيلبي 1936).





21 – بوابة في

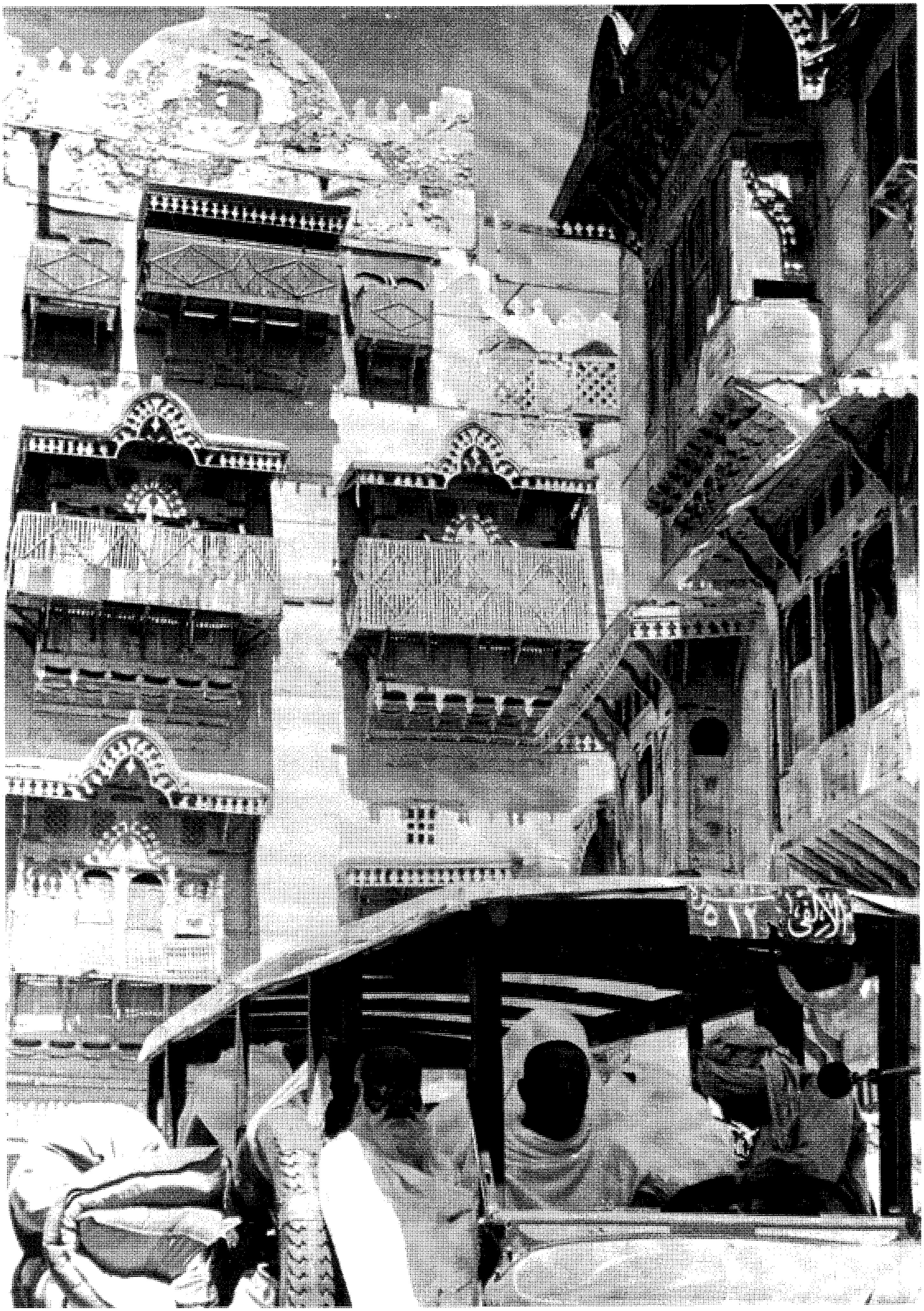
الكبرى في حياتي» (25)، وقد نشر تفاصيلها في كتابه «*الربع الخالي* » الذي صدر في لندن سنة 1933 .

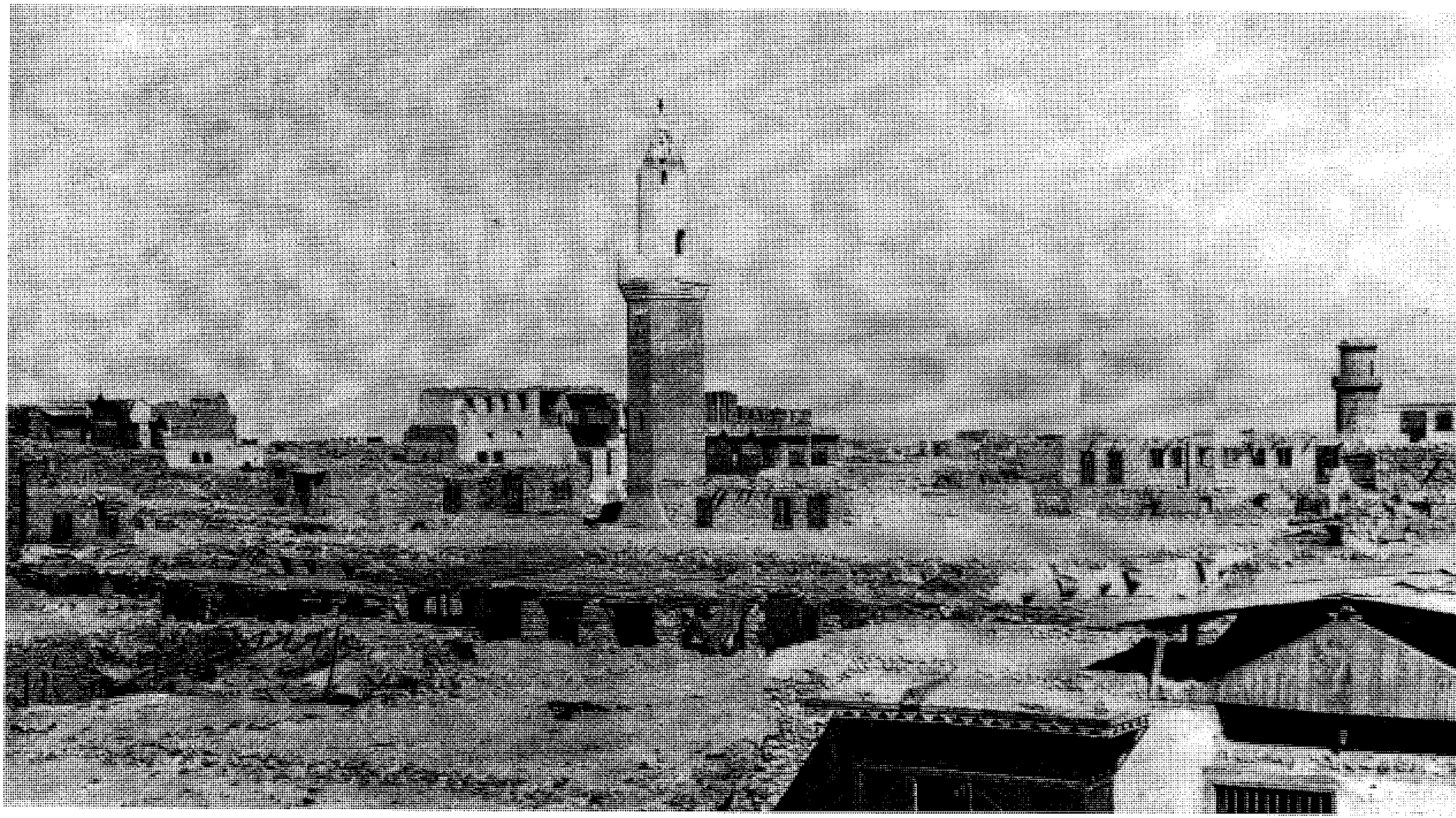
منذ مطلع القرن الحالي كان هناك تسابق لعبور الربع الخالي بين العديد من الرحالة والمغامرين. ففي مطلع العشرينات تجول النقيب البريطاني شيزمان R.E. Cheesman في ساحل الخليج العربي واطراف الربع الخالي، ووصف رحلته في كتابه "In Uknown Arabia " الصادر في لندن سنة 1926. وفي شهر شباط 1931 عبر بيرترام توماس Bertram Thomas الوزير لدى البلاط السلطاني في مسقط الربع الخالي من صلالة جنوباً إلى الدوحة على شاطيء الخليج العربي. من ناحية أخرى كان القنصل الهولندي في جدة دان فان در مولن Dan Van Der Meulen قد عبر بدوره وادي حضرموت.

في مطلع كانون الثاني سمح الملك عبد العزيز لفيلبي بان يقوم بمغامرته لاستكشاف الربع الخالي. توجه فيلبي على الفور إلى الهفوف حيث أمن له حاكم الحسا عبدالله بن جلوى تسعة عشر شخصا من الحراس والادلاء الخبراء بمسالك المنطقة، وأثنين وثلاثين جملاً محملة بالمؤن والمياه. وكتب فيلبي في يومياته يقول: « كانت معداتنا مؤلفة من خيمة ذات حجم كبير وأخرى للمرافقين بالاضافة إلى خادمي الجديد سعد بن عثمان من المجمعة. أما أغراضي الخاصة: كتب، خرائط، والمعدات العلمية بشكل عام، فكانت مرتبة في سبعة صناديق مقفلة»(26).

غادرت البعثة الهفوف في السابع من كانون الثاني 1932 وسلكت الطريق التي تمر بمحاذاة ساحل الخليج الى سلوى، ثم توجهت في الثاني عشر من كانون الاول عبر صحراء الجفورة جنوبا باتجاه انباك، وفي هذه البلدة التقط فيلبي مجموعة من الصور الفوتوغرافية. ويتبين من اليوميات التي كتبها خلال هذه الرحلة أنه وصل في العشرين من كانون الثاني إلى واحة يبرين حيث أمضى عدة ايام تفقد خلالها اطلال المباني والتقط ايضاً العديد من الصور. ومن يبرين بدأت رحلة دخول الربع الخالي، وانقطع أي اتصال بين البعثة وبين العالم الخارجي.

انطلق فيلبي من يبرين جنوباً باتجاه مقيمة ثم اتجه شرقاً. وفي الرابع والعشرين من شباط وقع نظره للمرة الاولى على الوبار، وكتب يقول : « لا وجود للأعمدة الرخامية الضخمة ، ولا للقلاع المحصنة ... فقط مجموعة من الخرائب المألوفة كتلك الموجودة في مناطق اخرى ، لكنها هنا ذات لون اسود يتناقض بشكل ملفت للنظر مع نصاعة الألوان الفاتحة المحيطة بها . التقطت عدة صور خلال خمس دقائق ، ثم ترجلت في البقعة التي اخترتها لنصب مضاربنا ، واسرعت إلى الحافة الرملية التي تفصلنا عن حقل الخرائب ... لقد سلب عقلي المشهد الماثل أمامي : فوهتان توأمان لبركان واحد ، وكثبان الرمل تغطي الأخاديد التي كانت في الزمن البعيد مجرى للحمم البركانية . وأدركت على الفور أن اسطورة الوبار نشأت من بين حمم البركان المتفجر في الماضي السحيق، والماثلة آثاره أمامي الآن . وادركت أيضا





22 – مسجد في ينبع (تصوير فيلبي 1918).

23 – سيارة للاجرة في جدة (تصوير فيلبي 1935).

أن الاسطورة ابتدعت من أجل تفسير ثورة البركان » (27).

وتوجه فيلبي وبعثته من الوبار نحو الجنوب فوصل بئر نيفة ، ثم الى سحنة، واتجه غربا إلى السليل التي وصلها في الخامس عشر من آذار . واستغرق هذا القسم من الرحلة تسعة أيام . وعندما دخل فيلبي بساتين النخيل في السليل ، كتب في يومياته يقول : «لم يتغير شيء منذ اربعة عشر عاما ، البيوت الطينية ذات الصف الواحد والممتدة في الصحراء ما زالت هي نفسها، والمرأة ذات الرداء الأحمر الموجودة عند البئر هي نفسها ، وكذلك الحشد من الأطفال ...» (28).

مكثت القافلة مدة يومين في السليل ثم عاودت المسير باتجاه مكة المكرمة فوصلتها في الرابع من نيسان .

قطع فيلبي خلال هذه الرحلة الفاً وثمانمئة ميل (2900 كلم) في مدة تسعين يوماً، والتقط العديد من الصور، كما وضع خريطة تفصيلية للمنطقة التي عبر فيها.

اعقب رحلة الربع الخالي قيام فيلبي في أيار 1936، بعد الانتصار السعودي السريع على اليمن، بتخطيط الحدود ورسم الخرائط بين المملكة العربية السعودية واليمن، وغطى خلال جولته في هذه المنطقة مساحة مئتي ميل مربع (350 كلم مربع) من الأراضي المجهولة بما في ذلك منطقة عسير الجبلية ووادي نجران. واستغرقت رحلة فيلبي في المناطق الجنوبية تسعة اشهر وكان خطها على الشكل التالي : بيشه، خميس مشيط ، أبها، نجران، ساحل البحر الاحمر ثم نجران مجدداً حيث امضى عدة ايام في ضيافة اميرها ابراهيم النشمي متجولاً معه في وادي نجران. واستعان فيلبي بدليل



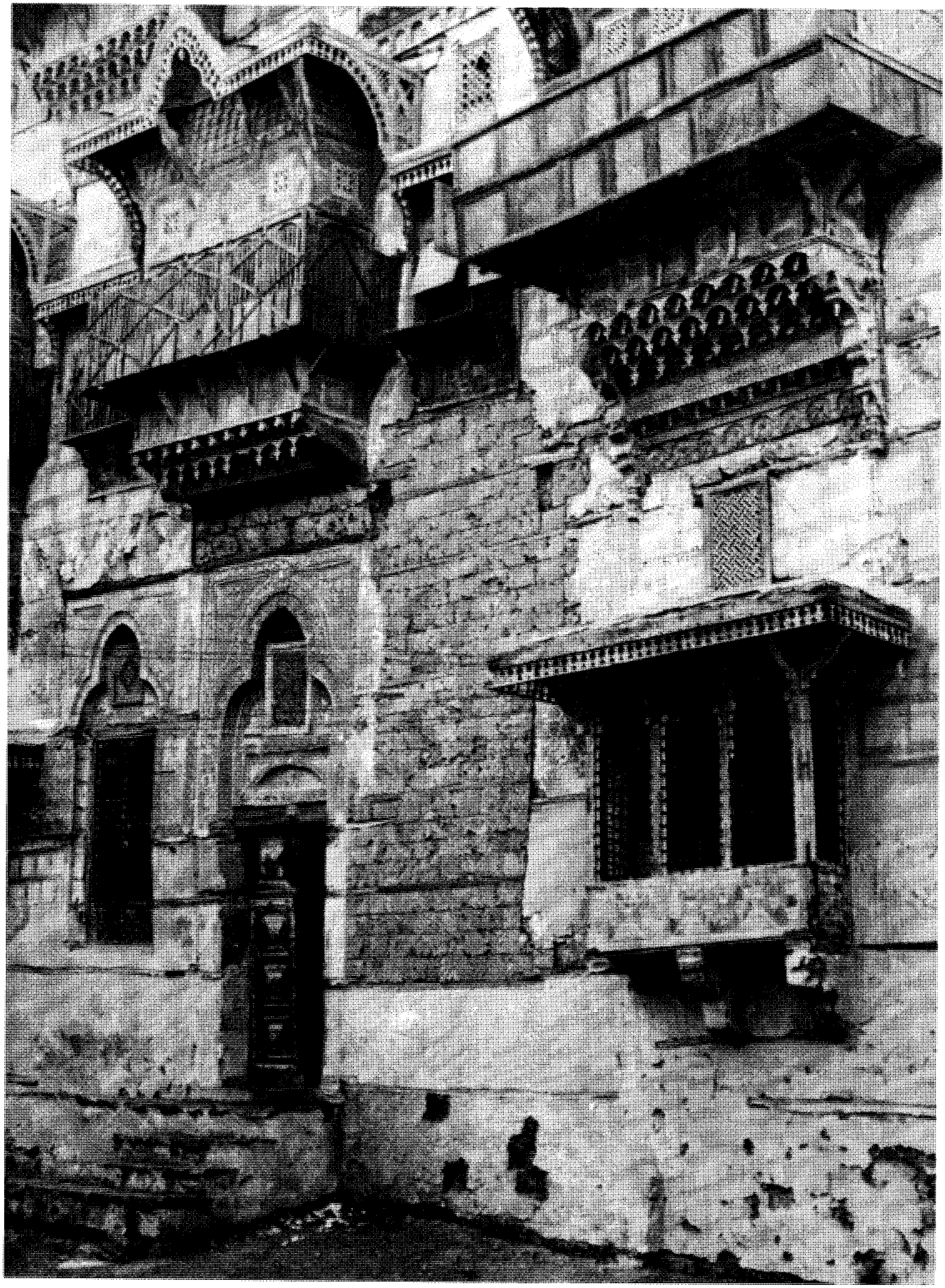
24 - *الرياض وقت الغروب (تصوير فيلبي 1931).*

يعرف المنطقة معرفة جيدة بغرض وضع خرائط للمناطق الرملية في وادي التثليث. وفي نهاية تموز ودع فيلبي الامير النشمي متوجها نحو شبوه، وتريم، والمكلا ثم رجع بعدها شمالا.

وعاد فيلبي من هذه الجولة بمجموعة نادرة من الصور الفوتوغرافية . وضمن مشاهداته وانطباعاته في كتابين(29)، خصصهما لوصف هذه الرحلة في مناطق لم يسبق لاي اوروبي ان زارها من قبل .

ويضم الارشيف المصور للجمعية الجغرافية الملكية في لندن لقطات نادرة لمدينتي جيزان ونجران ، ومناظر للابنية والقلاع والجبال والاودية . وقد استفاض فيلبي في ذكر الامكانات الاقتصادية لهذه المنطقة ، وسجل الكثير من المعلومات عن ارتفاعات الجبال وأنواع النباتات والحيوانات الصغيرة، ووصف العمارة التقليدية ، ونقل الكتابات الاثرية المنحوتة على الصخور، وتحدث عن خطوط تصريف المياه بين الاودية العديدة المنتشرة في هذا الجزء من المملكة العربية السعودية .

ويتبين من هذا العرض السريع لنشاط فيلبي ان التوثيق الفوتوغرافي لشبه الجزيرة العربية في مطلع القرن الحالي كان بالدرجة الأولى من عمل مصورين هواة استعملوا آلات تصوير عادية على هامش المهمات السياسية التي كانوا يقومون بها . وعلى الرغم من ان العديد من الصور التي التقطها فيلبي كانت ذات نوعية رديئة إذا ما قورنت بأعمال المصورين المحترفين ، إلا أنها تعتبر سجلاً تصويرياً قيماً لمدن وقرى واماكن لم يسبق أن جرى تصويرها من قبل .



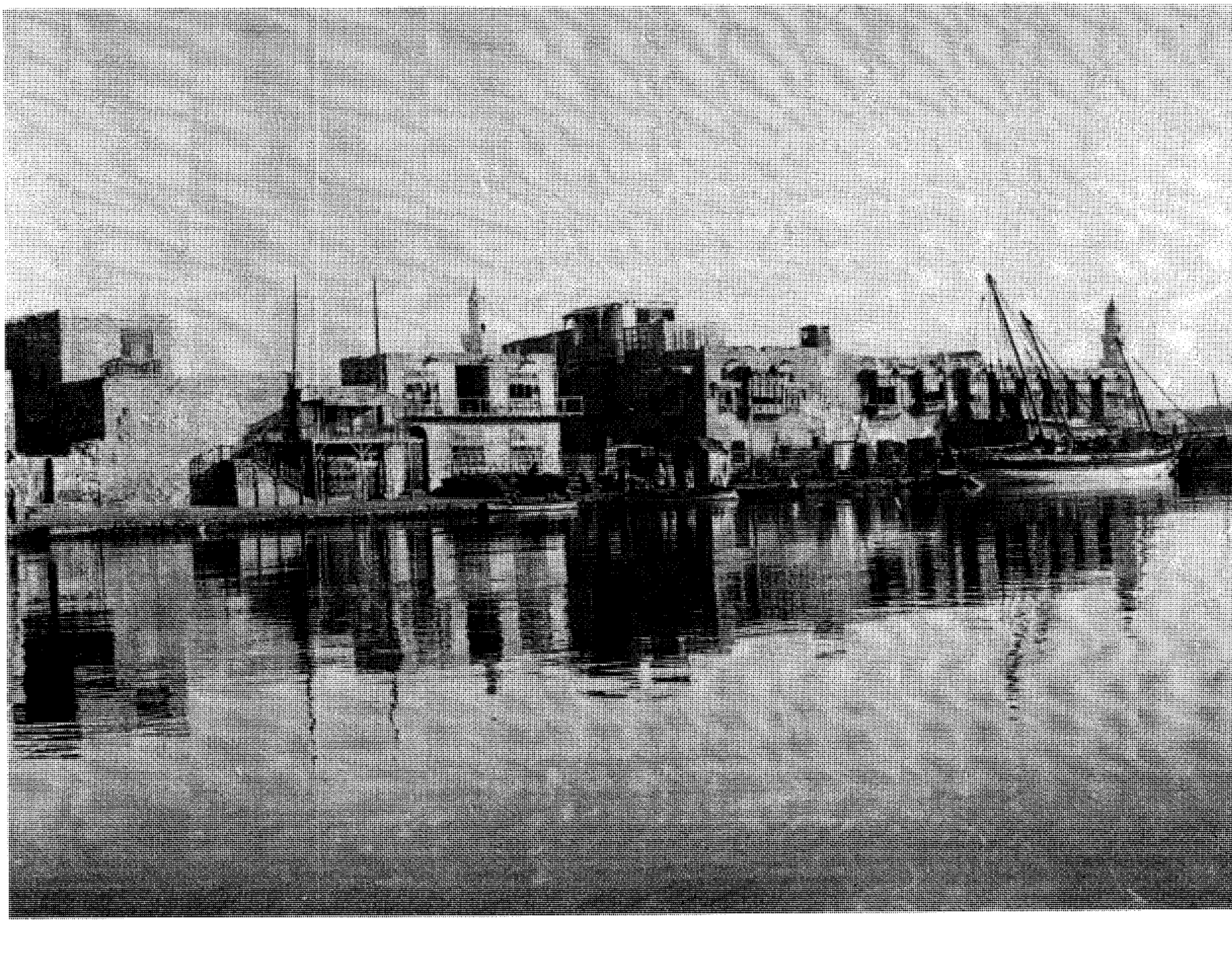
1 - واجهة مبنى تقليدي في جدة (تصوير فيلدن 1938).

الفصل السابع

المصورون الهواة

بعد بدء العمل في خط سكة حديد الحجاز أصبح من السهل الوصول وبسرعة إلى منطقة الحجاز. وفي نفس الوقت أصبح عمل العديد من المصورين الهواة اكثر سهولة بعد ان نزلت إلى الاسواق آلات التصوير البسيطة التي تم إدخال تحسينات عديدة عليها. وخلال فترة الحرب العالمية الأولى التقط مصورون هواة وعسكريون الكثير من الصور في منطقة الحجاز. ومن بين المجموعات المصورة التي التقطت خلال تلك الفترة مجموعة التقطها قسم التصوير الفوتوغرافي

2 - ميناء ينبع (تصوير القسم الفوتوغرافي والسينمائي للجيش الفرنسي في الحجاز1918).

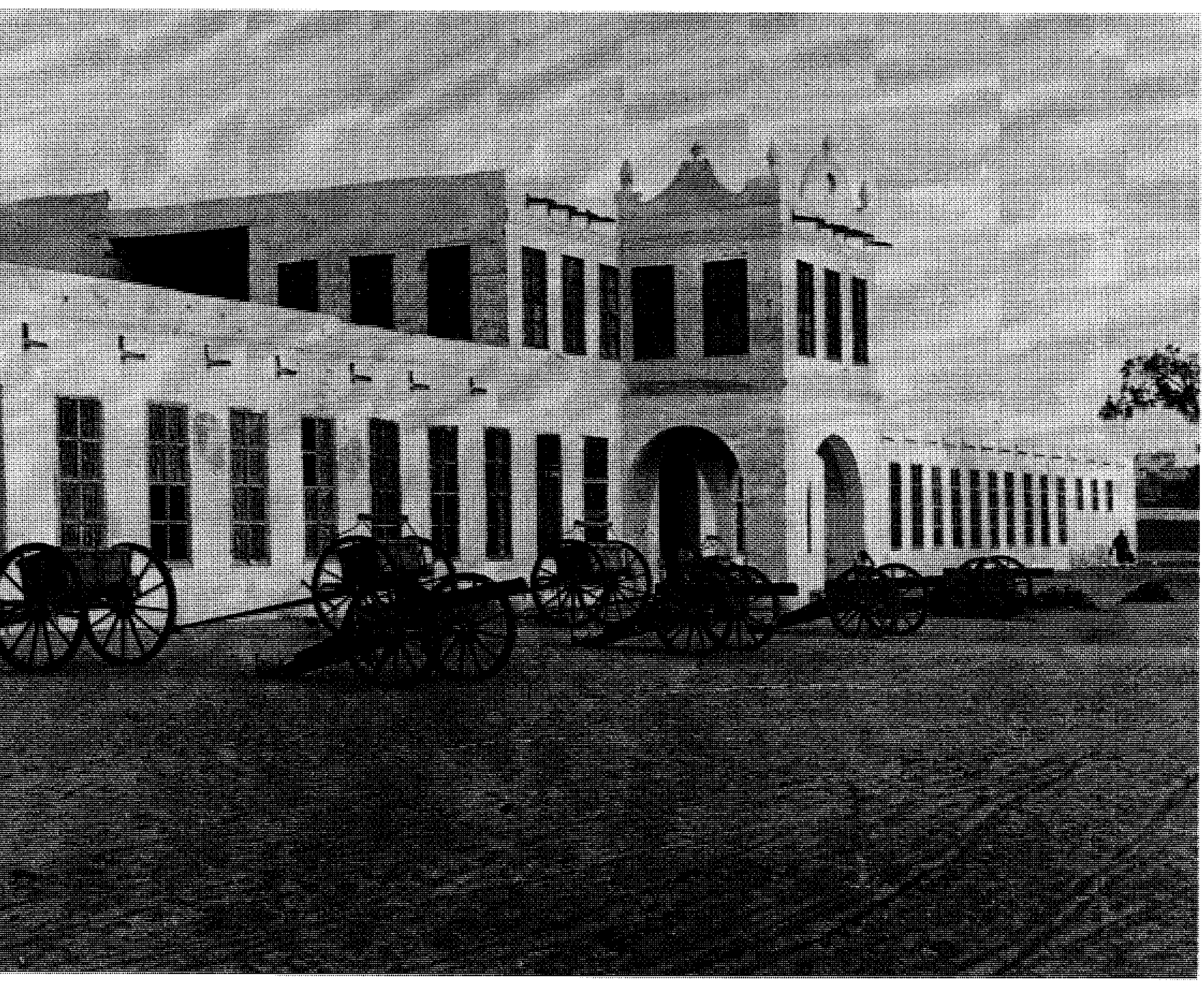


والسينمائي التابع للجيش الفرنسي في الحجاز العام 1918، وتظهر في صور هذه المجموعة مدن جدة وينبع والوجه إضافة الى تسجيل مصوّر لمسيرة القوات الفرنسية والجيش العربي من الحجاز إلى العقبة أثناء الثورة العربية الكبرى. وتحتفظ بهذه المجموعة مكتبة الملك عبدالعزيز العامة في الرياض.

هناك مجموعة أخرى يحتفظ بها المتحف الحربي البريطاني التقطها توماس إدوارد لورانس المعروف بـ « لورانس العرب » خلال الفترة ذاتها وذلك أثناء وجوده في الحجاز، وتغطي الصور أيضاً مدن جدة وينبع والوجه إضافة إلى مناطق أخرى، كما تظهر مسيرة الجيش العربي أثناء الثورة العربية.

وهناك العديد من المصورين الذين تجولوا في المملكة العربية السعودية خلال العقدين الأولين من القرن الحالي وسجلوا بواسطة عدساتهم لقطات متفرقة لمناطق مختلفة نورد أسماء بعضهم مع نماذج من اعمالهم على سبيل المثال لا الحصر. فهناك مجموعة مصورة التقطها مصور مصري مجهول الهوية حوالي العام 1912 مسجلاً دخول المحمل المصري الى مكة المكرمة، ويحتفظ بهذه المجموعة مركز الشرق الاوسط في أوكسفورد.

3 - الثكنة–جدة (تصوير القسم الفوتوغرافي والسينمائي للجيش الفرنسي في الحجاز 1918)

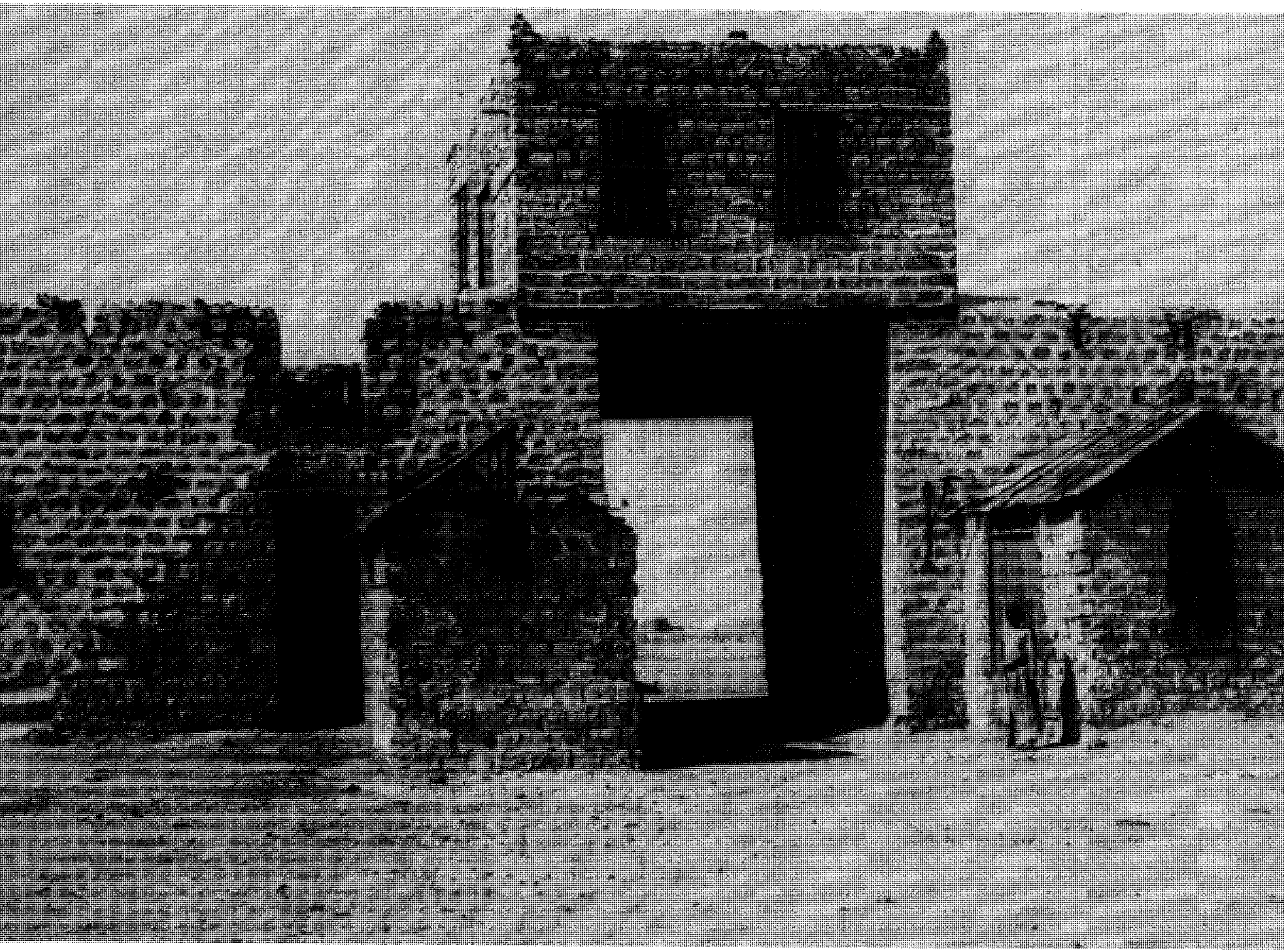




4- سوق ينبع (تصوير القسم الفوتوغرافي والسينمائي للجيش الفرنسي في الحجاز 1918).

ويضم الارشيف المصور للجمعية الجغرافية الملكية في لندن مجموعة من الصور لمنطقة الحجاز في مطلع القرن الحالي التقطها كل من ج. ب. ماكيJ.B. Mackie العام 1924 و ف. ج. كلامو F.G. Clemow والكولونيل مانسيل Mansell العام 1907. إضافة إلى صور التقطها الطبيب المصري س. م. حسين العام 1903.

وفي العام 1919 قررت الحكومة البريطانية تعزيز علاقاتها السياسية مع المملكة العربية السعودية بعد سيطرة الملك عبد العزيز على طريق الهند عبر الخليج العربي والبحر الأحمر، وقامت بتوجيه دعوة للقائد السعودي لزيارة بريطانيا. ولقد إنتدب الملك عبد العزيز ابنه الأمير فيصل لينوب عنه في الزيارة على رأس وفد ضم عبدالله القصيبي وأحمد بن ثنيان، وتم تسجيل كافة مراحل هذه الزيارة من قبل همفري بومان الذي رافق الوفد السعودي. وتضم أوراق بومان الخاصة التي يحتفظ بها مركز الشرق الاوسط في اوكسفورد ملفاً من



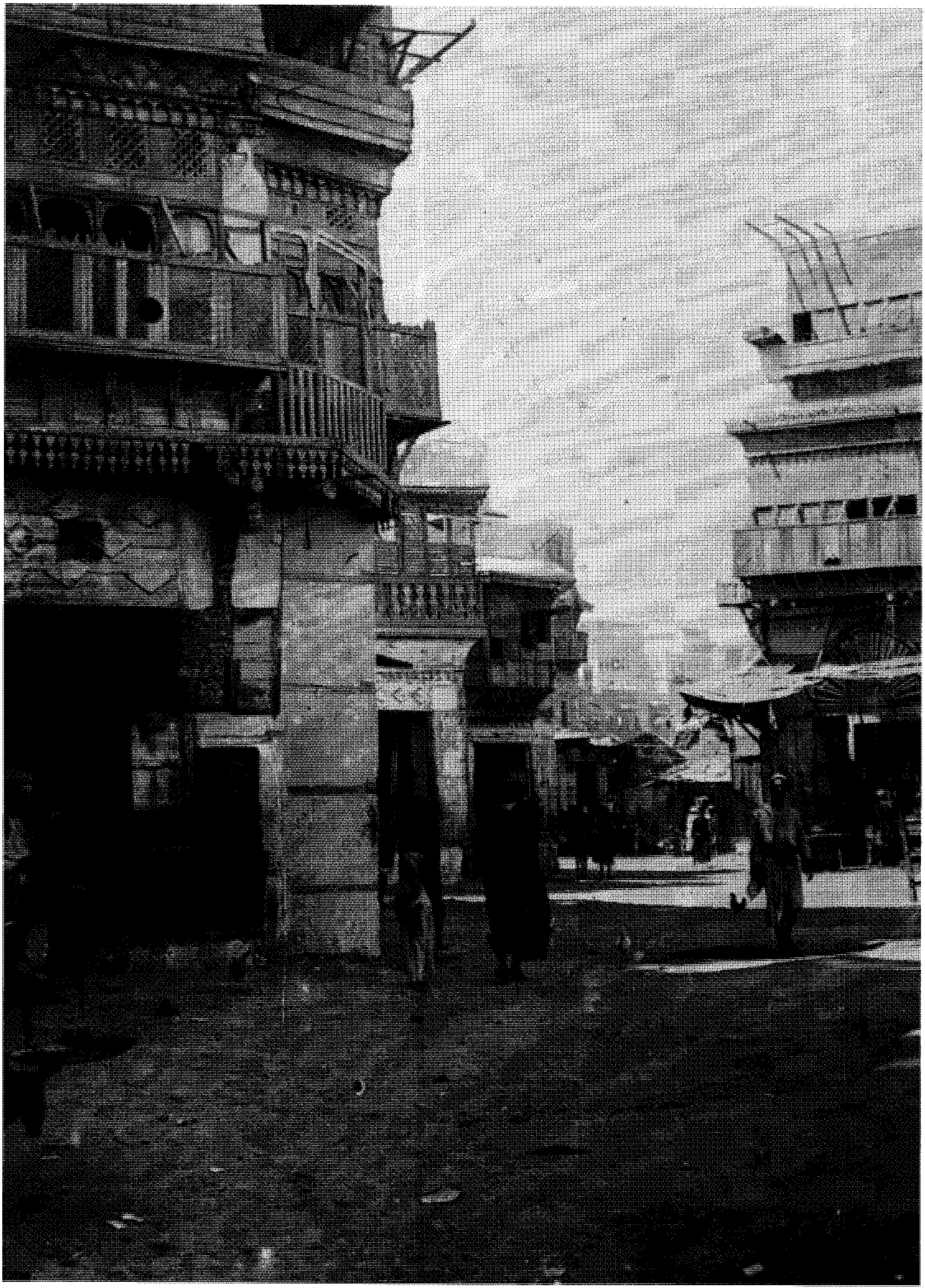
5 - بوابة في ينبع (تصوير القسم الفوتوغرافي والسينمائي للجيش الفرنسي في الحجاز 1918).

الصور التي التقطها في الحجاز العام 1919. وهناك مصور هاوٍ آخر هو نورمان مايرز الذي امضى في الحجاز مدة تسعة اشهر، وكان يشغل منصباً قنصلياً بريطانياً في جدة سنة 1922، وتضم أوراقه الخاصة التي يحتفظ بها مركز الشرق الاوسط في اوكسفورد أيضاً مجموعة من الصور التي التقطها في جدة خلال إقامته.

شهدت فترة الثلاثينات من هذا القرن ازدياد شعبية التصوير الفوتوغرافي. فعلى الصعيد الاحترافي أصبحت معظم الصحف تدعم مقالاتها وتحقيقاتها بالصور. كما وان التحقيقات المصورة عن المناطق البعيدة كانت تباع بأسعار مرتفعة. وظهرت في تلك الفترة أيضاً مطبوعات مصورة متخصصة مثل مجلة « لايف » في اميركا و « بيكتشر بوست » في بريطانيا. وتأسست عدة وكالات للصور في عديد من الدول. والتقطت خلال تلك الفترة مجموعة من الصور التي التقطها مصورون هواة شغلوا مناصب او مهمات سياسية



6 – البوابة الرئيسية في الهفوف (تصوير ماكي 1910).



7 - شارع في جدة *(تصوير القسم الفوتوغرافي والسينمائي للجيش الفرنسي في الحجاز 1918).*

في المملكة العربية السعودية أمثال: أندرو رايان، جيرالد دو غوراي، وجورج راندل.

كان اندرو رايان Andrew Ryan (1876–1946) قد شغل منصب وزير بريطاني مفوض في المملكة العربية السعودية، وخلال اقامته في المملكة بين السنوات 1930 و 1936 قام بالتقاط العديد من الصور في جدة والطائف والرياض. وتحوي مجموعته المصورة صوراً للعرض العسكري الذي جرى في جدة خلال الاحتفالات بمناسبة اعتلاء الملك عبد العزيز العرش. ووصف رايان في كتابه The Last of the Dragomans العرض بقوله: « مرّ ما بين 1200 و 1500 جندي أمام منصة الملك بطريقة منظمة يعود الفضل فيها الى فوزي القاوقجي. بعد ذلك مر جنود على الطريقة التقليدية. وخلال العرض اقترب فوزي من جلالة الملك وحياه بالتحية العسكرية... لقد جاء منظم العرض يلتمس باسم الجنود مطلباً صغيراً من الملك، فبعد ان قدموا العرض وفق الأساليب الأوروبية طلبوا السماح لهم بالمشاركة في تقديم عروض على الطريقة العربية التقليدية. وقد سرّ الملك عبد العزيز بهذا الطلب، وحسب ما أذكر، إعطى موافقته، وهكذا انتهى العرض بفانتازيا على الطريقة العربية ... حيث كان الخيالة، ومن بينهم الأمير فيصل، يصولون ويجولون في كل اتجاه» (1).

وفي صيف 1934 زار رايان الطائف تلبية لدعوة من الملك عبد العزيز، وألتقط خلال اقامته مجموعة من الصور. ثم دعي في صيف 1935 من قبل الملك عبد العزيز ايضا لزيارة الرياض، والتقط خلال هذه الزيارة ما يقارب الخمسين صورة، منها صور للقصر الملكي ووادي حنيفة.

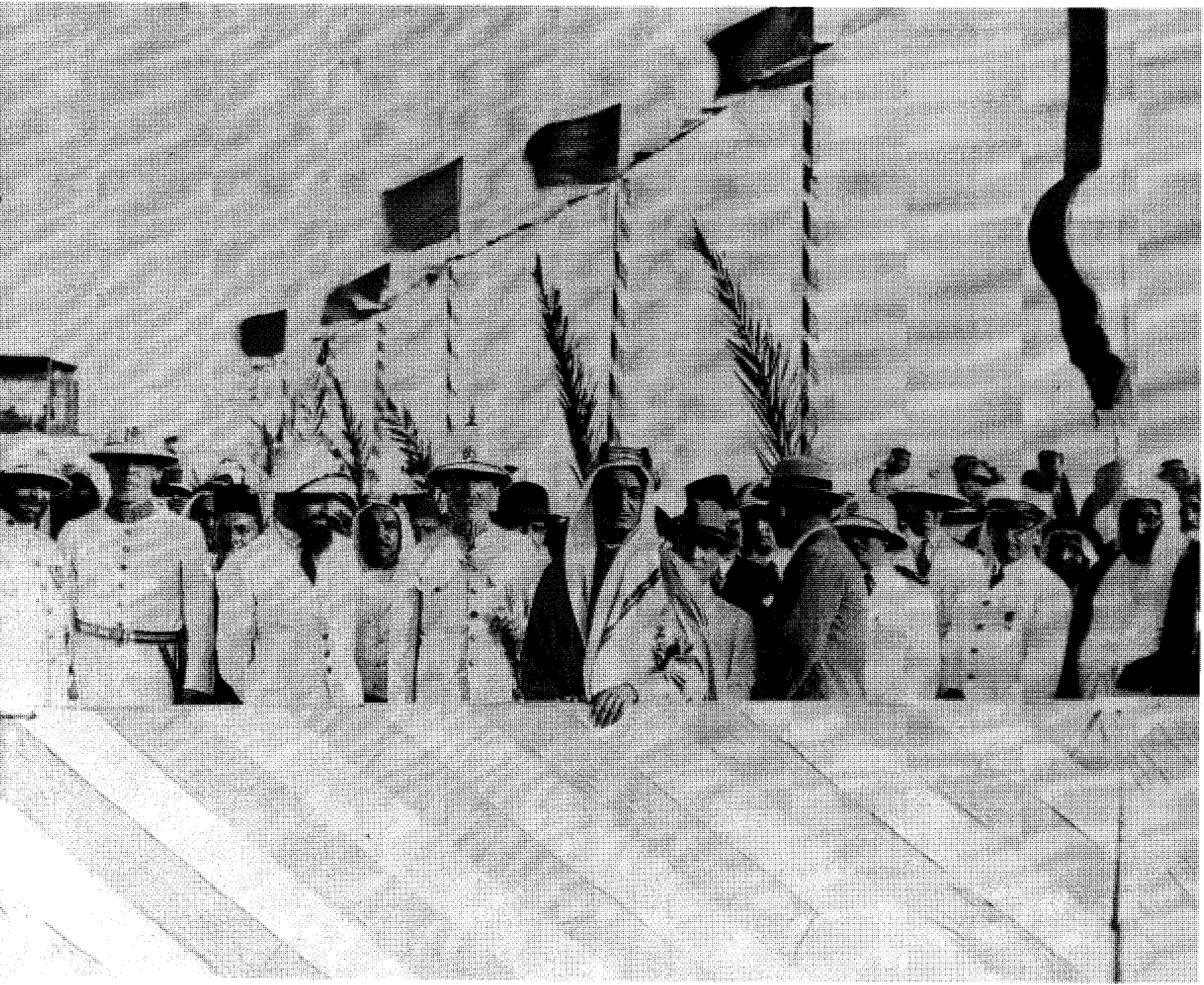
كما تضم مجموعة رايان ملفين يحتويان على اكثر من مئتي صورة من اللقطات المتفرقة لجدة والطائف ما بين السنتين 1931و1936.

اما جيرالد دو غوراي Gerald de Gaury (1897–1984) فكان ايضاً مندوباً سياسياً للحكومة البريطانية لدى المملكة العربية السعودية. وقام بزيارة الرياض للمرة الاولى العام 1934 حيث التقط خلال هذه الزيارة التي بدأت في جدة في الثامن والعشرين من حزيران مجموعة من الصور تحتفظ بها الجمعية الجغرافية الملكية في لندن. ويذكر دو غوراي في وصفه الرحلة من جدة الى الرياض انه قام بزيارة العاصمة السعودية تلبية لدعوة من الملك عبد العزيز وقد استغرقت رحلته من جدة الى الرياض ستة ايام. ويصف الرياض والاستقبال الذي خصه به الملك عبد العزيز (2) وكيف انه امضى ثلاثة ايام اجرى خلالها جولات من المحادثات مع العاهل السعودي، غادر بعدها الرياض الى الكويت.

اما عن رحلته الثانية الى الرياض، فيذكر دو غوراي انه وصل العقير في التاسع عشر من تشرين الثاني 1935 قادماً من البحرين برفقة اندرو رايان اول وزير بريطاني مفوض لدى المملكة العربية السعودية. وكان في استقبال الوفد البريطاني امير المنطقة سعود بن جلوي وتوفيق حمزة ممثلاً للملك عبد العزيز. وتوجه دو غوراي ورايان برفقة حمزة الى واحة الحسا ثم الهفوف، وتحدث دو غوراي عن رحلته هذه واصفاً



8 - سوق الرياض من الجهة الغربية (تصوير رايان 1935).

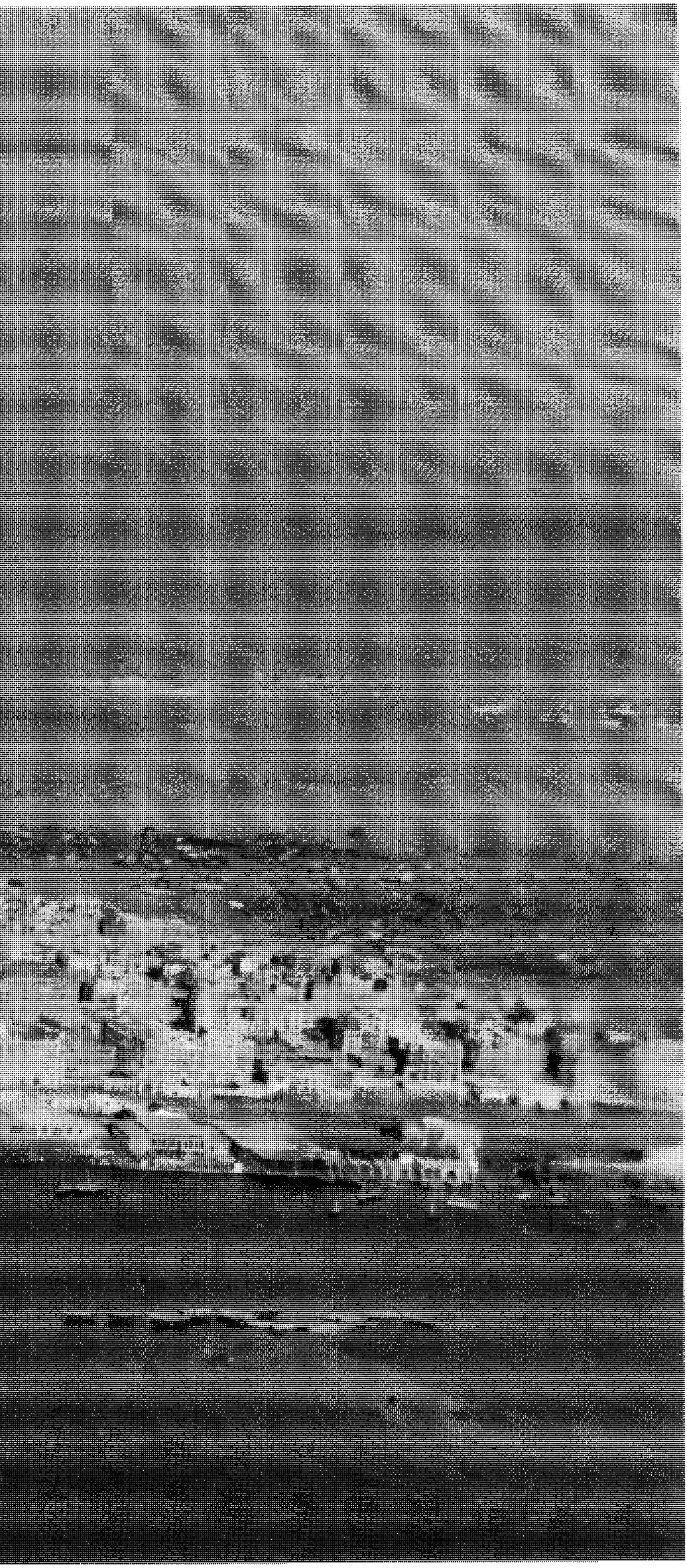


9 - الامير فيصل بن عبدالعزيز يحيط به اعضاء السلك الديبلوماسي أثناء العرض العسكري في جدة (تصوير رايان، كانون الثاني 1931).

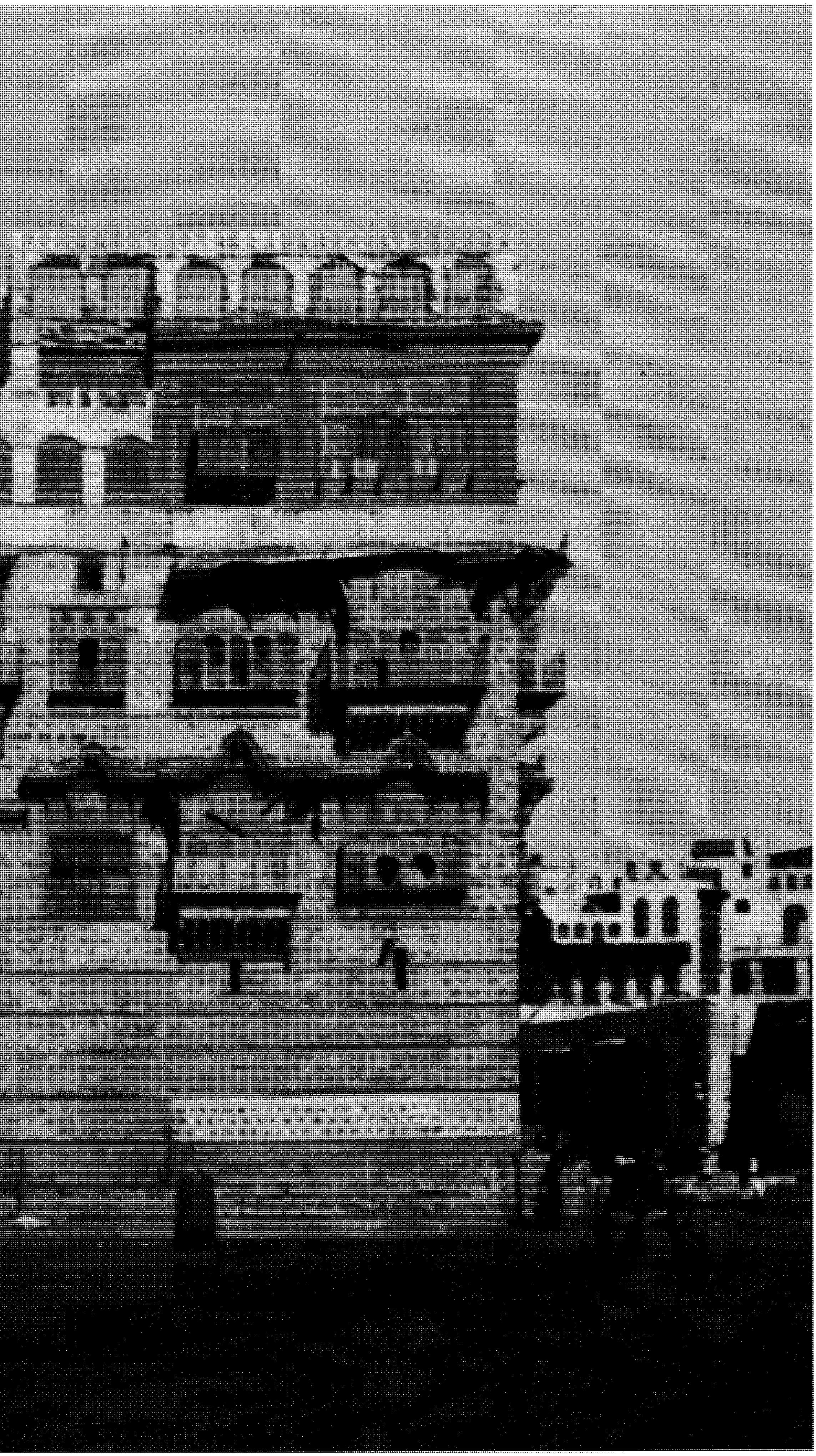
الابنية النجدية التي تتميز بها الهفوف (3). وانتقل دو غوراي من الهفوف الى الرياض التي وصلها في الرابع والعشرين من تشرين الثاني 1935، والتقى فور وصوله الملك عبد العزيز. وقد خصص دو غوراي اربعة فصول من كتابه " Arabia Phoenix " للحديث عن الرياض واقامته فيها، ذاكراً بالتفصيل انطباعاته عن الحياة اليومية في العاصمة السعودية. كما تحدث عن رحلة صيد مع الملك عبد العزيز وحضوره احتفالاً لسباق الخيول شرق الرياض بدعوة من الملك ايضاً.

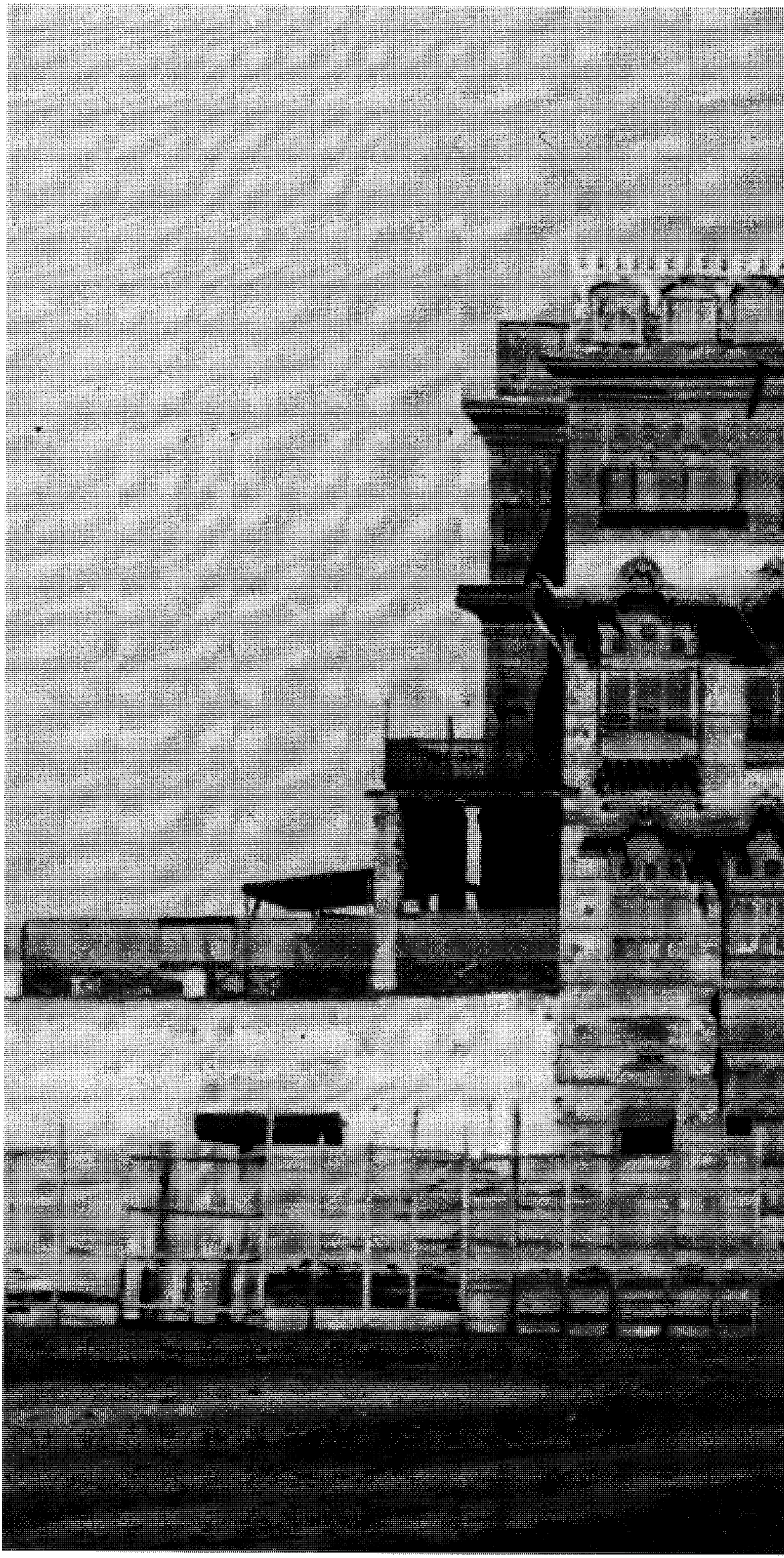
غادر دو غوراي الرياض باتجاه جدة عبر الدرعية ثم داودمي حيث استقبله اميرها واقام ليلته فيها. ويذكر انه قام ايضاً بزيارة الى منطقة عسير، ويصف جولته فيها مع مرافقين من نجد ، كما يصف ابها وجيزان. ثم توجه في قارب مع ملاحين عرب (4) الى جزيرة كمران في البحر الاحمر. وقام برحلة ثالثة الى الرياض اثناء الحرب العالمية الثانية 1939-1940. وتتميز الصور التي التقطها بتركيزه على العمارة النجدية بشكل خاص.

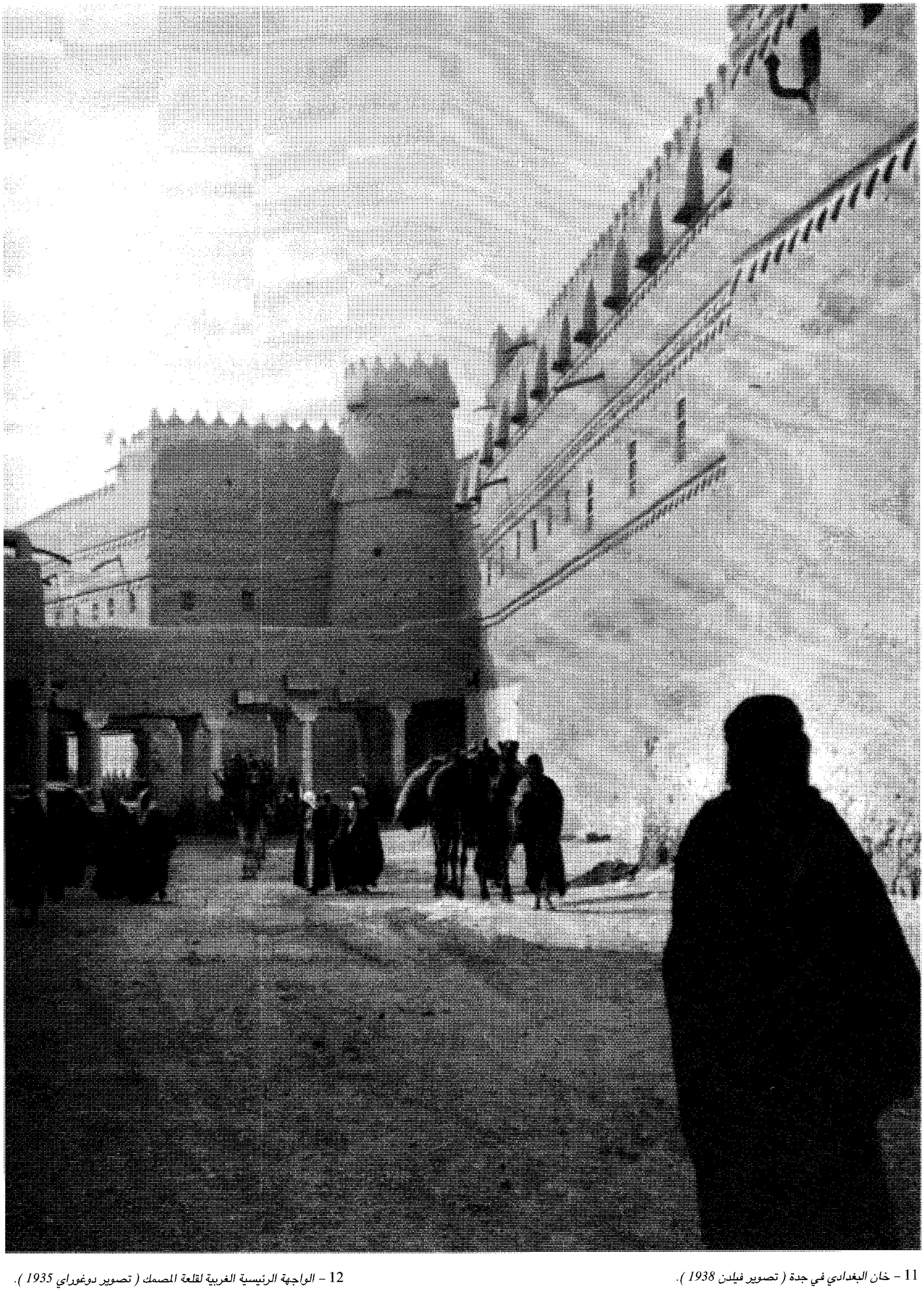
10 - منظر جوي لجدة (تصوير فيلدن 1938).











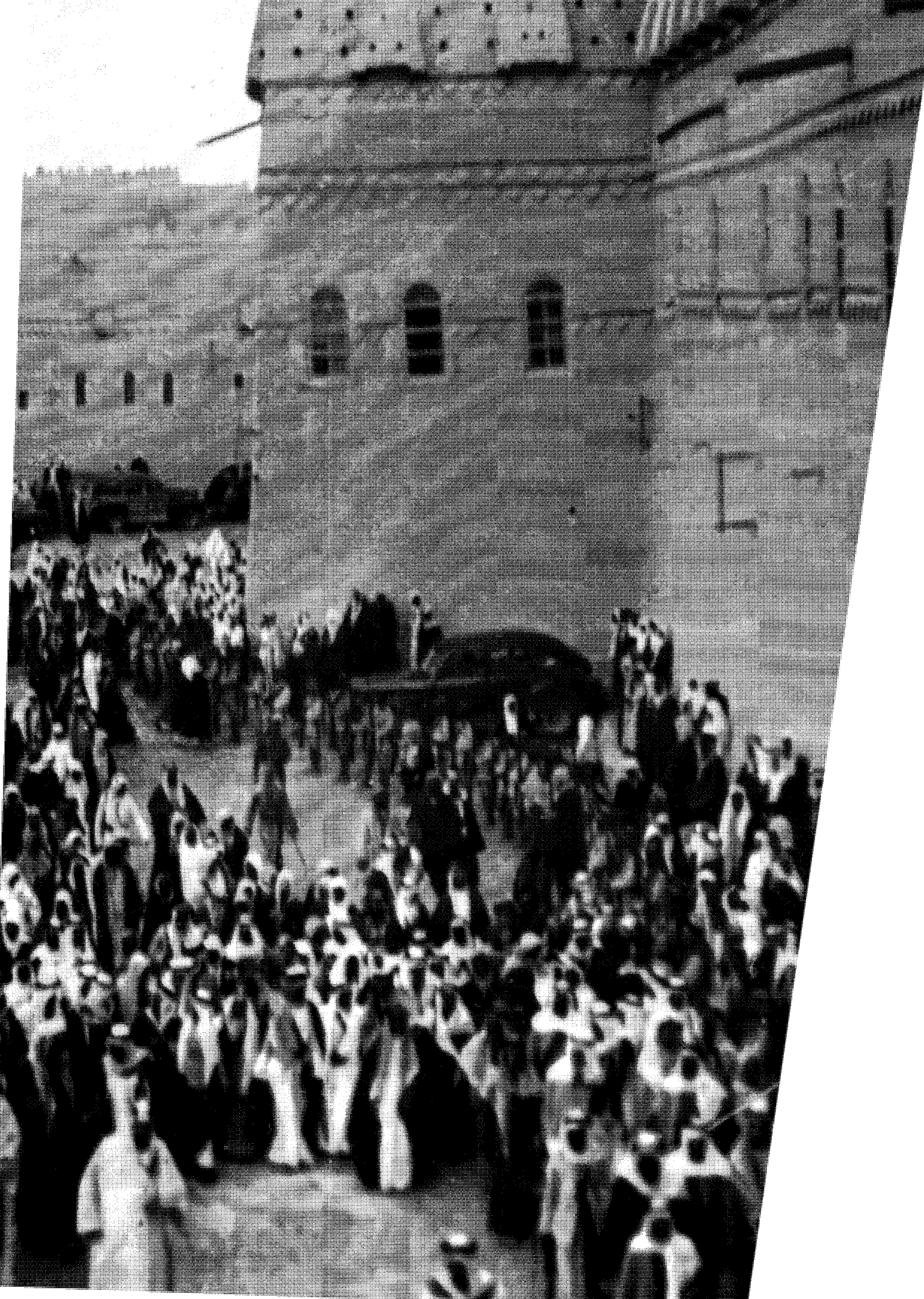
11 - خان البغدادي في جدة (تصوير فيلدن 1938).

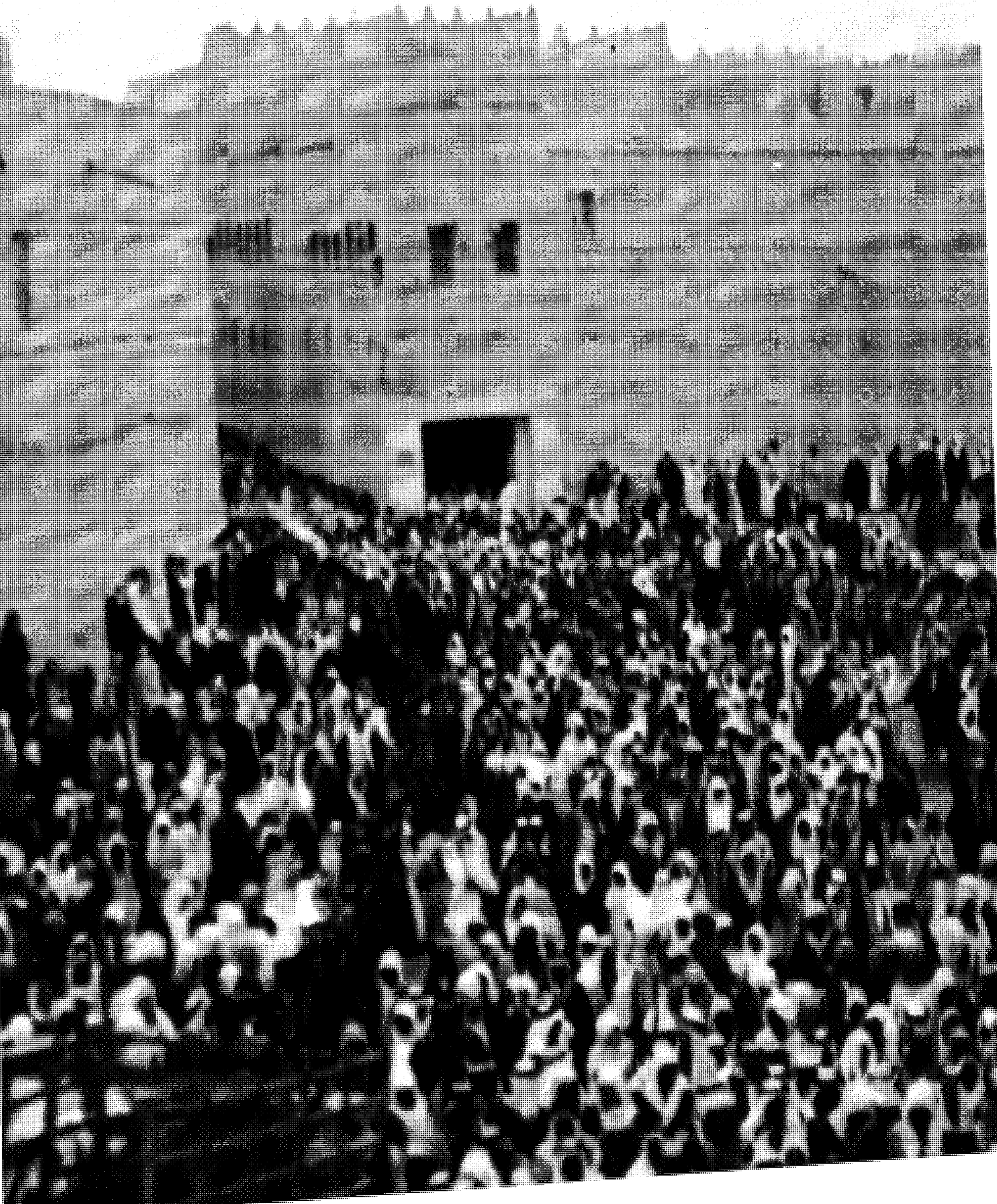
12 - الواجهة الرئيسية الغربية لقلعة المصمك (تصوير دوغوراي 1935).

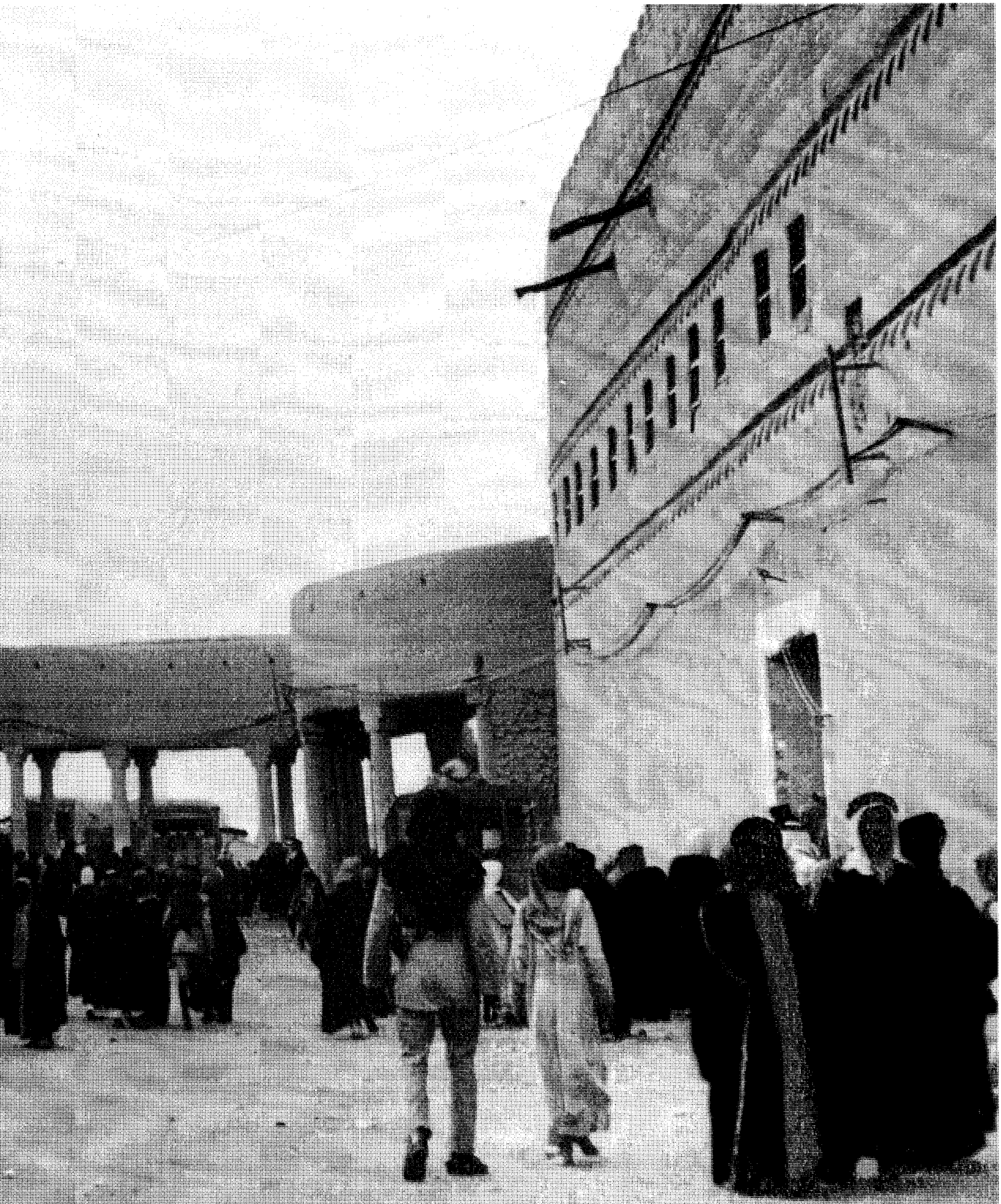


13 - *زخارف تقليدية في قصر البديعة (تصوير دوغوراي 1939).*

14 - *الملك عبد العزيز في ميدان الصفاة (تصوير دوغوراي 1939).*







15 – ميدان الصفاة ويبدو الى اليمين قصر الحكم (تصوير دوغوري 1939)

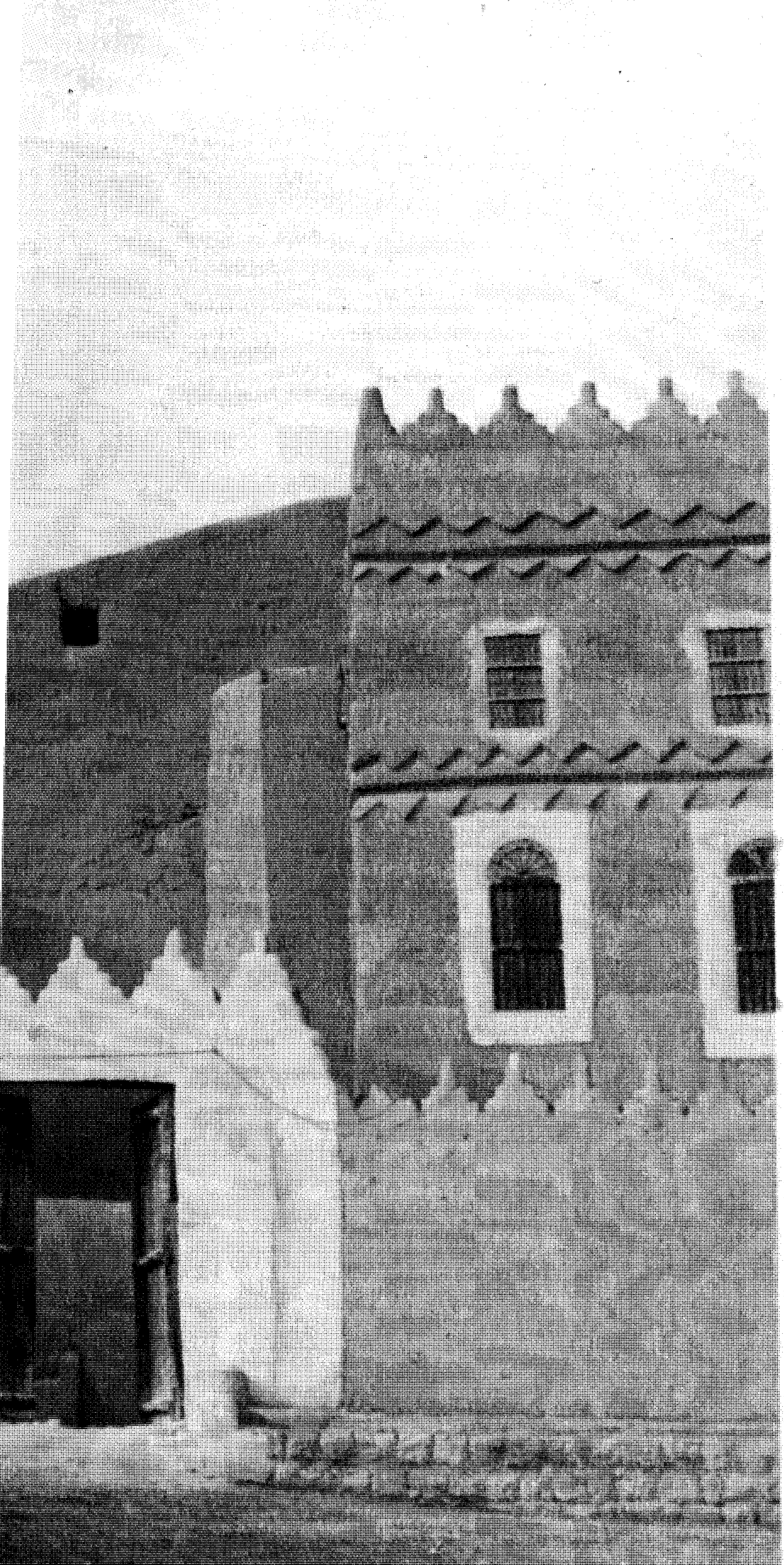




16 – *شارع في جدة (تصوير القسم الفوتوغرافي والسينمائي للجيش الفرنسي في الحجاز سنة 1918).*

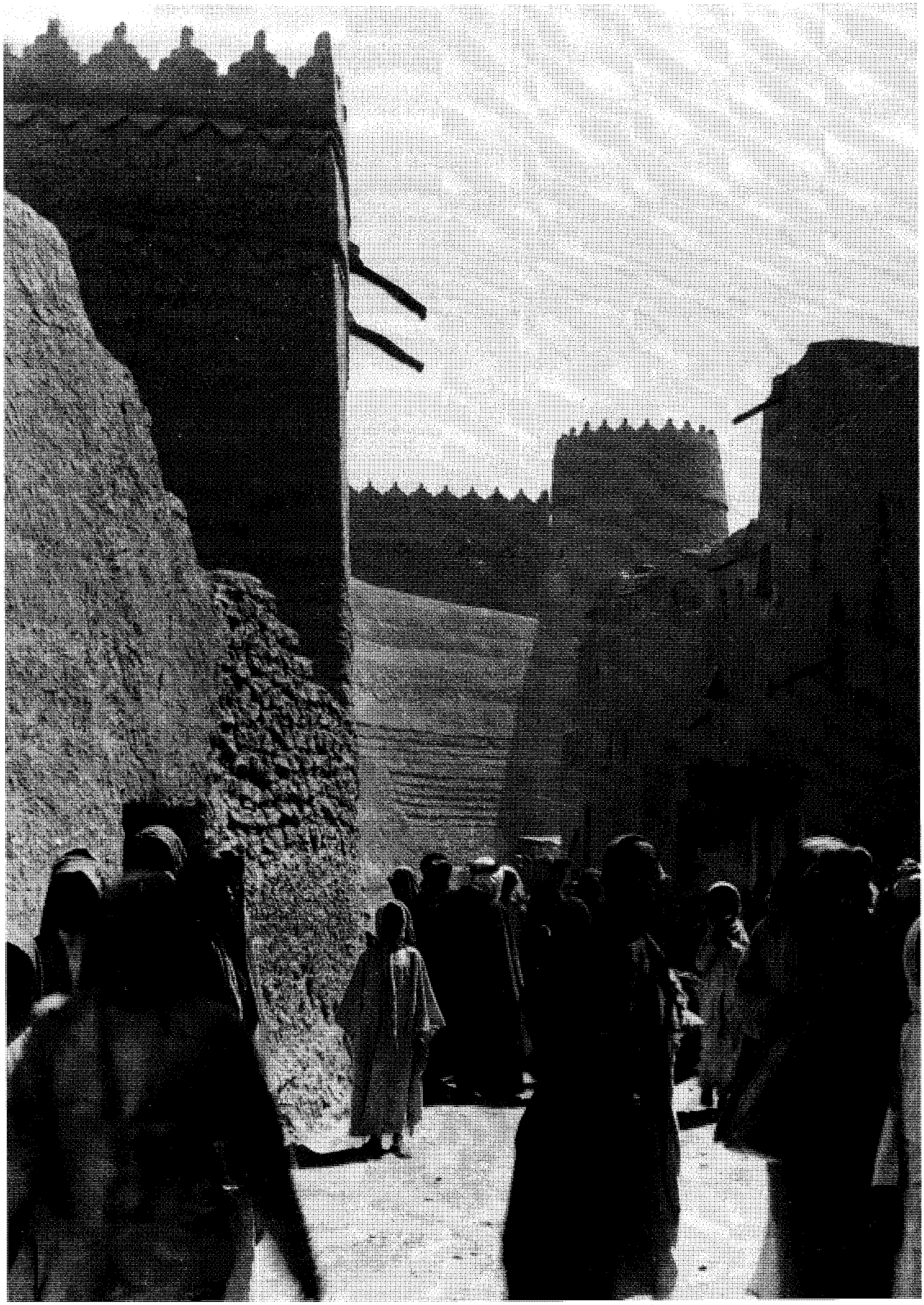


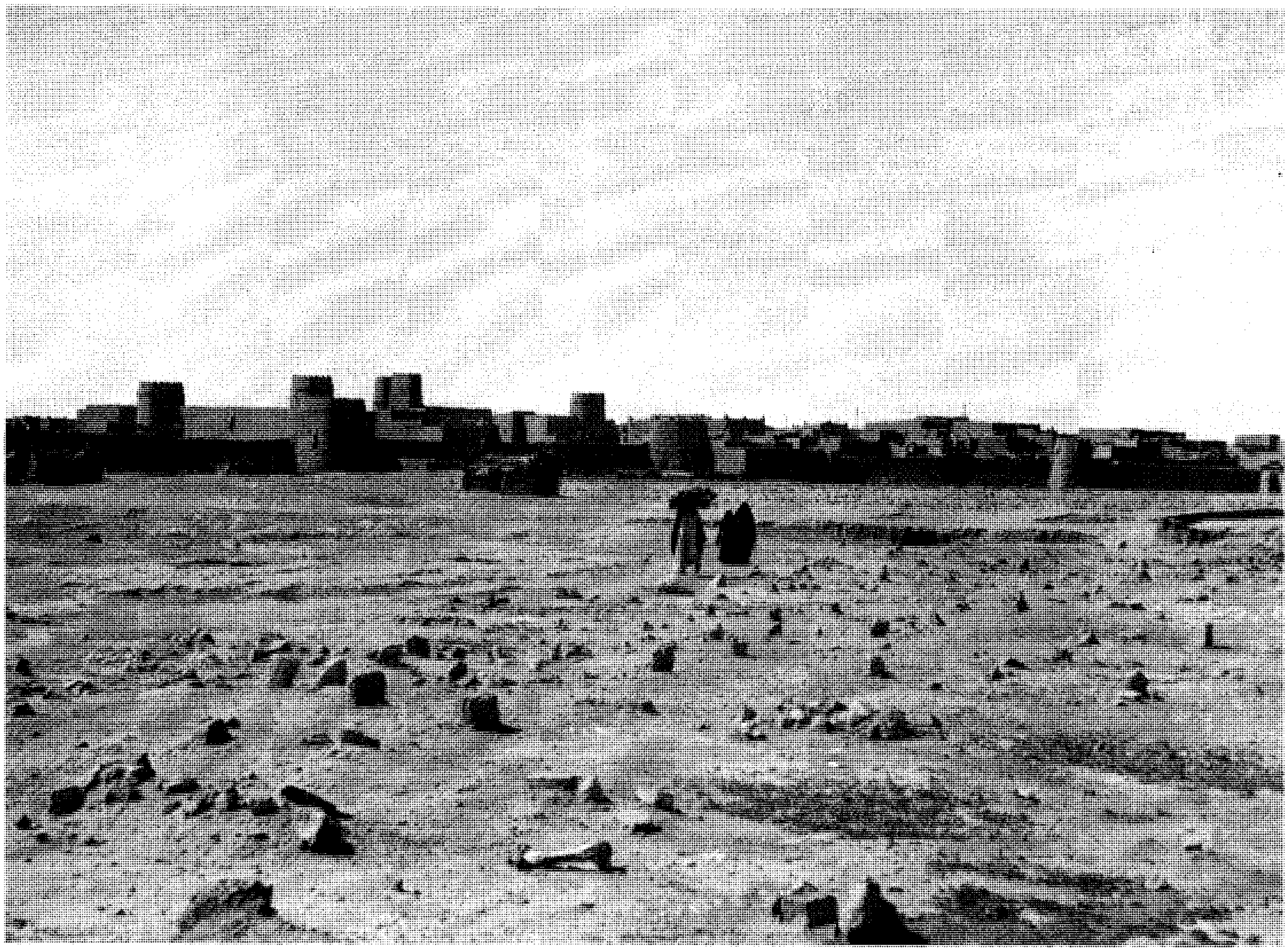
17 - نخيل الرياض (تصوير دوغوراي 1939).



18 – واجهة منزل في الرياض (تصوير دوغوراي 1939).







20 – الجانب الشمالي الشرقي من سور الرياض ويظهر المصمك ومساكن حي الظهيرة.
(تصوير راندل 1937).

جورج وجيرالدين راندل.

اما جورج راندل George Rendel (1889–1979) فكان يشغل منصب رئيس الدائرة الشرقية في وزارة الخارجية البريطانية خلال فترة 1930–1938 وقد قام برفقة زوجته جيرالدين بجولة العام 1937 من العقير على ساحل الخليج الى جدة عبر الرياض، وذلك تلبية لدعوة رسمية من الملك عبد العزيز (5).

غادر راندل وزوجته بريطانيا في التاسع من شباط 1937 بحراً نحو حيفا، ثم انتقلا الى دمشق، وبغداد، والبصرة. وفي الحادي والعشرين من شباط غادرا البصرة الى الكويت، ثم بوشهر، وتجولا في ايران ثم انتقلا الى البحرين.

ويذكر راندل ان الحكومة السعودية ارسلت قارباً خاصاً الى البحرين لنقله مع زوجته في السادس من آذار، وبعد سبع ساعات وصل المركب الى العقير حيث كان في استقبالهما الشيخ حافظ وهبه، الوزير السعودي المفوض في لندن. وفي احدى غرف مبنى الجمارك في العقير ارتدى راندل وزوجته اللباس العربي. وتصف جيرالدين راندل العقير بقولها انها بلدة صغيرة ابرز ما فيها القلعة ومبنى الجمارك، وبعض البيوت المتفرقة حول المرفأ(6).

19 –جانب من السوق جنوب قصر الحكم (الصفاة) ويبدو البرج الجنوبي للقصر في مؤخرة الصورة (تصوير راندل 1937).

توجه راندل وزوجته برفقة حافظ وهبه في قافلة من السيارات غرباً نحو الهفوف، وتصف جيرالدين راندل الحسا بقولها انها مشهورة بحدائقها وينابيعها الكبريتية (7)، والمدينة محاطة بسور من الطين عليه ابراج، وفيه بوابات. وتقع داخل السور القلعة التي يسكنها الامير سعود بن جلوي.

ويذكر جورج راندل ان زوجته شاركته اثناء جولتهما في الهفوف بالتقاط الصور الفوتوغرافية (8) للمدينة والينابيع الكبريتية في عين نجم وعين الحدا.

غادر راندل وزوجته الهفوف نحو الرياض في قافلة مؤلفة من اربع سيارات، وعبرا مناطق فيها العديد من خيام البدو وقطعانهم، وقبيل وصولهما الرياض تلقيا دعوة من الامير سعود بن عبد العزيز لزيارته في مخيمه الواقع على بعد خمسة عشر ميلاً من الرياض، وتذكر زوجة راندل انها

21 - جانب من سوق المقيبرة غربي الرياض (تصوير راندل1937).



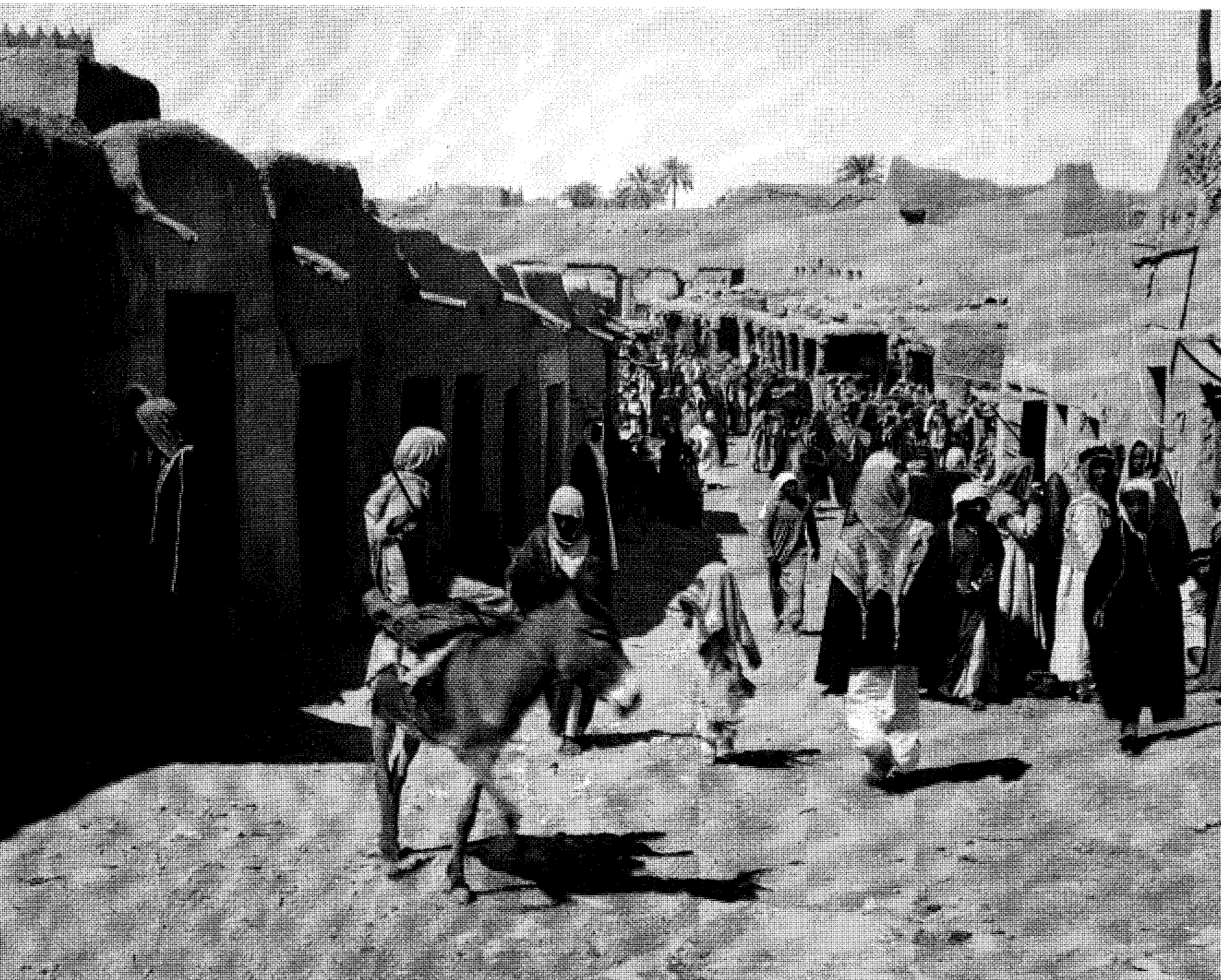
التقطت العديد من الصور للأبل وللمخيم(9).

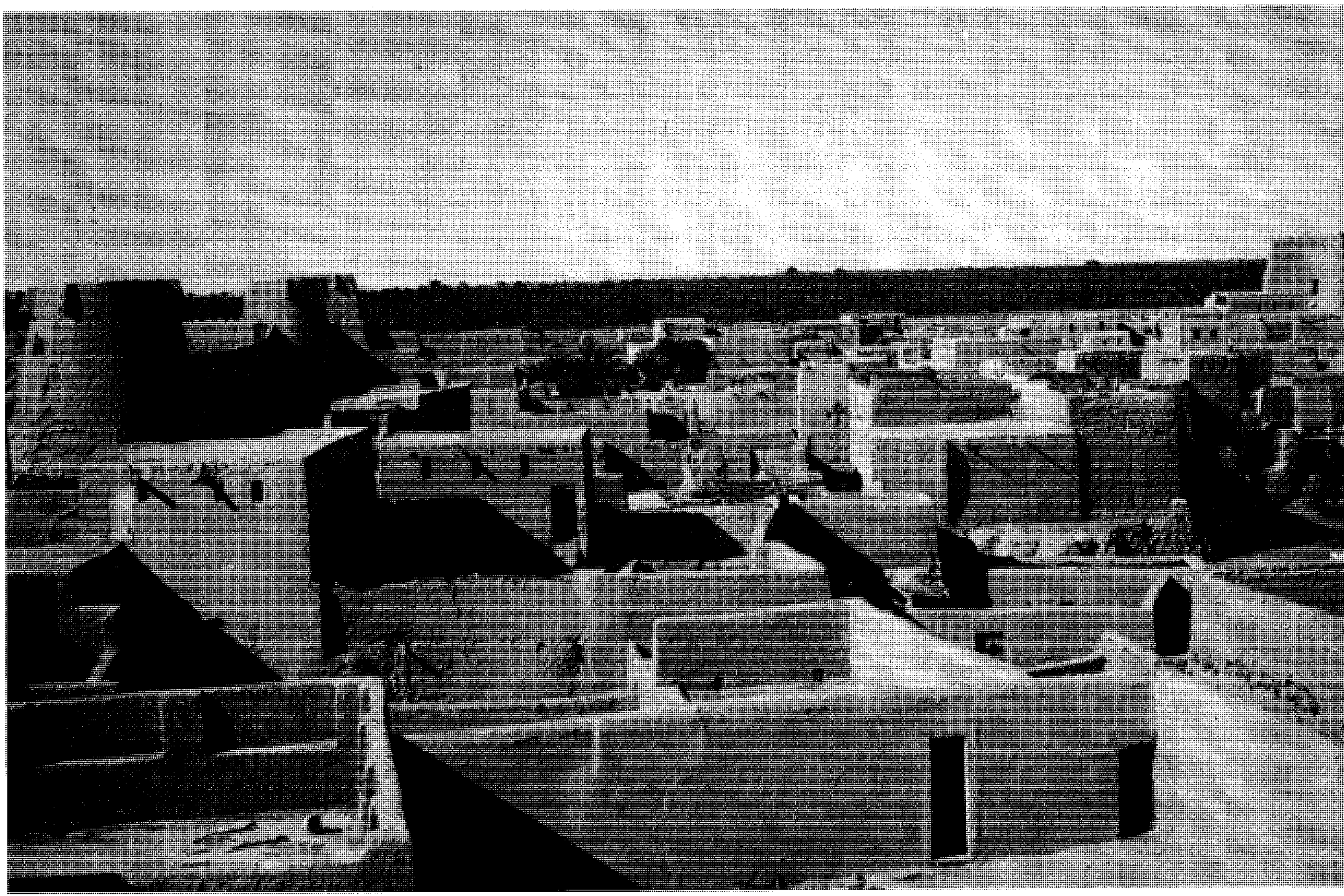
وتصف جيرالدين راندل الرياض بقولها انها مدينة محاطة بسور من الطين ومجموعة من الابراج: « دخلنا المدينة من بوابة الثميري عبر شارع عريض قادنا الى الساحة الرئيسية حيث شاهدنا منازل مرتفعة مبنية من الطين، ويحتل قصر ابن سعود القسم الغربي من الساحة، وهو مبنى ضخم مرتفع ومحصن، وفيه برجان ضخمان، ومحاط بمجموعة من القصور الصغيرة يعيش فيها ابناء الملك» (10).

اقام راندل وزوجته في قصر البديعة، وفي اليوم التالي لوصولهما التقيا الملك عبد العزيز بحضور بعض الامراء، وتجولا في المدينة والتقطا مجموعة من الصور لمبانيها واسواقها.

وفي الثاني عشر من آذار غادرا الرياض عبر وادي حنيفة

22 – *سوق الهدم « الملابس » (تصوير راندل 1937).*





23 - الرياض، منظر عام (تصوير راندل 1937).

الى جبيلة، وتصف زوجة راندل المنطقة من جبيلة الى قرية داودمي وقلعتها حيث اقاما ليلتهما ثم توجها نحو مويح والطائف التي اقاما فيها يومين، ثم جدة، قاطعين مسافة 1400 ميل من العقير الى ساحل البحر الاحمر. وأثناء وجودهما في جدة التقيا بالملك عبد العزيز مرة ثانية بحضور حافظ وهبه، والاميرين سعود وفيصل، ويوسف ياسين ، ودار البحث حول آفاق ومستقبل العلاقات البريطانية -السعودية.

وفي مطلع الثلاثينات بدأت شركات نفط اميركية مباحثات مع المسؤولين السعوديين في جدة بهدف استغلال الثروة النفطية في المملكة. وبعد فترة من المفاوضات حصلت شركة « ستاندرد اويل أوف كاليفورنيا» على حقوق التنقيب عن النفط في حقول الظهران. وتم توقيع العقد في الثالث من أيار العام 1933 بين وزير المالية السعودي عبدالله السليمان ومندوب الشركة الاميركية لويد هاملتون.

وعشية اندلاع الحرب العالمية الثانية العام 1939 كانت الشركة الاميركية قد عثرت على النفط بكميات تجارية وبدأت استخراجه بعد تطوير عدة آبار. وأدّى اكتشاف النفط إلى تغييرات جذرية في المجتمع السعودي، وتبدلت المدن السعودية بحيث اصبح من الصعب مقارنتها بوضعيتها السابقة. وهكذا اصبحت صور الأمس وثائق هامة لمعالم ومدن طرأ عليها التغيير السريع.

مصادر الفصول

الفصل الاول

1- India Office, Arabic Library Ms loth734 F.F.79-86.

2- النص المترجم نقلاً عن:

H. & A. GERNSHEIM. " *History of photography* ".Thames & Hudson London1969. p17.

الفصل الثاني

1- " *Jouranl des voyages* " No.: 922 & 923 Paris 10 & 17 March 1895.

2- صدر لمحمد صادق الكتب التالية عن رحلاته الى الحجاز:

أ - «*نبذة في استكشاف الارض الحجازية من الوجه وينبع البحر إلى المدينة النبوية*» مطبعة اركان حرب الجهادية ، القاهرة سنة 1294 هـ . [1877]

ب - «*مشعل المحمل*» ، مطبعة وادي النيل ، القاهرة سنة 1298 هـ . [1880]

جـ - «*كوكب الحج في سفر المحمل بحرًا وسيره برًا*» ، المطبعة الاميرية ببولاق ، مصر المحمية سنة 1302هـ .[1884]

د - «*دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة من كل فج*» ، المطبعة الكبرى الاميرية ببولاق ، سنة 1313هـ .[1895]

3 - خير الدين الزركلي ، «*الاعلام قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين*» ، الجزء السابع ، الطبعة الثالثة ، ص 31 .

4 - نعوم شقير ، «*تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها*» طبعة جديدة ، بيروت 1991 ، الجزء الثاني ، ص 56 .

5 - محمد صادق ، «*نبذة في استكشاف طريق الارض الحجازية من الوجه وينبع البحر إلى المدينة النبوية وبيان خريطتها العسكرية*» مطبعة اركان حرب الجهادية ، القاهرة سنة 1294هـ ، ص 2. سبق ان نشرت مواد هذا الكتاب على شكل مقالات في «*الجريدة العسكرية*» المصرية الاعداد 4 ، 5 ، 6 من شهر جماد آخر سنة 1294هـ .[1873]

6 - المصدر السابق ، الصفحات 4 ، 5 .

7 - المصدر السابق ، الصفحات 12 ، 13 .

8 - المصدر السابق ، الصفحات 15 ، 16 .

9 - المصدر السابق ، ص 16 .

10 - المصدر السابق ، ص 10 .

11 - المصدر السابق ، ص 18 .

12 - مجلة «*المقتطف*» ، الجزء الثامن ، السنة العشرون ، أول آب سنة 1896 ، ص 612 .

13 - محمد صادق ، «*مشعل المحمل، رسالة في سير الحج المصري برا*» ، مطبعة وادي النيل ، القاهرة سنة 1298هـ ، ص 29 .

14 - المصدر السابق ، ص 28 .

15 - المصدر السابق ، ص 45 .

16 - المصدر السابق ، ص 28 .

17 - المصدر السابق ، ص 33 .

18 - المصدر السابق ، ص 31 .

19 - D.G. HOGARTH " *The Penetration of Arabia* ".Alston Rivers Ltd, London1905. Photograph Facing page 94.

20 - محمد صادق ، «*كوكب الحج في سفر المحمل بحرًا وسيره برًا*» ، الطبعة الأولى ، المطبعة الاميرية ببولاق ، الصفحات 11 ، 12.

21 - المصدر السابق ، ص 12 .
22 - المصدر السابق ، ص 24 .
23 - المصدر السابق ، ص 30 .
24 - المصدر السابق ، ص 49 .
25 - المصدر السابق ، الصفحات 62 ، 63 .
26 - محمد صادق ، «دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة من كل فج» ، الطبعة الأولى ، المطبعة الكبرى الاميرية ببولاق، الصفحات 1 ،2 .
27 - المصدر السابق ، ص 3 .
28 - المصدر السابق ، ص 39 .
29 - المصدر السابق ، ص 29 .
30 - يوسف آصاف ، «*تاريخ عام 1878*» ، المطبعة الحرة سنة 1878 ، ص 46 .
31 - " *Bulletin de la Société Khediviale de Geographie du Caire* ".No:8 Mai 1880, No:9 &10 Aout & Novembre1880.
32 - محمد لبيب البتنوني« *الرحلة الحجازية*» الجمالية، القاهرة 1913.
33 - ENGIN CIZGEN " *Photography in the Ottoman Empire1839-1919* ". Haset Kitabevi, Istanbul1987. p.78-80.
34 - HAMDY BEY " *Les Costumes populaires de la Turquie en 1873* ". Ouvrage publié sous le patronage de la Commission Imperiale Ottoman pour l'exposition Universelle de Vienne. Imprimerie du Levant, Times & Shipping Gazette, Constantinople 1873. Photograph facing page 228.
35 - ابراهيم رفعت باشا« *مرآة الحرمين*» مجلدان، منشوات دار الكتب المصرية القاهرة سنة 1925.

الفصل الثالث

1 - C.S. HURGRONJE " *Mekka in the latter part of the 19th Century* ". Translated by J.H.Monaham. E.J.Brill Ltd, Leyden 1931.
2 - AUGUSTUS RALLI " *Christians at Mecca* ". William Heinemann London 1909. p214 and 241.
3 - C.S. HURGRONJE " *Mecca in the latter part of the 19th Century*". p165.
4 - المصدر السابق ص 215.
5 - المصدر السابق ص 93.
6 - المصدر السابق ص 94
7 - GUSTAVE REGELSPERGER " *Un Français a la Mecque* ". Journal des Voyages , Paris 17 Mars 1895 , p.168-170.
8 - محمد صادق « *دليل الحج للوارد الى مكة والمدينة من كل فج* ....» ص 69.
9 - A.J.B.WAVELL "*A Modern Pilgrim in Mecca and a Seige in Sanaa*". *Small Maynard & Co. Boston 1912, p137.*
10 - JULES GERVAIS-COURTELLEMONT " *Mon voyage a la Mecque*". Paris , Librarie Hachette1896.
11 - " *L'illustration* ". Paris 3 , 12 March and 7 November 1908.
12 - " *Bulletin du photo-club de Paris* ". Paris 1895.
13 - JULES GERVAIS-COURTELLMONT " *Mon Voyage a la Mecque* ". p.81.
14 - المصدر السابق ص 48.
15 - GUY COURTELLEMONT " *Le pionnier photographe de Mahomet*". C. Latour , Nimes 1994. p.79

16 - " *L'Illustration* ". Paris 1908: No:3394 , 14 Mars 1908 p.183-187. No:3423 3 Octobre 1908 p.219-222. No:3428 , 7 Novembre 1908 p.304-313.

17 - ENGIN CIZGEN " *Photography in the Ottoman Empire1839 - 1919* ". Haset Kitabevi, Istanbul1987. p.48.

الفصل الرابع

1 - H.V.F. WINSTONE " *Leachman O.C. desert, the life of Lieutenant - Colonel Leachman* ". Quartet Books , London 1982. p133.

2 - المصدر السابق ص 133.

3 - المصدر السابق 134.

4 - Typescript copy of an unpublished diary in the possession of Major-General J.D. Lunt p32.

5 - المصدر السابق.

6 - المصدر السابق ص 39.

7 - المصدر السابق.

8 - المصدر السابق ص 40.

9 - المصدر السابق ص 59.

10 - المصدر السابق ص 19.

11 - المصدر السابق ص 59.

الفصل الخامس

1 - Journal of Major - General Stephen Seymour Butler " *A Journal into unknown Arabia* ". MSS Afr.195/3 Volume1 Rhodes House Library, Oxford.

2 - المصدر السابق ص 58.

3 - المصدر السابق ص 76.

4 - D.G. HOGARTH " *Gertrude Bell Journey to Hayil* ". The Geographical journal vol.LXX No.1 July1927.

5 - " *The letters of Gertrude Bell* ". Selected and edited by Lady Florence Bell. D.B.E. Ernest Benn Ltd , London 1930. Volume 1 - p.330.

6 - المصدر السابق المجلد الاول ص 338–339.

7 - Unpublished Journal of a Journey to Hayil . Bell Collection. University Library, Newcastle upon-Tyne . England .

8 - المصدر السابق ص 13.

9 - المصدر السابق ص 16.

10 - المصدر السابق.

الفصل السادس

1 - H.St. JOHN PHILBY. " *Report on Najd mission1917-1918* ". Baghdad Government press circa 1918.

2 - Unpublished diary of a political mission to Central Arabia1917-1918. Volume1 p.13 Philby papers, Middle East Center, Oxford.

3 - المرجع السابق ص 15.

4 - المرجع السابق ص 195.

5 - H.St JOHN PHILBY " *Report on Najd Mission1917-1918* ". Baghdad Government Press 1918 .P.5

6 - H. St John Philby " *Southern Najd* ". The Geographical Journal. Vol. LV No.3 March 1920. p162

7 - Unpublished diary of a political mission to Central Arabia 1917-1918 Volume1 p.13 Philby papers, Middle East Centre, Oxford.

8 - المصدر السابق ص 289.

9 - المصدر السابق ص 369.

10 - المصدر السابق، المجلد الثاني ص 75.

11 - المصدر السابق ص 177.

12 - H. St. JOHN PHILBY. " *Iraq in war time* ". Government Press, Basrah Circa 1918

13 - Account of a meeting between Ibn Saud and Sir Percy Cox. Philby papers, Box XV, File 3, Middle East Centre, Oxford.

14 - Unpublished diary of a visit to Jeddah and the Hijaz 1925 -1926. Philby papers, Middle East Center. Oxford. p177.

15 - المصدر السابق ص 243.

16 - H. St. JOHN PHILBY. " *Jauf and the North Arabian Desert* ". The Geographical Journal vol.LXII, No.4 October1923.

17 - المصدر السابق ص243.

18 - المصدر السابق ص 252–253.

19 - Unpublished diary of a visit to Hijaz, October1926- June1931. Philby papers. Middle East Center, Oxford. P150.

20 - المصدر السابق ص 172.

21 - المصدر السابق ص 174.

22 - المصدر السابق ص 308.

23 - المصدر السابق صفحة غير مرقمة.

24 - المصدر السابق صفحة غير مرقمة.

25 - المصدر السابق صفحة غير مرقمة.

26 - H. St. JOHN PHILBY. " *Rub' Al-Khali an account of exploration in the Great South Desert of Arabia under the patronage of His Majesty Abdul Aziz Ibn Saud, King of the Hejaz and Nejd and its dependencies* ". The Geographical Journal Vol LXXXI no. :1 January 1933 p1.

27 - H. St. JOHN PHILBY. Unpublished diary for 1932. P.49. Philby papers, Middle East Center, Oxford.

28 - المصدر السابق ص 99.

29 - H. St. JOHN PHILBY. " *The Empty Quarter*". London 1933. P.362.

الفصل السابع

1 - ANDREW RYAN. " *The Last of the Dragomans* ". Geoffrey Bles London 1951 p.278 - 279.

2 - GERALD de GAURY. " *Traces of Travels* ". Quartet Books. London1983. p.69.

3 - GERALD de GAURY. " *Arabia Phoenix* ". George G. Harap & Co. London.1946 p.40.

4 - GERALD de GAURY " *Arabian Journey and other Desert Travels* ". George G. Harap & Co. London1950. p.60-108.

5 - Sir GEORGE RENDEL. " *The Sword and the Olive, Recollections of Diplomacy and Foreign Service 1913 - 1914* ". John Murray. London1957. p.97.

6 - GERLADINE RENDEL. " *Across Saudi Arabia* " The Geographical Magazine. Volume 6, Jan1938. p.163

7 - المرجع السابق ص 164.

8 - Sir GEORGE RENDEL. " *The Sword and the Olive, Recollections of Diplomacy and Foreign Service 1913 - 1914* ". London1957. p.108.

9 - GERLADINE RENDEL. " *Across Saudi Arabia* " The Geographical Magazine. Volume 6, Jan1938. p.170.

10 - المرجع السابق ص 170.

مصادر الكتاب

كتب عربية

آصاف ، يوسف :«*تاريخ عام 1878*» ، المطبعة الحرة 1878 .

البتنوني ، محمد لبيب:« *الرحلة الحجازية*» الجمالية، القاهرة 1913

الزركلي ، خير الدين:«*الاعلام قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين*» .

رفعت باشا ، ابراهيم :« *مرآة الحرمين*» مجلدان، منشوات دار الكتب المصرية القاهرة 1925.

شقير ، نعوم: «*تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها*» طبعة جديدة ، بيروت 1991.

صادق ، محمد:«*نبذة في استكشاف الارض الحجازية من الوجه وينبع البحر إلى المدينة النبوية*» مطبعة اركان حرب الجهادية ، القاهرة 1294 هـ . [1877].

صادق ، محمد:«*مشعل المحمل*» ، مطبعة وادي النيل ، القاهرة 1298 هـ . [1880].

صادق ، محمد:«*كوكب الحج في سفر المحمل بحرًا وسيره برًا*» ، المطبعة الاميرية ببولاق ، مصر المحمية 1302هـ .[1884].

صادق ، محمد:«*دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة من كل فج*» ، المطبعة الكبرى الاميرية ببولاق ، 1313هـ .[1895].

مخطوطات

ابن الهيثم ، الحسن: «كتاب الضوء» مكتبة الهند ، المكتبة البريطانية لندن .

مجلات

مجلة «*المقتطف*» ، الجزء الثامن ، السنة العشرون ، أول آب 1896 .

كتب اجنبية

BELL , LADY FLORENCE . Selected and Edited :" *The letters of Gertrude Bell* " . Ernest Benn Ltd , London 1930 .

BEY , HAMDY: " *Les Costumes populaires de la Turquie en 1873* ". Ouvrage publié sous le patronage de la Commission Imperiale Ottoman pour l'exposition Universelle de Vienne. Imprimerie du Levant, Times & Shipping Gazette, Constantinople 1873.

CIZGEN , ENGIN: " *Photography in the Ottoman Empire1839-1919* ". Haset Kitabevi , Istanbul1987.

COURTELLEMONT , GUY: " Le pionnier photographe de Mahomet". C. Latour , Nimes 1994.

de GAURY , GERALD : " *Arabia Phoenix* ". George G. Harap & Co. London.1946.

de GAURY , GERALD : " *Arabian Journey and other Desert Travels* ". George G. Harap & Co. London1950.

de GAURY , GERALD : " *Traces of Travels* ". Quartet Books. London1983.

GERNSHEIM , H. & A.: " *History of photography* ".Thames & Hudson London1969.

GERVAIS-COURTELLEMONT , JULES: " *Mon voyage a la Mecque*". Paris , Librarie Hachette1896.

HOGARTH , D.G: " *The Penetration of Arabia* ". Alston Rivers Ltd, London1905.

HURGRONJE , C.S.: " *Mekka in the latter part of the 19th Century* ". Translated by J.H.Monaham. London1931.

PHILBY , H.St. JOHN : " *Iraq in war time* ". Government Press, Basrah Circa 1918.

PHILBY , H.St. JOHN : " *The Empty Quarter*". London 1933. P.362.

RALLI , AUGUSTUS: " *Christians at Mecca* ". William Heinemann London 1909.
RENDEL , Sir GEORGE : " *The Sword and the Olive, Recollections of Diplomacy and Foreign Service 1913 - 1914* ". John Murray. London1957.
RYAN , ANDREW : " *The Last of the Dragomans* ". Geoffrey Bles London 1951
WINSTONE , H.V.F.: " *Leachman O.C. desert, the life of Lieutenant - Colonel Leachman* ". Quartet Books , London 1982.

مجلات

" *Bulletin de la Société Khediviale de Geographie du Caire* ". Cairo .
" *Bulletin du photo-club de Paris* " .
" *The Geographical Journal* ". London .
" *The Geographical Magazine* ". London .
" *L'illustration* ". Paris .
" *Jouranl des voyages* ". Paris .

تقارير

PHILBY , H.St. JOHN : " *Report on Najd mission1917-1918* ". Baghdad Government press circa 1918.
Captain Shakespear's diary, typescript copy in the possession of Major-General J.D. Lunt .

مخطوطات

" *Account of a meeting between Ibn Saud and Sir Percy Cox* ". Philby papers, Middle East Centre, Oxford.
" *Diary of a political mission to Central Arabia 1917-1918* ". Philby papers, Middle East Center, Oxford.
" *Diary of a visit to Jeddah and the Hijaz 1925 -1926* ". Philby papers, Middle East Center, Oxford.
" *A Journal into unknown Arabia* " . Journal of Major - General Stephen Seymour Butler Rhodes House Library, Oxford.
" *Journal of a Journey to Hayil* " . Bell Collection. University Library, Newcastle upon-Tyne . England .

مصادر الصور

صورة الغلاف: مجموعة فؤاد دباس.
صورة الغلاف الاخير:الجمعية الجغرافية الملكية – لندن.
صورة الغلاف الداخلي 1 :مجموعة الشيخ حسن بن محمد بن علي آل ثاني.
صورة الغلاف الداخلي 2 :مجموعة الشيخ حسن بن محمد بن علي آل ثاني.
الصورة على ص. 6 :جامعة نيوكاسل ابن تاين.
الصورة على ص. 11 :الجمعية الجغرافية الملكية – لندن.

الفصل الاول

الصور ذات الارقام 1 و2:مجموعة خاصة.

الفصل الثاني

الصور ذات الارقام 2،4،5،7،9،13،14 و15:مجموعة الشيخ حسن بن محمد بن علي آل ثاني.
الصور ذات الارقام 3،16:مجموعة نديم شحادة.
الصور ذات الارقام 1،6،8،11،12،17،18،19 و 20:مجموعة فؤاد دباس.
الصور ذات الارقام 10،21،22 و 24:مجموعة خاصة.
الصورة ذات الرقم 23:الجمعية الجغرافية الملكية – لندن.

الفصل الثالث

الصور ذات الارقام 1،2،3،4،5،6 و 7:مجموعة الشيخ حسن بن محمد بن علي آل ثاني.
الصور ذات الارقام 8،13،15 و 17:الجمعية الجغرافية الملكية – لندن.
الصور ذات الارقام 10،16 و 18:مجموعة فؤاد دباس.
الصور ذات الارقام 11 و 12:سيغما – باريس.
الصورة ذات الرقم 14:المتحف الحربي البريطاني.
الصور ذات الارقام 9 و19: مجموعة خاصة.

الفصل الرابع

الصور ذات الارقام 1،2،3،4،5،6،7،8،9،10،11،12 و 13:الجمعية الجغرافية الملكية – لندن.

الفصل الخامس

الصور ذات الارقام 1،2 و 3:مكتبة رود هاوس – اوكسفورد.
الصور ذات الارقام 4،5،6،7،8 و 10:جامعة نيوكاسل ابن تاين.
الصورة ذات الرقم 9:مجموعة عادل بن عبد المحسن المنديل.

الفصل السادس

الصور ذات الارقام 1،2،4،5،6،7،9،10،11،12،13،14،16،22،23 و 24:مركز الشرق الاوسط، معهد سانت انطوني – اوكسفورد.
الصور ذات الارقام 17،18،19،20 و 21:الجمعية الجغرافية الملكية – لندن.
الصورة ذات الرقم 8: المتحف الحربي البريطاني.
الصورة ذات الرقم 3:مجموعة الشيخ حسن بن محمد بن علي آل ثاني.
الصورة ذات الرقم 15:مكتبة رود هاوس – اوكسفورد.

الفصل السابع

الصور ذات الارقام 1،2،3،4،5،7 و 16:مجموعة عادل بن عبد المحسن المنديل.
الصور ذات الارقام 6،12،13،14،15،18،19،20،21،22 و 23:الجمعية الجغرافية الملكية – لندن.
الصور ذات الارقام 8 و9:مركز الشرق الاوسط، معهد سانت انطوني – اوكسفورد.
الصور ذات الارقام 10،11 و 17:مجموعة خاصة.

فهرس الاعلام